رسائل الصفاء

- ١ -

الصوفية والحياة المعاصرة

فوزى محمد أبوزيد
رئيس الجمعية العامة للدعوة الى الله
بجمهورية مصر العربية

دار الايمان والحياة
٧٤ شارع ١٠٥ حدائق المعادى
ت : ٣٥٠٩١٤٠

بسم الله الرحمن الرحيم

مقـــــدمة

الحمد لله الذى يمنّ بسوابغ الآلاء، ويتفضل بجزيل الفضل والعطاء على عباده السعداء، الذين ألهمهم ذكره، ووفقهم إلي شكره، وحفظهم من عصيانه ومخالفة أمره والصلاة والسلام علي مسك الختام، وبدر التمام، ومصباح الظلام سيدنا محمد وآله وورثته، نجوم الهداية، وكواكب العناية وكل من دعا إلى هديهم، أو تمسك بأوامرهم أو سعي إلي رحابهم إلي يوم الدين. آمين

لقد كثر في هذه الأيام الهجوم علي التصوف الاسلامي سواء من أصحاب المذهب العلماني والذين يعتقدون أن الحياة مادة فحسب، وأن المجتمع في إمكانه أن ينطلق دون أن يكون للنواحي الروحية حساب كبير أو صغير في انطلاقه، وقد اعتقدوا إلي جانب ذلك أن التصوف يدعو إلى السلبية والخمول والكسل. في حين أن رسالة التصوف الاسلامي كما أشارت إليها مشيخة الطرق الصوفية: «إن الصفات الخلقية والنفسية هى رأس مال الشعوب، وهي المدخرات العظمي التي تصنع الأمم، وتدفع بالركب البشري إلي غايته، ولقد كان التصوف الاسلامي أبدا هو صانع هذه المعجزات، والانتفاضات في التاريخ الاسلامي فالتصوف هو أعلي صور الايمان في العقيدة الاسلامية، لأنه يرتكز علي الشوق والمحبة ويطلق في قلوب أبنائه الشعلة المتوهجة المتطلعة دائما إلي الله»

فالتصوف يربي الفرد تربية أخلاقية مثالية، وعن طريق تربية الأفراد يصل إلي مجتمع متكامل متكافل.

والصوفية لا يهتمون بكلام هؤلاء الماديين العلمانيين لأنهم في انجرافهم في تيار المادية المعاصر لم يهاجموا الصوفية فقط، بل تعدوا ذلك إلي كثير من مبادئ الاسلام، حيث أنهم في انسياقهم في تيار المادية ابتعدوا تدريجيا عن روح الإسلام، حتي صاروا غرباء عن الإسلام، أو صار الإسلام غريبا عنهم.

فتمسك الصوفية بهذه الأداب إنما هو تمسك بروح الدين وجوهر العقيدة، وما على الصوفية من بأس أن يكونوا غرباء عن الناس الذين جفوا دينهم، ونظروا إلي الحياة بمنظار مادي خالص. والصوفية علي يقين من أنه لن يخرج الناس من شقائهم الذي هم فيه الآن، إلا بعودتهم إلي معين الروح ونقاء السريرة، وصفاء القلب وغيرها من القيم والمثل التى حرص الصوفية علي تربية أبنائهم عليها، وطبعهم بها.

وقد أشار إلي ذلك الدكتور سعد الدين السيد صالح في كتابه: «مشكلات التصوف المعاصر» حيث يقول: «نحن في حاجة إلي التصوف الإسلامي النابع من كتاب الله وسنة رسوله وخصوصا في هذا العصر المادي الذي يستلزم منا أن نواجهه بفكر مضاد تتغلب فيه مطالب الروح علي مطالب البدن.

ونستطيع أن نوجز حاجتنا إلي التصوف فيما يلي:

١- تغلب الفكر المادي والطابع المادي علي حياة الناس، وهذه الحالة لا يمكن الخروج منها إلا إذا قابلناها بفكر مكافئ نعطي من خلاله للروح والرقي النفسي والسمو القلبي والضبط السلوكي، والتحكم في الشهوات الأهمية القصوى. وهذا هو طريق التصوف الذي يستطيع الانسان من خلاله أن يتحكم في شهواته وأهوائه ويطوعها لمطالب دينه.

٢- إن التصوف يعمل علي تصفية النفس وتطهيرها من الرذائل، ويدفع الفرد إلي التحلي بمكارم الأخلاق ومجاهدة النفس.

٣- إن تسعين بالمائة من الأمة الاسلامية خلال قرون متعددة لهم صلة بالتصوف وأهله بشكل من الأشكال، إما بالاشتغال فيه، أو بالتلمذة علي أهله أو بالصلة بهم أو بالثقة فيهم أو بالانتساب الاسمي لهم أو لمن تتلمذ عليهم. ولا زال التصوف وأهله حتي الآن هم الذين يصلون إلي بيئات ومناطق لا يصل إليها غيرهم.

٤- إن منهج التربية الإسلامية مطلوب في هذا العصر وتُنادي به كثير من الاتجاهات الإسلامية، ولا شك أن الصوفية هم أصحاب الخبرة في التربية، كما أن التصوف هو القادر على إيجاد الانسان في كمالاته كلها» انتهي وقد أشار أيضا إلي الدور الهام للتصوف في وجه المادية العصرية الأستاذ سعيد حوي في كتابه «تربيتنا الروحية» ص١٨ حيث يقول: « إن عصرنا عصر الشهوة وعصر النزوة وعصر المادية ولا بد أن نقابل هذه الأشياء فيه بما يكافئها ويقابلها ولذلك فأقول: إن التربية الصوفية وحدها هي التي تقابل ذلك: فالشهوة لايحل مشكلتها المقال وحده بل لابد من الحال ولابد من البيئة والتربية، والمادية لا تكافئها الكلمة وحدها بل لابد من الشعور والذوق والاحساسات الايمانية مع المقال، والتمرد لا يعالج بالكلمة وحدها بل يعالج بالاخبات لله والتقوي والورع والأدب وهذه طريقها العملي هو التصوف» انتهى

الصـــــوفية والعمـــــل

وقد ادعي بعض المشككين في الصوفية أيضا، أن التصوف يدعو إلي الضعف والذلة، والزهد في الحياة، وأن أصحابه قوم انطوائيون يكرهون الحياة ويحبون الجمود، ويباركون الخمول، ويعيشون علي التسول والشعوذة، واستغلال الضعفاء والسذّج.

والتصوف ولله الحمد في غني عن الرد علي هذه الافتراءات فإنه دعوة قامت علي الحق تدعو إلي الحق، وهو بريئ من هذه الاتهامات التى وُصم بها، لأنه في جوهره لا يدعو إلا إلي القوة، وهو يكره الخمول ويبعث النشاط في المريدين، وأي نشاط أروع من الدعوة إلي عدم تضييع الوقت، وإحيائه بمختلف العبادات والفضائل، باعتبار أن الوقت سيف إن لم تقطعه قطعك وقد بلغ من فقه الصوفية أنهم جعلوا العمل للدنيا من الدين، لأنه من شيمة الأنبياء والمرسلين ولذلك لم يقروا أن يعيش الصوفي عالة علي غيره، فكانوا يعملون ويكسبون رزقهم، وفي الوقت ذاته لا يصرفهم ذلك عن طاعة الله وعبادته. فالكسب عندهم فضيلة تحرر الإنسان من ذلّ المسألة، ويعني الكسب أن يكون الصوفي مشتغلا بشتي الحرف، والتجارات، وغير ذلك مما أباحته الشريعة علي تيقظ أو تثبت بعيدا عن الشبهات، وقد تمسكوا بهذه المعاني وعاشوا من كدّ أيديهم ومما يدل علي عناية الصوفية بالعمل وإقبالهم عليه هذه الألقاب المصاحبة لأسمائهم والتي اقترنت بشخصياتهم فأصبحت علامة مميزة وسمة غالبة ولا يكادون يُعرفون إلا بها، ومن هذه الألقاب لمشاهير الصوفية: النسّاج، والزجاجي، والصيرفي، والقصار، والجلاء، والوراق والخراز والخواص والحمال والحلاج. وقد كان الذي يدفعهم لهذه الأعمال اليدوية شيئين: تورعهم عن الشبهات المصاحبة للعمل مع الولاة والسلاطين، ورغبتهم في العيش في حرية أنفسهم لأنهم لا يريدون أن يكون عليهم سلطانا لغير الله عز وجل.

بل إن الصوفية يربون الفرد علي أن عمله عبادة وعلمه عبادة وقوته في سبيل الله عبادة، يقول الكلاباذي في كتابه «التعرف علي مذهب أهل التصوف» في صدر الحديث عن الصناعات والحرف لدي الصوفية: «ويشتغل

العبد بها علي حسب ما يشتغل في إتيان ما ندب إليه من النوافل لا علي أنها تجلب إليه الأرزاق وتجر المنافع فحسب» ويقول أيضا: «سبيل المكاسب عند الجنيد سبيل الأعمال المقربة إلي الله عز وجل».

ولذلك نري مشايخ الصوفية يحضون مريدهم علي العمل فهذا إبراهيم بن أدهم يقول لمريديه: عليكم بعمل الأبطال: الكسب من الحلال والنفقة علي العيال، والامام عبد الوهاب الشعراني ينصح أتباعه من الصناع بقوله: الاجتهاد في العمل وإتقانه يقوم مقام النوافل والتطوع للعبادة، وكان يقول للنجار: لتكن مسبحتك منشارك، وللزارع لتكن خلوتك حقلك، وللتاجر لتكن عبادتك أمانتك. والدسوقي رضي الله عنه يقول لأتباعه: من لم يكسب قوته من عمله فليس منا ولو كان غنيا والرفاعي يقول لمريديه: تميزوا علي الناس بحلية التصوف، وحلية التصوف أن تغني نفسك وأهلك قبل وردك وذكرك وقد قال في ذلك الأستاذ / عبد الحفيظ فرغلي قرني في كتابه (التصوف والحياة العصرية) صـ٤٩ «ولاشك أن للأخلاق العالية التي تحلي بها الصوفية أثرها في العمل والإنتاج، وفي العلاقة التي تربط بين الناس والتعامل فيما بينهم، فالتصوف بأخلاقه العالية يدفع إلي الاخلاص والجد والدأب، وينفر من الكسل والخمول وإضاعة الوقت، ويدعو إلي إنكار الذات والتواضع، وحب الغير وخدمة المجموع، ويكره الحقد والحسد، والتشاحن والانتقام للنفس، ويحب التسامح ويحض عليه، ويبغض الشح وينقم عليه، إلي غير ذلك من الفضائل الكريمة التي وسعها التصوف، وتحقق بها أتباعه ومريدوه وسالكو طرقه، فأحبهم الناس ومالوا إليهم ولاشك» انتهي.

ومن هذا يفهم أن الصوفية يأنفون تماما من أن يكون أحد الأدعياء بين صفوفهم يتخذ من التكفف وسيلة لحياته. أما حالة التجرد التي نراها عند

قلة من الصوفية فهي أحوال فردية خاصة لا يقاس عليها، ولم يندبوا أحدا إلي التخلق بها، حتي أن ابن عطاء الله السكندري صاحب الحكم حدّثته نفسه أن يتجرد ويترك الأسباب، فمنعه شيخه سيدي أبي العباس المرسي من ذلك قائلا له: صحبني إنسان مشتغل بالعلوم الظاهرة، ومتصدر فيها، فذاق من هذه الطريق شيئا فجاء إلي فقال: يا سيدى، أخرج مما أنا فيه وأتجرد لصحبتك، فقلت له: ليس الشأن ذا ولكن امكث فيما أنت فيه خير وما قسم الله لك علي أيدينا فهو إليك واصل «التنوير في إسقاط التدبير لابن عطاء الله» ولذلك قال ابن عطاء الله في حكمه «إرادتك التجريد مع إقامة الله إياك في الأسباب من الشهوة الخفية» وقال أيضا في بيان قيمة استغلال الوقت «إحالتك الأعمال إلي وقت الفرا غ من رعونات النفس» ويكفي للتدليل علي سمو شأن الصوفية، وكمال حالهم ما ورد عن الامام ا لحسن البصري أنه قال: «رأيت صوفيا في الطواف فأعطيته شيئا فلم يأخذه وقال معي أربعة دوانيق فيكفيني ما معي» وكذلك ما روي أن ابراهيم بن أدهم حين تقابل مع شقيق البلخي سأله عن سبب سلوكه للطريق، فقال: رأيت قنبرة عمياء علي شجرة ونسر يناولها الطعام في فمها فإذا شبعت ملأ فمه ماءا وسقاها، فقلت في نفسي: أأعجز أن أكون مثل هذه القنبرة فسلكت طريق القوم علي التوكل، فقال ابراهيم بن أدهم رضي الله عنه: ولم رضيت لنفسك أن تكون كالقنبرة العمياء ولم تجعلها نسرا!» أما سمعت قول رسول الله صلي الله عليه وسلم: «اليد العليا خير من اليد السفلي».

ولم يكتف الصوفية بالعمل فقط، بل ضربوا للناس المثل الأعظم علي شدة ورعهم وحسن تعهدهم لأعمالهم عند قيامهم بها وفي ذلك يقول الدكتور/ حسين سيد عبد الله مراد في كتابه (المتصوفة في المغرب الأقصي) صـ٩٩:

«وجدير بالذكر أن هؤلاء المتصوفة كانوا يحثون الرعاة ومن يملك الدواب ألا يجعلوا هذه الدواب ترعي في أرض الغير لأن ذلك مخالفا للشرع، ولم يكتفوا بالنصح والارشاد، بل ضربوا المثل، والقدوة الطيبة لأفراد مجتمعهم. فمن المتصوفة من كانت له أبقار إذا حملها من دارة لترعي، جعل علي فمها كمامة لئلا ترعي في أرض أحد، فإذا وصل إلي أرضه أزال الكمامة عن فمها، وجعلها ترعي في أرضه، فإذا أراد أن يعود إلي داره أعاد الكمامة وساقها إلي داره» انتهي.

وهذا ابراهيم بن أدهم رضي الله عنه يعمل حارسا لبستان ببلاد الشام، ويأتيه صاحب البستان ومعه ضيفان، فيطلب منه احضار رمانه، فيحضرها وعند تناولها يجد طعمها مُرًّا، فيطلب منه احضار أخري وعند تناولها يجدها كذلك، فيطلب ثالثة فيجدها علي نفس الطعم، فيتسائل غاضبا. أتحرس البستان، ولا تعرف الحلو من المر؟ فقال: يا سيدي اشترطت عليّ حراسة البستان، ولم تأذن لي في الأكل منه، فلم أتناول شيئا منه قط.

وهكذا نجد لدي أئمة الصوفية الحرص الزائد علي العمل وضرورته والحث عليه، يقول الإمام أبو الحسن الشاذلي رضي الله عنه: من لا عمل له فلا يأتينا فمن لا خير فيه للدنيا، لا خير فيه للآخرة. ويقول سيدىً أحمد البدوي رضي الله عنه: اكسب خبزا ثم اعبد ربك، وكان القطب الدسوقي يقول: من لم يعمل بيده في سبيل عيشه فليس من أبنائي، أما العلامة الهروي فيقول: كونوا سادة في دنياكم بعملكم حتي لا تمتهن الطريق، وبنان الحمال هو الذي يقول: الاعراض عن الأسباب جملة يؤدي إلي ركوب الباطل. ومن هنا نعلم أن الصوفية الحقيقيين أوجبوا علي الصوفي أن يكون له عمل يتكسب منه ويقتات، كما عملوا علي إحياء الكرامة الإنسانية، فمنعوا التسول، ولم يبيحوا ترك الاكتساب، لأنه لا يجوز للصوفي أن يكون عالة علي أحد.

وقد اتهم بعض المعاصرين كذلك الصوفية بالسلبية والانعزالية لعدم انخراطهم في الأحزاب السياسية القائمة وعدم رغبتهم في تولي المناصب، وأرجعوا ذلك إلي خوفهم من الحكام، وعدم تحليهم بالجرأة والشجاعة واتهموهم كذلك بالتخاذل نحو الوطن والواجب حياله بدعوي أنهم لا يتحركون نحو القضايا المصيرية للأمة والحقيقة أن هذه التهمة تحسب للصوفية وليست عليهم. فالقوم قد اشتغلوا بسياسة نفوسهم، واهتموا بالاقبال بالكلية علي الله عز وجل، وحافظوا علي صفاء نفوسهم، ونقاء قلوبهم، فلم يسمحوا لشئ مهما كان شأنه أن يعكر صفوهم، وخاصة أن هذه الأحزاب يسيطر علي معظم أفرادها الأهواء الشخصية والمصالح الذاتية، لكن القوم إذا جدّ الجد وُجد شئ يمس جوهر الدين أو صلب العقيدة تجدهم كما قال الله عز وجل في شأنهم «يجاهدون في سبيل الله، ولا يخافون لومة لائم» فهم لا يتحركون لأغراض شخصية أو نزوات فردية، وإنما يتحركون إذا كان هناك ما يمس الدين أو الأمة الاسلامية إن الصوفي الحق لا يخشي أحدا في الوجود إلا الله، فهو صاحب النهي والأمر، وبيده الخير والشر، والنفع والضر، فلماذا يخاف غيره ويخشاه؟

والحق أن تاريخ الصوفية العظام يسجل لهم أنصع الصفحات في الجهاد في سبيل الله، والمجاهدة للظلمة من الحكام، وحث العامة علي عدم الرضا بالواقع المر لأن شعارهم قول الله عز وجل : **«إن الله لا يغير ما بقوم حتي يغيروا ما بأنفسهم»** [الآية (١١) الرعـــد]

أليس الغزالي الصوفي هو الذي كتب إلي ابن تاشفين ملك المغرب عندما توالت الهزائم علي المسلمين في الأندلس: «إما أن تحمل سيفك في سبيل الله، وإما أن تعتزل إمارة المسلمين حتي ينهض بحقهم سواك».

أليس محي الدين بن عربي هو الذي قال للملك الكامل عندما تهاون في قتال الصليبيين: «إنك دنيئ الهمة، والاسلام لن يعترف بأمثالك، فانهض للقتال، أو نقاتلك كما نقاتلهم» وهذا الإمام أبو الحسن الشاذلي رغم فقد بصره، يذهب هو وأتباعه مع قافلة النور، تضم رجالات من أعظم الرجال في العلم والدين، العز بن عبد السلام، مجد الدين القشيري، محي الدين بن سراقة، مجد الدين الاخميمي، الفقيه الكامل بن القاضي صدر الدين، الفقيه عبد الحكيم بن أبي الحوافر، إلي المنصورة في ميدان القتال، ليحثوا الجند علي الجهاد، ويعملوا علي رفع روحهم المعنوية، حتي تم لهم النصر، ووقع لويس التاسع أسيرا في دار ابن لقمان.

ولم يقتصر دور الصوفية علي جهاد أعداء الاسلام، بل انهم قادوا الثورات ضد الحكام الظالمين، فها هو الصوفي الكبير الامام الدردير يقود الثورة الوطنية علي الأمراء المماليك التي اشتعل لهيبها في عام ١٢٠٠ هجرية ١٧٨٦ ميلادية، والتي أعلنت فيها لأول مرة حقوق الانسان، قبل الثورة الفرنسية بثلاث سنوات، وكان من نتائج هذه الثورة المباركة، اعتراف المماليك بأن الأمة مصدر السلطات، وبعدم فرض ضرائب جديدة إلا برأي الشعب، واعترافهم الكامل بحرية الأمة وكرامتها.

وإن ننسي فلا ننسي ثورة الشيخ سعيد الكردي النقشبندي في تركيا، وثورة الشيخ شامل النقشبندي في تركستان، وحركة السنوسيين في ليبيا وحركة الدراويش في السودان، وثورة الأمير عبد القادر في الجزائر، وعمر المختار في ليبيا، وأخيرا ثورة الشيشان بقيادة أتباع الطريقتين القادرية والنقشبندية

لقد كان كثير من قمم الصوفية الشوامخ يسارعون إلي خوض المعارك بلا خوف ولا وجل كشقيق البلخي وحاتم الأصم. يحكي الشيخ أمين النقشبندي في كتابه: «ما هو التصوف» صـ٨٣ «أن جنكيز خان حاصر خوارزم وفاوض الشيخ نجم الدين رئيس الطريقة الكبروية علي تركه المقاومة وخروجه من المدينة لقاء العفو عنه وعن آلاف يحددهم الشيخ، ولكن الشيخ الذي كان عمره آنذاك ثمانين سنة رفض عروضه وقال: إننا لسنا بأفضل من غيرنا وقاتل مع المقاتلين دفاعا عن مدينتهم حتي قتل سنة ٦١٨ هـ» انتهي. وجاء في كتاب نشأة التصوف للدكتور ابراهيم بسيوني صـ١٠٠: «لم يمنع بأس السلطان الزهاد من أن يطلقوا صيحاتهم الناقدة لأنهم كانوا يشعرون أنهم يعبرون عن الضمير الديني للأمة وكثيرا ما أرهف الحكام أسماعهم لهذه الصيحات، ويضرب لذلك أمثلة منها:

كتب ذر بن حبيش إلي عبد الملك بن مروان كتابا وكان في آخره: ولا يطمعك يا أمير المؤمنين في طول الحياة ما يظهر من صحتك فأنت أعلم بنفسك، واذكر ما تكلم به الأولون:

إذا الرجال ولدت أولادها — وبليت من كبر أجسادها
وجعلت أسقامها تعتادها — تلك زروع قد دنا حصادها

ودخل أبو حازم الأعرج علي بعض الخلفاء من بني مروان، فقال: يا أبا حازم، ما المخرج مما نحن فيه ؟ فقال: تنظر إلي ما عندك فلا تضعه إلا في حقه، وما ليس عندك فلا تأخذه إلا بحقه. قال: ومن يطيق ذلك يا أبا حازم؟ قال: فمن أجل ذلك ملئت جهنم من الجنة والناس أجمعين» انتهي وإذا نظرنا إلي تاريخ الصوفية المشرق وجدنا الصوفية في أعصب المواقف وأشدها يثبتون وجودهم، وإن صوتهم مرتفع بالتذكير للولاة والخلفاء لا يخشون في

الحق لومة لائم. فقد ذهب هارون الرشيد إلي الفضيل بن عياض ليسمع وعظه، فقال له فضيل حين سلّم عليه: ما ألينها كفا لو نجت غدا من عذاب الله، ثم قال له: يا هارون إني أخاف عليك يوما تزل فيه الأقدام فهل معك يرحمك الله من حاشيتك من يذكرك بهول هذا اليوم؟

وحدث صاحب العقد الفريد في كتابه أن هارون الرشيد قال لابن السماك: عظني وأوجز، قال: كفي بالقرآن واعظا يا أمير المؤمنين قال الله تعالي: «بسم الله الرحمن الرحيم ويل للمطففين الذين إذا اكتالوا علي الناس يستوفون. وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون» هذا يا أمير المؤمنين وعيد لمن طفف في الكيل فما ظنك بمن أخذه كله؟

ولقي أبو جعفر المنصور سفيان الثوري في الطواف، وسفيان لا يعرفه، فضرب بيده علي عاتقه، وقال: أتعرفني؟ قال: لا ولكنك قبضت علي قبضة جبار. قال عظني أبا عبد الله قال: وما عملت فيما علمت فأعظك فيما جهلت؟ قال: فما يمنعك أن تأتينا؟ قال: إن الله نهي عنكم فقال تعالي: «ولا تركنوا إلي الذين ظلموا فتمسكم النار» فمسح أبو جعفر يده به ثم التفت إلي أصحابه فقال: ألقينا الحبّ إلي العلماء فلقطوا إلا ما كان من سفيان فإنه أعيانا فرارا.

ويقول صاحب تاريخ بغداد: إن المتوكل العباسي حينما ضاقت به الأرض وعصفت به الحروب نادي أهل الفتوة الصوفية فهرعوا إليه من كل مكان فكانوا جيشه الكبير الذي حمي الاسلام وصان حدوده ويحدثنا الجبرتي أن هزيمة الفرنسيين في مصر كانت علي أيدي رجال المقاومة الشعبية من أبناء الطرق الصوفية وشيوخها الذين جعلوا من الأزهر والأحياء الشعبية في القاهرة حصونا لا تقتحم ومشاعل للثورة لا تخمد نيرانها.

وكانت الفتوة الصوفية هي النجدة التي يستنجد بها صلاح الدين الأيوبي في الحروب الصليبية كلما مالت به موازين النصر في ساحات القتال. كما يحدثنا بذلك القاضي الفاضل كاتبه ومؤرخه.

والغزالي حجة الاسلام وقف حياته علي تعليم الناس وتبصيرهم بأمور دينهم وأنفق حياته كاتبا ومذكرا ومعلما.

وكان الشعراني زعيما روحيا وإماما شعبيا ومجاهدا عظيما في تحرير العقول الاسلامية من الجمود والأساطير كما لم يشغله الجهاد عن سبيله في إنقاذ الجماهير من ظلم الولاة واستعباد الأمراء.

ويقول علي مبارك عند حديثه عن جبروت الولاة الأتراك في مصر: ولكن هذا الجبروت كان ينحل أمام الصوفية.. وكان رجال التصوف من علماء الأزهر يقذفون بعطاء محمد علي وسلالته في وجوههم لأن من يمد يده لا يتمكن من أن ينطق بكلمة حق أمام سلطان جائر.

وهكذا نجد أنه كم انبعثت عن التربية الصوفية أعمالا جهادية كان لها أثرها في تغيير المجتمع.

وكم وقفت زوايا الصوفية في وسط أفريقيا أمام التبشير النصراني الحاقد، وكم عملت علي نشر الاسلام والدفاع عنه.

لقد قام التصوف بدور كبير في نشر الإسلام في آسيا وأفريقيا وأندونيسيا وروسيا، ويقوم الآن بالدور الأكبر في نشر الاسلام في أوربا وأمريكا. هذا بالإضافة إلي أن الصوفية حملوا من قديم عبئ محاربة الاستعمار لما يحمله الصوفية من روح العزة الاسلامية، وخاضوا في سبيل ذلك حروبا قاسية في مختلف المستعمرات ولقد نقل الأستاذ/ عبد الحفيظ فرغلي القرني في كتابه: «التصوف والحياة العصرية» صـ١٠٢ عن الزعيم

الاسلامي ابراهيم ايناس شيخ الاسلام بأفريقيا ما يؤيد ذلك حيث يقول: «الدليل الحاسم علي أن التصوف هو الذي حمل عبئ الجهاد ضد الاستعمار هو أن رجاله الآن بعد التحرر هم زعماء افريقيا، فرؤساء الوزراء صوفيون. وبعد أن ذكر أسماء بعضهم وكذلك أسماء بعض السلاطين استطرد قائلا: وفي الحقيقة والمسلمون بصدد ضرورة ملحة للوحدة الكاملة، لمواجهة مشكلاتهم وأعدائهم لا يجمع شملهم إلا التصوف بروحانيته المحلقة وبصفائه العظيم وبإشراقه الملهم وبمثله العليا التي دعا إليها دينهم القويم، ونادي بها نبيهم الكريم صلي الله عليه وسلم. وختم حديثه قائلا: وأنا أعتقد أن وحدة العالم الإسلامي يمكن أن تتحقق عن طريق التصوف أو علي الأقل يمكن أن ترتكز علي الأخوة الصوفية الواضحة الأثر في كل مكان» انتهي

ونضرب مثلا لهذا الجهاد ضد الاستعمار بالامام أبي العزائم رضي الله عنه عندما أحس بروحه الشفافة وبصيرته النافذة بأن هناك اتصالات تجري بين الشريف حسين في مكة والحاكم الانجليزي في مصر (مكماهون) لضم الحجاز الي جانب الحلفاء في الحرب العالمية الأولي ضد تركيا. فأعلن أنه ذاهب إلي مكة لأداء العمرة، وإن كان هدفه الحقيقي هو مقابلة الشريف حسين، ولما قابله طلب أن يكلمه علي انفراد، وعرّفه بالمراسلات التي تمت بينه وبين الانجليز وما دار فيها رغم أن أحدا لم يكن يدري بها بعد، وطلب منه في نهاية اللقاء أن يتخلي عن الانجليز، ويساند أخوانه المسلمين وألا يذكر لأحد شيئا مما دار في هذا اللقاء، ولكن الشريف حسين أخبر الانجليز بما دار بينه وبين الامام أبي العزائم، فأحسوا بالخطر نحوه وحاولوا استقطابه لجانبهم لكنه رفض كل ذلك فطلبه الحاكم الانجليزي في السودان (ريجنالد وينجت) وطلب منه أن يكتب مبينا للناس مساوئ الخلافة الاسلامية في تركيا، وما يرغبهم في التعاون مع الانجليز باعتبارهم يعملون لتقدم

البلاد ورفاهيتها، فقال له الامام أبو العزائم رضي الله عنه: أتكتب ضد الانجليز؟ قال: كيف هذا وأنا رجل متعلم؟ فقال رضي الله عنه: إذا كيف تطلب مني أن أكتب ضد وطني وأنا معلم؟

ولم ييأس الحاكم الانجليزي من ردّ الامام أبي العزائم فتركه ينصرف ثم دبّر مكيدة أخري، فأقام حفلا بنادي الضباط بالخرطوم. دعا اليه الامام أبا العزائم وكبار الشخصيات الاسلامية والانجليزية بحجة التعارف بين المسلمين والانجليز، ولكنه رضي الله تعالي عنه رفض حضور هذا الحفل، وعندما سُئل عن سبب رفضه قال: سأجيبكم في المسجد الجامع.

وذهب إلي المسجد الكبير بالخرطوم، وكان غاصّا بالمصلين، وقرأ عليهم قول الله عز وجل **«لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آبائهم أو أبنائهم أو اخوانهم أو عشيرتهم أولئك كتب في قلوبهم الايمان وأيدهم بروح منه ويدخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها رضي الله عنهم ورضوا عنه أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون»** [الآية (٢٢) المجادلة] وأخذ يشرحها لهم بطريقة أثارت حماس الحاضرين، حتي كانت شبه مظاهرة علي الانجليز وأعوانهم، فأثار ذلك حنق الانجليز وأقالوه من عمله بكلية الشريعة وردوه إلي مصر في أول أغسطس ١٩١٥م» [باختصار من كتابنا «الامام أبو العزائم المجدد الصوفي] وعندما رجع إلي مصر أنشأ مطبعة المدينة المنورة، وأسس مجلة السعادة الأبدية ومجلة الفتح ومجلة المدينة المنورة، وأخذ ينشر بها مقالاته التي تلهب حماسة الجماهير، وتؤلبهم علي المستعمرين والمستبدين وكان ذلك مما مهد لقيام ثورة ١٩١٩م

ولما شبت تلك الثورة، كان للامام أبو العزائم الدور الاكبر في اثارة الجماهير وتحريكهم للمطالبة برد الزعماء وهم سعد زغلول ورفاقه من المنفي، والمطالبة بالاستقلال والحكم الدستوري المستقل، وفي سبيل ذلك سخر مطبعة المدينة المنورة لطباعة المنشورات السرية لزعماء الثورة، وكتب فضلا عن مقالاته في الصحف اليومية والأسبوعية في تلك الآونة كتاب الجهاد، ولما منعت السلطات إصداره، طبعه ووزعه سرا، ولجأ إلي الأسلوب الرمزي، فكتب مسرحية «محكمة الصلح الكبري» والتي يشير بها إلي مؤتمر الصلح الذي عقد بباريس، وصور فيها الحلفاء والمجتمعون علي أنهم مجموعة من الوحوش المفترسة والفريسة التي تتقاسمها تلك الوحوش هي الشعوب الضعيفة والمغلوبة علي أمرها. هذا بالإضافة إلي أن مريديه كان لهم دور كبير في توصيل الرسائل والمنشورات بين أرجاء البلاد طولا وعرضا.

ولم يكتف الامام أبو العزائم رضي الله عنه بجهاد المستعمر في مصر والسودان فقط، بل أعلنها حربا شعواء علي المستعمر في كل بلد اسلامية، فاتصل بزعماء الاسلام في كل انحاء العالم، وتبادل معهم الآراء والرسائل، وحثهم علي النهوض بمسئولياتهم الجسام في مواجهة أعداء الله وأعداء الاسلام. وكان أبرز من اتصل بهم في ذلك جمعية العلماء بالهند وكبار الزعماء المسلمين هناك وعلي رأسهم محمد علي جناح ومحمد اقبال وشوكت علي وكفاية الله وغيرهم، واتصل بزعماء اندونيسيا وعلي رأسهم أحمد سو كارنوا ورفاقه، واتصل بزعماء المسلمين المجاهدين في مراكش والجزائر وتونس وليبيا وفلسطين ويوغسلافيا والبانيا وغيرها من البلاد الاسلامية، حتي كانت داره رضي الله عنه معقلا يلجأ إليه هؤلاء الزعماء عندما يضطرهم المستعمر لمغادرة البلاد، وكان يفسح لهم صدور مجلاته، لينشروا فيها أفكارهم، ويعبروا فيها عن آرائهم، وهو أول من حول مؤتمر الحج

السنوي إلي مؤتمر عام، لبحث مشاكل المسلمين كما تهدف الشريعة السمحاء من جمع هذه الجموع المختلفة في مكان واحد، ووقت واحد وذلك عندما دعا لعقد مؤتمر بمكة المكرمة أثناء موسم الحج في عام ١٣٤٤ هـ ١٩٢٦م من أجل العمل لاحياء الخلافة الاسلامية بعد أن ألغاها مصطفي كمال في تركيا في ٢ مارس ١٩٢٤م. فأجري اتصالاته بالزعماء المسلمين، وتم انعقاد المؤتمر نتيجة للاتصالات والجهود الضخمة التي بذلها، ولكن تدخلت الأهواء الشخصية ومن ورائها المخططات الاستعمارية، فلم يصل المؤتمر إلي قرار حاسم في شأن الموضوع الذي عقد من أجله، بل تحولت الجهود إلي مواضيع فرعية بعيدة كل البعد عن روح المؤتمر وهكذا نجد الصوفية قاموا بواجبهم في سبيل رفعة الأمة وإثارة الوعي بين طوائف الشعب والدعوة إلي الخير وتبصير الناس بواجبهم الديني والوطني. وقد عبر عن ذلك معروف الكرخي رضي الله عنه حيث يقول: لا يكون الولي وليا إلا إذا قام بواجبه حيال الأمة الاسلامية مصلحا لأمورها، مفرجا لكروبها، راحما لأفرادها. ويقول أيضا: إن في الذروة من الجهاد عمل المسلم. في سبيل اخوانه وعزة المسلمين، إن من صالح الدعاء أن يدعو الانسان للأمة المحمدية مع كل ذكر وتسبيح.

والأمر يطول لو تتبعنا كل هذه النماذج المشرقة في قيامهم بواجب النصيحة للرعية وللحكام، أو دخولهم ميادين القتال للجهاد في سبيل الله، أو سعيهم الدائب لاثارة النفوس ضد الظلم والظالمين، أو عملهم المتصل لنشر الاسلام في كل أصقاع الارض، وفيما ذكرناه كفاية خوفا من الاطالة.

وفي الحقيقة نجد أن المنكرين علي الصوفية يرجع سبب إنكارهم إلي الجهل بما عليه أهل الطريق، وعدم المعرفة الصحيحة بأحواله، أو إلي حقد دفين عند البعض علي الصوفية بسبب التفاف الناس حولهم، ومحبة القلوب لهم، وقد يكون مرد ذلك إلي خلط البعض بين الصوفية الحقيقيين والأدعياء وهناك من يكره التسمية بالصوفية وبالتالي يكره كل شئ ينسب لها أو إليها بدون أن يكلف نفسه عناء البحث أو الاطلاع علي أحوالهم وعن هؤلاء يقول الاستاذ سعيد حوي في كتابه «تربيتنا الروحية» صـ١٣ «وإني لأظن أن أكثر ما يذهب الانكار عليّ فيه في هذه السلسلة هو قضية الاسم فهناك ناس لا يطيقون أن يسمعوا اسم تصوف وصوفية، ولهؤلاء أقول علي رسلكم فهذا التاريخ بيني وبينكم إنه لم ينكر خلال العصور اسم التصوف أحد من الناس لأنه اصطلاح علي علم كعلم النحو والبديع والمعاني والفقه وغير ذلك، ولا مشاحة في الاصطلاح - كما يقول العلماء - وحتي في عصرنا هذه فتاوي ابن تيمية خرج منها مجلدان تحت اسم التصوف والأخلاق ولم أر علي ذلك منكرا . فأرجو التأني في الانكار علي قضية لا مبرر للانكار فيها أصلا، إذ ما مبرر الانكار علي اسم مباح أطلق علي علم من العلوم حتي أصبح علما عليه فإذا تجاوزوا هذه النقطة، وينبغي تجاوزها، فإن المضمون هو الذي ينبغي أن يكون محل النقاش، فليكن همنا هو الوصول إلي الحق في المضمون بدلا من مناقشة في جانب لا يترتب علي النقاش فيه أي طائل» ثم ذكر أن بعض أبناء الحركة الإسلامية المعاصرة أعتمدوا التربية الصوفية فكرا وسلوكا ومن ذلك دعوة الاخوان المسلمين فقال في نفس المرجع السابق صـ١٧: «فقد ذكر الأستاذ البنا في رسالة التعاليم كيف أن

مرحلة من المراحل في دعوته طابعها صوفي من جانب، وذكر مثلا في رسالة المؤتمر الخامس أن من خصائص دعوته أنها حقيقة صوفية وترك في مذكراته لمريد التربية الخاصة الحرية في أن يسلك طريق ذلك وذكر ذلك في معرض الكلام عن موقفه من التصوف» وذكر الأسباب التي من أجلها جعل حسن البنا دعوته صوفيه فقال: صـ٢٠ من نفس المرجع: «ولم يكن حسن البنا رحمه الله مخطئا عندما جعل من سمات دعوته أنها حقيقة صوفية لأمور:

أ- لأن التصوف نزعة أصيلة في النفس البشرية فلابد أن تكون جزءا من أية دعوة راشدة.

ب- لأنه ليس هناك خيار في الرفض المطلق للارث الصوفي.

ج- إنه بدون الاستفادة من التجربة الصوفية قد لا نستطيع أن نعالج الكثير من أمراض النفس البشرية التي عقدتها مسيرة الحياة وطبيعة العصر» ثم يصل إلي نتيجة بحثه في التربية الروحية فيقول في نفس المرجع صـ٢٠: «وإنني اعتبر أن نقطة البداية في صحة أمتنا في وجود طبقة من الوراث الكاملين يغطون احتياجات الدعوة بما يسع الأمة. أعتبر ذلك هو الخطوة التي لابد منها وأي فشل في ذلك إنما هو فشل في الصميم، ولا وراثة إلا إذا اجتمع علم وعمل وحال قلبي.

لقد جربت كثيرا ورأيت كثيرا، ونادرا ما وجدت كمالا في النفس أو إحسانا في السلوك أو قدرة علي التعامل إلا إذا وجدت تربية إسلامية صوفية صافية.

وذلك لأن مفاتيح النفس البشرئة إنما هي في هذه التربية وأصولها وقواعدها، لأن الصوفية هم الذين ورثوا عن رسول الله صلي الله عليه وسلم

تربية النفس وتزكيتها، وتخصصوا لذلك وتفرغوا له، وفطنوا لما لم يفطن له غيرهم، وقامت لهم فيه أسواق من التجارب الثرية في كل عصر فما لم يأخذ الانسان عنهم تبقي نفسه بعيدة عن الحال النبوية.

إن أهل التصوف الحق هم الذين ملكوا العلم الذي تتهذب به النفوس البشرية

إن التصوف والبيئات الصوفية هي القادرة علي إيجاد الانسان في كمالاته كلها، الإنسان الذي يقوم بفرائض العبودية لله، والإنسان الذي يقدم أعظم العطاء في باب التعامل مع الأخرين، فيقوم بذلك مجتمع كله أدب وكله تراحم وكله عطف وكله مودة وكله إيثار وكله لطف» انتهي ويقول عن ذلك أيضا الدكتور حسن الأشموني في كتابه: (التعبئة الروحية في بناء المجتمع): «نحن لا نجانب الصدق إن قلنا: إن التصوف يستطيع أن يكون قوة دفع تخدم جميع أهداف المجتمع حتي المادية منها، فليس من شك في أن بناء المجتمع بناء قويا متينا عزيز الجانب يرجع إلي مدي ما يكون لأفراده من صفاء النفوس ومتانة الخلق واستعداد للتضحية وإنكار الذات، وهي كلها صفات يتصف بها الصوفية ويأخذون أنفسهم بها ويروضون مريديهم عليها، وماذا تستطيع الحياة الروحية أن تسلك طريقها إلي المشاركة في مطالب الحياة اليومية فتؤدى إلي تدعيم أركان المجتمع وتحقيق خيره»

ونحن حينما نتكلم عن التصوف، لا نقصد التصوف الذي شاع منذ عصر المماليك في مصر والشام والذي كان أهم مظاهره الشعبذة والصياح، والخروج بالمواكب والأعلام في الطرق واللعب بالثعابين، وابتلاع النيران، ولكننا نتكلم عن الصوفية الذين اتخذوا العبادة شعارا للتصوف، ولم يتخذوها للشعبذة واستدرار أموال الناس، أو العبث بالعوام، وحشو الأمة.

فقد ظهر التصوف قويا في القرون الأولي حتي القرن السابع الهجري، وبعد ذلك أخذت الشكليات تطغي علي الجوهر. فالجوهر كان قائما مع الأشكال في القرون الأولي، وبه كانت الدعوات الدينية المخلصة، واستمر الجوهر قائما إلي اليوم، وإن اختفي وراء المظاهر، وهذا ما نسعي لاحيائه فحديثنا إذا عن الصوفية الذين حملوا الدعوة الاسلامية، وليس الذين اتخذوها أشكالا ومظاهر، وهم الصفوة المختارة الذين صفت نفوسهم وربّوا مريديهم وتلاميذهم علي الخير والعمل كالشيخ عبد القادر الجيلاني، وأبي الحسن الشاذلي، وأبي العباس المرسي، ابن عطاء الله السكندري، والشيخ أحمد التجاني، والسيد محمد بن علي السنوسي، والامام أبي العزائم وغيرهم ممن كان لهم مقام عال في الدعوة إلي الاسلام.

فالصوفية الذين نتحدث عنهم هم الذين عرفهم السيد محمود أبو الفيض المنوفي في كتابه (المدخل إلي التصوف) بقوله: «المتصوفة هم المجتمعة علي الله هممهم، المتعلقة بعظمته وحكمته ألبابهم، الذين لا تشهد سوي الله أسرارهم، وليس إلا إليه غدوهم ورواحهم، فهم أحكم الناس وأعقلهم، وأقرب الخلق إلي الحق وأكرمهم، لأنهم أتقاهم» ووضح منهجهم السراج في كتابه « اللمع» حيث قال: «انهم علماء قاموا بشرط العلم، ثم عملوا به، ثم تحققوا في العمل، فجمعوا بذلك بين العلم والحقيقة والعمل» والتصوف الذي نريده هو الذي يقول فيه الشبلي: «التصوف هو التآلف والتعاطف» ويقول عنه الجنيد: «التصوف العلو إلي كل خلق شريف والعدول عن كل خلق دنئ» ويشير إلي كمالاته سهل بن عبد الله التستري في قوله: «من أخلاق الصديقين ألا يحلفوا بالله لا صادقين ولا كاذبين، ولا يُغتاب عندهم، ولا يشبعون بطونهم، وإذا وعدوا لم يخلفوا، ولا يمزحون أصلا» ويشير أيضا

إلي أصوله فيقول: «أصولنا سبعة أشياء: التمسك بكتاب الله، والاقتداء بسنة رسول الله صلي الله عليه وسلم، وأكل الحلال، وكف الأذي، واجتناب الآثام، والتوبة، وأداء الحقوق» وقال عنه النووي: « التصوف الحرية والكرم، وترك التكلف، والسخاء» وقال أيضا: «ليس التصوف رسما ولا علما ولكنه خلق، لأنه لو كان رسما لحصل بالمجاهدة، ولو كان علما لحصل بالتعليم، ولكنه تخلق بأخلاق الله» وجمع ذو النون أوصافهم فقال: «الصوفية قوم آثروا الله علي كل شئ، فآثرهم الله عز وجل علي كل شئ» أما سلوكهم فيكفي فيه قول حاتم الأصم: «إذا أمرت الناس بالخير فكن أنت أولي به وأحق، واعمل بما تأمر وأنته عما تنهي» وقول أبو سليمان الداراني: «ربما تنكت الحقيقة قلبي أربعين يوما، فلا آذن لها أن تدخل قلبي إلا بشاهدين من الكتاب والسنة» وأما أيات صدقهم فهي في قول ذي النون المصري: «آية معرفة الله ثلاث. أولها؛ لا يطفئ نور معرفة الله نور ورعه، وثانيهما؛ لا يتكلم بباطن في علم ينقضه ظاهر الكتاب والسنة، وثالثها؛ لا تحمله الكرامات علي هتك أستار محارم الله». وقد وصفهم الغزالي بعد سلوكه لطريقهم فقال في كتابه: (المنقذ من الضلال) «أني علمت يقينا أن الصوفية هم السالكون لطريق الله تعالي خاصة، وأن سيرتهم أحسن السير، وطريقهم أصوب الطرق، وأخلاقهم أزكي الأخلاق، بل لو جمع عقل العقلاء، وحكمة الحكماء، وعلم الواقفين علي أسرار الشرع من العلماء ليغيروا شيئا من سيرهم وأخلاقهم ويبدلوه بما هو خير منه لم يجدوا إليه سبيلا. فإن جميع حركاتهم وسكناتهم في ظاهرهم وباطنهم مقتبسة من نور مشكاه النبوة، وليس وراء النبوة علي وجه الأرض نور يستضاء به.

وبالجملة فماذا يقول القائلون في طريقة: طهارتها - وهي أول شروطها - تطهير القلب بالكلية عما سوي الله تعالي، ومفتاحها - الجاري منها مجري

التحريم من الصلاة - استغراق القلب بالكلية بذكر الله. وآخرها: الفناء بالكلية في الله.

ومن أول الطريقة تبتدئ المكاشفات والمشاهدات حتي أنهم في يقظتهم يشاهدون الملائكة وأرواح الأنبياء، ويسمعون منهم أصواتا ويقتبسون منهم فوائد. ثم يترقي الحال من مشاهدة الصور والأمثال إلي درجات يضيق عنها نطاق النطق فلا يحاول معبر أن يعبر عنها إلا اشتمل لفظه علي خطأ صريح لا يمكنه الاحتراز عنه.

وعلي الجملة ينتهي الأمر إلي قرب يتخيل منه طائفة الحلول، وطائفة الاتحاد، وطائفة الوصول، وكل ذلك خطأ. وقد بينا وجه الخطأ في كتاب «المقصد الأسني» بل الذي لابسته تلك الحالة لا ينبغي أن يزيد علي أن يقول:

وكان ما كان مما لست أذكره فظن خيرا ولا تسأل عن الخبر»

انتهي

وما أجمل الوصف الذي حكاه عنهم ذو النون المصري حيث يقول: رأيت امرأة ببعض سواحل الشام،

فقلت لها: من أين أقبلت رحمك الله؟

قالـــــت: من عند أقوام تتجافي جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا.

قلـــــت: وأين تريدين؟

قالـــــت: إلي رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله

قلـــــت: صفيهم لي، فأنشأت تقول:

قوم همومهم بالله قد علقت	فما لهم همم تسمو إلي أحد
فمطلب القوم مولاهم وسيدهم	يا حسن مطلبهم للواحد الصمد
ما إن تنازعهم دنيا ولا شرف	من المطاعم واللذات والولد
ولا للبس ثياب فائق أنق	ولا لروح سرور حلّ في بلد
إلا مسارعة في أثر منزلة	قد قارب الخطو فيها باعد الأبد
فهم رهائن غدران وأودية	وفي الشوامخ تلقاهم مع العدد

وقد ذكرنا في هذا الكتاب صور من نشاط الصوفية في النواحي الاجتماعية كنشر المحبة والمودة واقتلاع جذور الأحقاد والبغضاء والشحناء والاحن من النفوس، وتأليف القلوب علي الله، والسعي للاصلاح بين المتخاصمين، ونشر التكافل الاجتماعي، واحياء القيم الاسلامية، ومقاومة التيارات المادية وغيرها هذا بالاضافة إلي دورهم الأعظم في نشر الاسلام بين ربوع العالم بالقدوة الطيبة والأخلاق الكريمة، ومواجهة الحكام بأخطاءهم وتبصيرهم بواجباتهم. وغيرها من ألوان جهادهم التي تدل علي أن التصوف عمل وجهاد ونود من وراء ذلك أن تكون الأخلاق الصوفية هي الرباط الذي يربط بين الناس جميعا فتقوي العلاقات بينهم ويشعرون بالصفاء والمودة والاخاء ويحدثنا المستشرق أبو بكر سراج الدين واسمه السابق «الدكتور مارتن لينجز» البريطاني عن هذه الحقيقة فيقول: «لقد جذبني التصوف الي الاسلام بما فيه من مُثل إنسانية وآداب ذوقية، وفهم صحيح واضح للانسان والله والعلاقة بينهما. كما استهواني ذلك المجتمع الطاهر الفاضل بعلاقاته الانسانية والروحية، والمجتمع الذي يصوغه المنهج الصوفي ويقيمه علي أخوة عالمية ربانية تطبع كل شئ في الكون بطابعها

ولونها، والحق أنني لم أجد في المسيحية ولا في غيرها ما يقارن بالتصوف الاسلامي وأرى أن هدف الرهبنة وهدف الطريق الصوفي مختلفة جدا سلوكا ومعرفة وتذوقا وذوقا» وقد رأينا نشر هذه الحقائق التي درسناها دراسة موضوعية بعيدة عن الهوي والتعصب، وأخضعناها للمنهج العلمي الدقيق علي هيئة أجزاء متتابعة طلبا لمرضاة الله أولا، وإحقاقا للحق ثانيا والله من وراء القصد، وبه بلوغ المراد وصلي الله علي سيدنا محمد وعلي آله وصحبه وسلم

الفقيد إلي الله تعالي

فوزى محمد ابوزيد

الجميزة – غربية

ت: ٤٨٠٥١٩ الجميزة

مساء الأحد ١٠ من ربيع الآخر ١٤١٧هـ الموافق ٢٥ من أغسطس ١٩٩٦م

الفصل الأول

رسالة الصوفية فى الحياة العصرية

أ- الصوفية واصلاح المجتمعات

أولا : اصلاح النفوس

ثانيا : نشر القيم والفضائل

ثالثا : مقاومة التيارات المادية

رابعا : طهارة القلوب

خامسا : التكافل الاجتماعي

سادسا : حل المنازعات

سابعا : نصرة المظلوم

ثامنا : إصلاح المنحرفين

تاسعا : عمارة المساجد

عاشرا : العلاج النفسى

ب- الدعوة إلى الاسلام

ج- الصوفية والعلوم العصرية

د- الصوفية وريادة العلوم



رسالــــة الصوفيـــة
فـــي الحيـــاة العصـــرية

الصوفية رسالة جادة وهادفة في الحياة الاجتماعية وإن كان كثيرا من الناس يجهلونها فذلك لأن الصوفية قوم لا يبغون بعملهم ظهورا ولا شهرة، ولا يطلبون مقابل عملهم عوضا دنيويا بل ولا أجرا أخرويا، وإنما بغيتهم في أعمالهم رضاء الله عز وجل وشعارهم في ذلك قول الله عز وجل: **«إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاءا ولا شكورا»** [الآية (٩) الانسان] هذا فضلا عن رسالتهم السامية في العمل علي نشر لواء الدعوة الاسلامية وسنحاول ايضاح ذلك باختصار فيما يلي:

أ- الصوفية وإصلاح المجتمعات

إن الهدف من التصوف هو بناء المجتمع المسلم علي أساس من الفضيلة والخلق السليم، والتمسك بمبادئ الدين القويمة، وتعاليمه السامية، وأن تحل الأخلاق بين أفراده مقام القانون بأن يكون للمسلم وازع من ضميره يدفعه إلي الحرص علي الكمال وطلبه وقد لخص الأستاذ/ عبد الحفيظ فرغلي القرني في كتابه: (التصوف والحياة العصرية) صـ٢٥ ذلك في هذه العبارة «رسالة التصوف وأهدافه، خلق مجتمع سليم، قوامه الفضيلة والأخلاق، والتمسك بمبادئ الدين الكريمة، وتعاليمه السامية القويمة، وتفهم روحه العالي، وأن تقوم الأخلاق بين أفراده مقام القانون، بأن يكون لكل فرد منهم وازع من نفسه، ودافع تلقائى يدفعه إلي الحرص علي الكمال وطلبه، والرغبة في النفع والخير المطلق، لصالح نفسه وجماعته التي ينتمي إليها، وأن يكون رائد هؤلاء جميعا أولا وأخيرا معرفة ربهم وتوثيق صلتهم به، عن طريق

التقرب إليه بفرائضه التي افترضها، والنوافل التي استنها نبيه صلي الله عليه وسلم» انتهي وفي ذلك يقول سيدي أحمد البدوي رضي الله عنه: «ليس التصوف الزهد أو لبس الصوف.. إنما التصوف أعمال ومجاهدة وأخلاق والأخذ بأيد الناس إلي خير الدنيا والآخرة» ويقول في ذلك سيدي ابراهيم الدسوقي رضي الله عنه ايضا: «لا يكتمل مقام الصوفي حتي يكون محبا لجميع الناس، مشفقا عليهم، ساترا لعوراتهم، فإن ادعي الكمال علي خلاف ما ذكر فهو كاذب» ويقول الشعراني رضي الله عنه: «من لبس جديدا، أو أكل هنيئا، أو ضحك في نفسه، أو سعد في بيته والأمة الإسلامية في كرب أوشدة، فقد برئ منه الاسلام» هذا هو التصوف، وتلك أهدافه التي نرجو أن تتحقق، وبها يسود المجتمع روح المودة والتعاطف، ويسعد الناس جميعا برباط الحب الذي يربطهم بالسماء ويخلق بينهم جوا روحيا صافيا يقضي علي كل بغضاء وشحناء، وبذلك تعود الأخوة الاسلامية الصافية التي زرع النبي صلي الله عليه وسلم شجرتها في المهاجرين والأنصار فأتت أكلها، وزكا فرعها، وامتدحها الله العلي بقوله: **«محمد رسول الله والذين معه أشداء علي الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم في وجوههم من أثر السجود»** [الآية (٢٩) الفتح] وفي سبيل تحقيق ذلك اتخذ الصوفية وسائل كثيرة أشار اليها الشيخ عبد الحفيظ فرغلي القرني في كتابه (التصوف والحياة العصرية) صـ٥١ فقال: «ووسيلة التصوف لتحقيق السعادة في الحياة هو إصلاح النفس أولا، وتهذيبها والتسامي بها عن الشهوات، ولهم في ذلك منهاج قاس يلزم به المريد نفسه، تحت اشراف شيخ بصير بمفاوز الطريق، حتي يحررها تماما من أهوائها، ويقطعها عن مألوفات عاداتها، وحتي تتدرج في مراتب الكمال، فتقطع مراحلها السبع في نجاح واطمئنان. قد يكون هذا طابعا فرديا، ولكنه في النهاية يخلق مجتمعا متكاملا، يتميز أفراده بصفات مثلي، وأخلاق فضلي،

وكلما نضج أفراد المجتمع خلقيا وفكريا نشأ منهم المجتمع المثالي الذي يسوده الأمن والتعاون» وعن أهمية الشيخ المربي في إصلاح المجتمعات يقول الأستاذ/ سعيد حوي في كتابه: (تربيتنا الروحية) صـ٢١٤ «وانني أعتبر أن المهمة الأولي لجماعة المسلمين هى أن توجد طبقة من الشيوخ الكمّل تستوعب احتياجات المسلمين التعليمية والتربوية والسلوكية» ثم يبين ضرورة الشيخ في العلم والتربية في نفس المرجع صـ٢١٧ فيقول:

«١- إن الشيخ البصير في الأمور يختصر لك الطريق.

٢- إن الشيخ الكامل يجنبك الخطأ في الفهم أو الخطأ في السلوك أو الخطأ في التصورات التي يمكن أن تنشأ عن سير الانسان نفسه.

٣- إن الشيخ من خلال صحبته تأخذ منه حالا وتأخذ منه سمت العلماء وأدبهم ونور العلم وتنوير القلب.

٤- إن مجرد قبول الإنسان أن يأخذ العلم أو التربية عن أهلها يحرره من كثير من الأمراض كمرض الغرور أو العنجهية أو الكبر.

٥- إذا كان الشيخ صالحا وداعيا إلي هدي فإن الانتفاع به في الدنيا والآخرة تدل عليه النصوص.

٦- والتجمع حول شيخ والمشاركة في حلقات العلم والذكر والتآخي الخاص في هذه الأجواء تترتب عليه مصالح كثيرة في الدنيا والآخرة. إن نقطة الانطلاق الصحيحة هي وجود الولي المرشد» انتهي وخطة الصوفية لاصلاح المجتمعات تكون بما يلي:

أولا : اصـــــلاح النفـــوس:

يري الصوفية أنه لا يمكن للمجتمعات أن تسعد وتنعم بالهدوء والسكينة إلا إذا قـضت علي أمـراضــهـا المعنوية وهـي أمـراض تصـاب بهـا النفـوس فتجعلها تتعالي بالباطل، وتتسم بالأنانية وتتصف بالشره والبخل وتتعامل بالربا والخـديعـة واللؤم والنفـاق وأبرز هذه الأمـراض هي: الحسـد والرياء والنفاق والكبر والعُجب والغرور والبخل والكذب والخيانة والتكالب علي المال والجـاه والقـسـوة والوقـاحـة وكـراهيـة الناس والجبن وعـدم الثـقـة والغـضب والانتقام وقطع الرحم والنميمة وكفران النعمة وحب الذات .... الخ.

فكانت دعوة الصـوفـيـة إلي تربيـة الفرد تربيـة مثـاليـة والأخذ بيده ليكون إنسانا سويا في الحياة، علي علاقة طيبـة بمجتمعه وعلي علاقة طيبة بخالقه ولا يكون ذلك إلا باقتـلاع الأخـلاق التي أشـرنا إليـهـا من جـذورهـا وتهـذيب النفس وتربيـة الضـمـير بإحيـاء المثل والفضـائل كالاخلاص والتواضع والجود والصـدق والأمـانة والقناعـة والرحمـة والحيـاء والأدب وحب الخـيـر للناس والشـجـاعة والثـقـة والحلم والعـفـو وصلة الرحم وشكر النعمـة ونكران الذات والإيثار والوفـاء وغيرها حتي يصبح الإنسـان تلقـائيا في مـعاملتـه المثـاليـة ومطبوعا علي فعل الخير من غير استكراه أو تأفف.

ويقول في ذلك الدكتور أحمد أمين في كتابه (فيض الخاطر حـ٥): «لكن التصوف له دور كبير أيضا في بناء الخلق الاجتماعي، باعتبار أنه يتغلغل في طبـقـة عـريضـة من الشـعـوب، وبناؤه للأخـلاق الاجـتـمـاعـيـة بناء عـملي منهجي، يُعني فيـه بالقدوة والمثل، والسلوك والتوجيـه والمتابعة، والتـصـوف يطبع الفرد علي سلوك كريم، فيـه إحيـاء للضـمـيـر، وشـعـور بالمسـئـوليـة، ومـحـاسـبة للنفس، ومراقبة لله، وهذا السلوك الفردي هو الذي يكون السلوك الاجتماعي، فما المجتمع إلا مجموعة أفراد. وغني عن القول أن أذكر دور

التصوف في بناء الأخلاق الفاضلة، فهو صاحب المثالية الخلقية، وحامل لوائها، ومن بين صفوفه برز رجال أفذاذ، حملوا إلي العالم أروع ما تحمله الآثار الطيبة والذكريات العطرة، والبطولات النادرة في الأخلاق والفضائل.،

ويكفي أن التصوف لم يكتف بما للفضائل من أسماء تدل عليها، ولكنه جعل من هذه الأسماء حقائق ناطقة، وأرواحا منطلقة مشرقة، تفيض علي أصحابها ومَنْ حولهم نورها، وتمدهم بمكنون أسرارها، وتكسوهم من فيض جمالها وجلالها، ما يرفعهم إلي مرتبة القديسين والصديقين» فالتصوف هو صانع المثالية الخلقية، التي تستهدفها نظم الاسلام وتشريعاته، وهو محقق الدعوة الكريمة التي دعا إليها الرسول الكريم، ومن أجلها بعث وكافح وجاهد.

إن التصوف يريد إقامة مجتمع أخلاقي ترفرف عليه أعلام المحبة والسعادة، وتهب علي جوانبه نسائم الحرية والكرامة والعدل.

ومشايخ الطرق مدارس تربوية لها أثرها العظيم في بناء المجتمع، بل لا نبالغ إذا قلنا أن أثرها أعظم بكثير مما تفعله المدارس والجامعات. ذلك أن الأمر علي يد الشيخ يختلف عنه في المدرسة أو الجامعة، فالطالب في الجامعة يتعلم العلم اليوم من أجل الحصول علي الشهادة فقط، وليس من أجل الاستفادة بما يتعلمه في حياته ويطبقه علي سلوكه، أما المريد أمام شيخه فهو حريص علي علاقته بالشيخ، ولذلك لا يستطيع أن يقصر في واجباته.

ثانيـــــا: نشر القيم والفضائل

إن التصوف سلوك عملي وترجمة حقيقية للأخلاق، وقد حول الصوفية الأخلاق إلي مقامات يجاهدون في سبيل الوصول إليها، حتي إذا وصلوا إليها تحققوا بها، وأثمر هذا التحقق درجات من المشاهدة وألوانا من المعرفة، تركت في نفوس أصحابها وفي الطريق الصوفي آثارا كبيرة ومن أعظم المبادئ والمثل التي تمسك بها الصوفية وكان لها أثر كبير عليهم وعلي من حولهم مبدأ الأخوة والمساواة والايثار والحرية والزهد والعزة والفتوة والصفح وغيرها والتي حطم بها الصوفية القيود التي وضعها الانسان، وطبق رجاله التعاليم الإسلامية الصحيحة التي تدعو إلي تلك القيم، وفي صفوفهم وحلقاتهم يتساوي الجميع، وفي أخوتهم تمحي الفوارق وتتلاشي الحواجز، ويزول التباهي بالأحساب والأنساب. وهذه المبادئ في جملتها هي التي صنعت الدولة الاسلامية الأولي، وجعلت من المسلمين قوة جبارة انطلقت لتبني وتعمر وتبشر بدين الله.

وما أحوجنا الآن في حياتنا التي أعمت المادة فيها عيون الناس إلي هذا القبس الصوفي الوضاء، ليضئ لنا معالم الطريق، ونتنسم في ظله أنسام الصحة الروحية، والعزة الدينية.

ثالثـــــا: مقاومـــة التيـــارات الماديـــة

إن الاتجاه المادي الذي يسيطر علي العالم اليوم، ويدفعه إلي التسابق المجنون في شتي ميادين الصراع يحتاج إلي قوة تكبح جماحه وتوقفه عند حدوده، وتجعل هناك توازنا بين الخير والشر، ولن تكون هذه القوة سوي قوة الروح التي يستمدها الناس من الاتجاه إلي الأفق الأعلي، حيث يشعرون بالأمن والراحة والاستقرار، حيث ينسي الانسان أحقاده وآلامه

وشراسته، ولا يذكر إلا أنه عبد ضعيف لا حول له ولا قوة تصرعه نوبة من سعال لا يعرف مصدرها، وتقتله لفحة من برد، ويقضي عليه انفجار شريان صغير لا تكاد تراه العين، ويلقيه طريح الفراش ألم مفاجئ لم يكن يتوقعه.

ولهذا فقد اضطر المجتمع المادي أن يحني قامته لهذا المجتمع الروحي الرحيب فأدرك عقلاء الغرب ومفكروه أن التصوف ملجأ أخير يحفظ للانسان كرامته، وينقذه من حريته، ويهديه الأمن والرحمه والسلام، ذلك التصوف الذي نبع في حمي رسالة السلام والإسلام والذي قال الله في حق المؤمنين بها: «والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا، وإن الله لمع المحسنين».

لقد أفلست كل المذاهب والفلسفات في الغرب فكرا وتطبيقا، وأفلست روحيا وإنسانيا، وأفلست علاجا، وأفلست حلا فكل شئ هناك يسير إلي النهاية، وقد فشلت كل العقاقير والأدوية في إنقاذ هذه الحضارة، وقيمها البالية، لم يعد هناك أمل في الغرب، كل شئ ينهار، إن أوربا - كما يقول المرحوم إقبال - تحتضر والروح تموت عطشا في سرابها الخادع، فيها حضارة، نعم، ولكنها حضارة تحتضر وإن لم تمت حتف أنفها فلسوف تنتحر غدا وتذهب، والحل كما يقول العلامة الندوي في الاسلام الذي يقود سفينته محمد صلي الله عليه وسلم.

أصبح الحل كما يقول العلامة الفرنسي برجسون: «الانسانية اليوم أكبر ما تكون حاجة إلي الوثبة الروحية حتي تقيم التعادل مع وثبتها المادية.

إن الجسم الذي تضخم ينتظر الآن نفخة روحية، وإن الآلية بحاجة إلي صوفية، ولعل أصول هذه الآلية صوفية أكثر مما يظن، وهي لن ترتد إلي اتجاهها الحق ولن تكون خدماتها متناسبة مع قوتها إلا إذا استطاعت الإنسانية التي انحنت بتأثيرها نحو الأرض أن تتوصل بتأثيرها أيضا إلي الانتصاب ثانية والرّنو إلي السماء. ثم يقول: وما أحسب أن النجدة المنقذة

إلا آتية من قبل مشرق الشمس من الشرق الروحي الذي يملك أروع القوة الصوفية».

وهكذا نجد أن الحاجة إلي التصوف، لا تقف عند حدود بلادنا وما تستوجبه ظروفها من أعباء سياسية وعسكرية واجتماعية ولكن العالم كله من أقصاه إلي أقصاه يشعر الآن بحاجته الشديدة إلي هذه الدفعة الروحية لتنقذه من حيرته المادية وتلهمه السداد في طريقه وتحرس خطاه لقد ثار علماء الغرب علي المادة لأنهم يدركون تماما أن المادة لا عقل لها، ولذا فقد عصفت في طريقها بكل شئ، وجرفت في تيارها الأخلاق والمثل والمبادئ، وطوحت بالعقائد والروحانيات المتوارثة، وبنت حياة الناس علي أساس منهار، إن عاش قليلا فلن يدوم طويلا، وصدق الله حين يقول: **«حتي إذا أخذت الأرض زخرفها وازينت، وظن أهلها أنهم قادرون عليها، أتاها أمرنا ليلا أو نهارا فجعلناها حصيدا كأن لم تغن بالأمس»** [الآية (٢٤) يونس] وهذا ما جعلنا نسمع الدعوة إلي المبادئ الروحية من صميم الغربيين أنفسهم فبرناردو شو يقول: «ما أحوج العالم الآن إلي رجل مثل محمد يعالج مشاكله» ويقول أيضا: «لقد وضعت دائما دين محمد موضع الاعتبار السامي، بسبب حيويته العظيمة، فهو الدين الوحيد الذي يلوح لي أنه حائز أهلية العيش في أطوار الحياة المختلفة بحيث يستطيع أن يكون جذابا في كل زمان ومكان».

وفي الحقيقة لن يقي بلادنا شر التيارات الوافدة المتحللة سوي نزعة روحية سامية تقف في وجه الإلحاد والزندقة والوجودية والشيوعية والتعصب الممقوت، وغير ذلك من نزعات لا هدف لها سوي القضاء علي هذا الدين الحنيف، الذي يري فيه أصحاب هذه النزعات سدّا منيعا يحول بينهم وبين ما يبتغون من سيطرة وإستعلاء وإفساد وفي ذلك يقول الأستاذ طه عبد

الباقي سرور في كتابه: (أعلام التصوف الاسلامي) جـ١ صـ١١: «إن هذا النصر الكبير الذي حققه الانسان في عالم المادة سيبقي شرا حتي يضاف إليه انتصار مماثل في عالم الروح وحينئذ يوجد أروع نموذج للإنسان السيد المؤمن القادر، لقد انهارت العوائق المادية أمام العقل المادي، وواجبنا الأقدس أن نفتح لقلبه الآفاق الروحية بأنوارها وإشراقاتها وإيمانها لنوجد الإنسان الخليفة تاج الخليقة» فالمجتمع الذي أساس التعامل فيه المادة فحسب، وتقوم العلاقات المادية فيه مقام العلاقات الروحية يمتلأ بالشقاق والنزاع والضيق والفشل الذي يؤدي في النهاية إلي الخراب والدمار، والمجتمع الخالي من الفضائل والأخلاق، لا يكون إلا مجتمع غاب، وميدان وحوش، الغلبة فيه للظفر والناب لا للعقل المفكر أو القلب الكبير، وهذا ما هو واقع فعلا في الدول المادية.

لو أن القوة الروحية هي التي توجه أنظار العالم الغربي لما ذهبت بلايين الدولارات أدراج الرياح في التسابق المحموم في اقتناء الأسلحة المدمرة، والتفنن في اختراعها، والانقلابات والمؤامرات، وعصابات الخطف والابتزاز والتهديد، ولاستطاعت أن تحل مشكلات الجوع والفقر والتخلف التي تسود بقاعا كثيرة، وتقتل أقواما أبرياء، وينشأ الكثير منهم عجزة أو مشوهين أو منحرفين.

إن التربية الصحيحة، والقدوة الكريمة، والبعث الروحي، والصورة المثالية للفرد والأمة التي يحققها التصوف هي التي تعيد لنا توازننا، وتصحح لنا خطواتنا وفي ذلك يقول الدكتور عبد الودود شلبي: «لن يستطيع الشرق أن ينهض بالمال وحده، فالمال يتبدد فيما لا يجدي، وينفق في الكماليات التي لا تفيد، والشرق يفتقد القوة التي يتسلح بها الغرب المادي، ويحكم عليها قبضته، فلا يسمح بتسريبها الي الشرق إلا بمقدار، فلم يبق أمامنا إلا أن

نخوض داخلنا عن طريق الأخلاق الفاضلة التي تمسح عن نفوسنا الأوضار، وتبعث فينا القوة، وتمدنا بمقومات الحياة والانتصار، وهذه الأخلاق طريق بعثها التصوف، وهذا دوره المنتظر» [عن كتاب (التصوف والحياة العصرية للشيخ عبد الحفيظ القرني] إن الزهد الذي يدعو إليه التصوف هو الذي يقاوم المطامع الشهوانية، والرغبات المادية، والتطلع إلي الجاه والمناصب، والانشغال بحطام الدنيا الزائف والزائل فلنقرأ عنه هذا الحديث في كتاب (الدين والحياة) للأستاذ أحمد عبد الجواد الدومي: «لننظر سويا إلي عُبادة بن الصامت وهو يدخل علي المقوقس حاكم مصر ولنسمع إليه وهو يقول له: لا يبالي أحدنا إن كان له قناطير من ذهب أو كان لا يملك إلا درهما، فإن غاية أحدنا أكلة يأكلها، فيسد بها جوعته ليله ونهاره، وشملة يلتحفها، فنعيم الدنيا ليس بنعيم، ورخاؤها ليس برخاء، إنما النعيم والرخاء في الآخرة، فيغلب عُبادة بذلك المقوقس ويفحمه».

وهو ذلك الزهد الذي نراه في عمير بن سعد والي حمص من قبل عمر بن الخطاب، الذي امتُحن بالدنيا إذا أقبلت عليه، والإمارة وقد أسندت إليه، ثم يعود إلي امرأته بعد فترة فتنكر معرفته مما اعتراه من هزال وشحوب، فتقول له: أهو أنت عمير والي حمص ولك من العطاء كذا وكذا؟ فيرد عليها قائلا: ومتي كانت الولاية مغنما يا نائلة؟

وهو ذلك الزهد الذي تمثل في الجنيد إمام الصوفية، وقد أقبل عليه أحد الموسرين بصرة مملوءة بالدنانير وقال له: خُذْ هذه الصرة ففرقها بين أصحابك. فقال له الجنيد: ألك غيرها؟

قال: نعم كثير، فقال له: أتطمع في غيرها؟ قال: نعم

فقال الجنيد: إذن خذها فأنت أحوج إليها منّا.

وهو ذلك الزهد الذي نراه في الفضيل بن عياض، الذي يعرض عليه

هارون الرشيد ألف دينار لينفقها علي عياله، فيردها وهو في أشد الحاجة إليها، وتقول له امرأته: يا هذا، تري ما نحن فيه من ضيق وشدة، فلو قبلت هذا المال ففرجنا به ضائقتنا؟

فيجيبها: إنما مثلي ومثلكم كمثل قوم كان لهم بعير يأكلون من كسبه، فلما كبر نحروه وأكلوا لحمه، موتوا يا أهلي جوعا، ولا تذبحوا فضيلا»

وهو الذي نراه في أبي ذر الغفاري الذي يريد معاوية أن يسكته عن دعوته فيرسل له ليلا من يضع بين يديه ألف دينار، ثم يرسل إليه في الصباح من يستردها منه زاعما أن المقصود بها غيره، فيجده قد وزعها علي جيرانه الفقراء.

وقد قال في ذلك جمال الدين الأفغاني: «ما أعظم الدينا في نفوس الناس، وإن أعظم منها من يُعرض عن غوايتها، ويستهين بفتنتها».

فالثورة الروحية التي يتوق إليها المصلحون، تعني انطلاق القوة الصوفية السليمة في جميع جوانب حياتنا العربية والاسلامية حتي تمتلئ قوة وعزة ونقاء وصفاء، فلقد كان الروح الصوفي هو القوة الكامنة وراء العزة الاسلامية التي لم تنهزم أمام المدنية ولم تزُل حيال بريقها، ولم تلن أمام وثبات الجاهلية الباغية وحشودها عبر السنين والقرون.

رابعا: طهارة القلوب

يحرص الصوفية علي أن يكون من انتسب إليهم صافي النفس، سليم الصدر، لا يحمل همّا لأحد ولا حقدا علي أحد، سبّاق إلي الخير، محب لاخوانه، لا يقابل السيئة بالسيئة وإنما يقابل السيئة بالحسنة فالصوفي الحق هو الذي يعمل بقول رسول الله صلي الله عليه وسلم فيما يرويه أنس

بن مالك رضي الله عنه: «يابني إن قدرت أن تصبح وتمسي وليس في قلبك غش لأحد فافعل، ثم قال: يابني وذلك من سنتي، ومن أحيا سنتي فقد أحبني، ومن أحبني كان معي في الجنة».

يقول السهروردي تعليقا علي هذا الحديث: «فالصوفية هم الذين أحيوا هذه السنة، وطهارة الصدور من الغل والغش عماد أمرهم، وبذلك ظهر جوهرهم وبان فضلهم، لأن مثار الغش والغل محبة الدنيا، ومحبة الرفعة والمنزلة عند الناس، والصوفية زهدوا في كل ذلك».

وقال أبو حفص: «كيف يبقي الغل في قلوب ائتلفت بالله، واتفقت علي محبته، واجتمعت علي مودته، وأنست بذكره، إن تلك القلوب صافية من هواجس النفوس وظلمات الطبائع» [عن عوارف المعارف صـ١٩٣] ولا شك أن الصوفية سبقوا غيرهم – وما زالوا يسبقون – في شريعة من أسمي الشرائع هي شريعة الحب، هذه الشريعة إذا سادت قضت علي كل داء من أدواء الانسانية، ومسحت كل بؤس في المجتمع. ووضعت التكافل الاجتماعي موضعا تنفيذيا تلقائيا . فالمحبة هي قوام كل شئ في النهج الصوفي، فالكون خلق بالحب، ويدرك بالحب، والله جل جلاله لا تدركه الأبصار، ولا تحيط به العقول، ولكن الصوفي يوقد مشاعل الحب في قلبه ووجدانه وروحه فيمتطي بذلك المعراج الأكبر الذي يصله بربه، ومن حبه لربه سبحانه تنبثق محبته للكون، فالصوفي يحب كل شئ في هذا الوجود حبا متفرعا من حبه لمبدع الوجود والسيد أحمد البدوي رضي الله عنه يقول في ذلك: «أحببه (أي الله سبحانه وتعالي) يحبك أهل الأرض والسماء» وسيدي ابراهيم الدسوقي رضي الله عنه يقول: «لا يكمل الصوفي حتي يكون محبا لجميع الناس، مشفقا عليهم، ساترا لعوراتهم، فإن ادعي الكلام علي خلاف ما ذكرنا فهو كاذب». وقد تنبه الغربيون أخيرا إلي ما سبق إليه الصوفية من أسس في

بناء المجتمع الفاضل فقال الكاتب الأمريكي «أدد»: «إنني سأكون أسعد حالا إذا سلكت إلي معونة الناس سبيلا تمكنهم من أن ينجزوا أعمالهم بدلا من أن ينحصر تفكيري في أعمالي الخاصة، إن صداقة الناس كافة ومحاولة معونتهم، هو في اعتقادي أفضل ما في الحياة، كما أنه الوسيلة الوحيدة لقضاء حوائج الانسان».

وهكذا بهذه العاطفة النبيلة حقق الصوفية التكافل الاجتماعي، فأخذوا بيد الضعيف، وواسوا المحروم، وأعطوا المحتاج، وعلموا الجاهل، وهدوا الضال، وأنقذوا الناس، وحموا العقائد من دواعي الكفر والالحاد، ووقفوا أمام التيارات الجارفة المتحللة وقفة صامدة، وبذلك حفظوا للدين قدسيته وكرامته، وللاسلام عزته ومنعته

خامســـا: التكافل الاجتمــاعي

لم ينعزل الصوفية عن مجتمعهم، وتدل مواقفهم علي أنهم كانوا إيجابيين شاركوا أفراد مجتمعهم همومهم وآلامهم، وسعوا جاهدين لكشف الضوائق عنهم، فقد تمسكوا بتعاليم الكتاب والسنة التي تحث علي التكافل والتعاون . عن طريق البذل والانفاق لاسعاف المنكوبين وإراحة المتعبين عملا بقوله عز وجل: **«وأنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتي أحدكم الموت فيقول رب لولا أخرتني إلي أجل قريب فأصدق وأكن من الصالحين»** [الآيتان (٩، ١٠) المنافقون] وعملا بقول رسوله الكريم: **«من فرج عن مسلم كربة من كرب الدنيا، فرج الله عنه كربة من كرب يوم القيامة»** [رواه البخارى] وعلي ذلك فقد كان لهم دور كبير في الرعاية الاجتماعية للأيتام والفقراء والمساكين والمرضي والعجزة والأرامل وطلاب العلم، ويبرز دورهم في ذلك خاصة في الأزمات

الاقتصادية التي تصيب المجتمعات وتحدث مجاعات أو غلاء، والأمثلة في هذا المجال يضيق الحصر عن ذكرها.

ويتجلي تنفيذ الصوفية لمبدأ التكافل الاجتماعي في إحياء المناسبات والمواسم الدينية، والاحتفال بذكري الأولياء والصالحين وما يصحب ذلك من جو يفيض بالخير والرحمة والتعاطف والحب والمقصود من إقامة الموالد إحياؤها علي الصورة المثالية، وإقامتها علي الطريقة الشرعية. ففي إحياء الموالد بصورتها الصحيحة كفالة اجتماعية، فهي مواسم للبر يقدم فيها الطعام، ويفشي السلام، وتنتشر فيها الثقافة الإسلامية، وتنشط التجارة، وغير ذلك من وجوه المنافع وقد أشار إلي ذلك المستشرق «لين» حيث يقول: «إن ساحات الأولياء في البلاد الإسلامية كانت الحصون الشامخة التي تولت حفظ قلب الأمة الإسلامية وصانته وحمته من الغزو الفكري الملح العنيف الذي استهدفت به أوربا فصل المسلمين عن عقائدهم، ثم هي فوق ذلك مواسم للخير والبر وساحات للعبادة والذكر وأسواق للتجارة، ومنافع للناس، ومنابر للكلمة المباركة والمواعظ الحسنة، ومهرجانات شعبية يتنفس فيها خاصة قطاع من أكبر قطاعات مجتمعنا الاشتراكي التعاوني» [مجلة الاسلام والتصوف – العدد السادس – السنة الثالثة]. هذا يمكن تحقيقه وبخاصة حين تتطور صورة الموالد إلي ما يجب أن تكون عليه من تطبيق عملي للوصايا والمقترحات الخاصة بذلك وبالتعاون التام بين وزارات الأوقاف والثقافة والشئون الاجتماعية والأزهر ومشيخة الطرق الصوفية وغيرها من الهيئات المختصة. وفي ضوء ذلك التعاون يمكن أن تقوم الموالد برسالة تثقيفية كبري، يمكن عن طريقها تنقية التصوف مما علق به من أوهام لا تمت إليه بصلة، وتنقية الأذكار مما يتنافي مع الأداء الشرعي وآدابه السامية.

كما قام الصوفية بالحث علي الصدقة والاحسان العام إلي الفقراء واعتبروا ذلك سلوكا للتقرب إلي الله والعمل علي مرضاته، وكانوا قدوة طيبة في هذا المجال، والقدوة هي الوسيلة التي يتمكن بها المصلح الاجتماعي من أداء رسالته، ومن الوسائل التي اتخذوها لتحقيق التكافل الاجتماعي كذلك أنهم أخذوا علي عاتقهم إحياء النذور والاكثار منها والوفاء بها، وذلك بالتذكير بهذا الحق، وفي ذلك رحمة وبر بالفقير، ودعوة اجتماعية كريمة وعملا بقوله صلي الله عليه وسلم: «صنائع المعروف تقي مصارع السوء» وفي ذلك يقول أحد الصالحين: «إن الله عودني عادة وعودته عادة، عودني أن ينعم علي، وعودته أن أنعم بنعمته علي عباده، فإن أنا قطعت عادتي أخاف أن يقطع عادته».

ولا شك أن الجهود الفردية في المعاونة والمساعدة تخفف العبء عن الحكومات في جهودها الرامية إلي مساعدة المحتاجين والمعوزين، وعن طريق التوعية الصحيحة في تقديم النذور، وعن طريق صناديقها يمكن إنشاء مشروعات كثيرة لصالح المحتاجين والفقراء.

سادسا: حل المنازعات

كان للتصوف دور كبير في فض المنازعات وإقامة السلام والأمن في ربوع البلاد، والقضاء علي داء التشاحن والتباغض بين الناس في كثير من الأقاليم، وخاصة التي تنتشر فيها عادة الأخذ بالثأر، ولم تجد فيها قوات الأمن أو حملات الوعظ أو التخويف والزجر، ولكن كلمة بسيطة من رجل صوفي ملهم يكون لها فعل السحر في النفوس، فتستل دوافع الحقد منها، وتقضي علي دوافع الشر والفتنة، وتبسط سلطانها القوي علي الناس، فإذا بهم جميعا إخوة متحابون متآلفون يسعون في سبيل الخير والصالح العام.

ومن عجائب ما يروي في ذلك ما كتبه الشيخ علاء الدين النقشبندي عن والده الشيخ ضياء الدين النقشبندي في كتابه «رسالة طب القلوب» صـ٣٦ حيث قال: «كنت عند حضرة والدي في (شهر زور) إذ جاءه رجل عليه علامات الخوف والقلق، وبعد السلام والجلوس بين يدي حضرته بيّن له أنه قتل ابن أحد رؤساء العشائر في (زهاو) والتجأ إلي رؤساء المنطقة واحدا واحدا إلا أنهم رفضوا لجوءه؛ فاضطررت للالتجاء إليكم. فوجه والدي الكلام إلي وقال: يا ولدي علاء الدين! تهيأ للسفر إلي صاحب القتيل وعندما تواجهه بلغه سلامي وقل له إن والدي يقول: « »إن هذا القاتل الماثل بين يديك توسل بي لأطلب عفوه منك عما جناه، وها أنا قد أرسلته إليك فإن تعف عنه فذلك من أحسن الخيرات، وإن تأخذ القصاص فلا حرج عليك».

قال: فسافرنا حتي وصلنا إلي محله، وبعد ورودنا بساعة رأيت أنه أمر بإعداد بيت مؤثث كامل لم أعرف سبب اعداده. ولما حان وقت طعام العشاء نقلت له كلام والدي ورجاءه، فقال لي: إني عرفت قصدكم إلا أنني لو عفوت عنه الآن، بدون تمهيد، قتله أقاربي ولهذا سأزوجه بنتي وأجعله في مكان ابني حتي لا يتعرض له أحد.

وفعلا زوجه بنته وأجري العقد الأستاذ الملا محمد الذي كان يصاحبني في هذا السفر؛ فصارت تلك الحادثة ومعاملة وليّ المقتول للقاتل بهذه الطريقة الرائعة النادرة من النوادر؛ حيث لم يكتف بالسماح عن القصاص وحسب، بل اكرم القاتل وزوجه ابنته وظهر أن إعداد البيت المؤثث كان لهذا الغرض» انتهي. ويحكي الشيخ عبد الحفيظ فرغلي القرني مثل ذلك في كتابه (التصوف والحياة العصرية) صـ١١٨ فيقول: «حدثنا مرة أحد أساتذتنا في الأزهر الشريف أن احدي القري ضاق الوعاظ ورجال الأمن بإصلاحها ذرعا، وكاد لا يمر يوم دون أن يحدث بين أهلها مشاجرة وتسفك فيها دماء ويقتل أبرياء، واستعرت فيها نار الثأر، وبعد أن استحكم اليأس واشتد

البـأس نزل بهـذه القـرية أحـد شـيـوخ الصـوفيـة الصـالحين، ولم يمض علي وجـوده وقت طويل حـتي تصـافي الناس ونسـوا أحـقـادهم، ونزعـوا عـاداتهم السيئة، وساروا في الحياة آمنين مطمئنين»

والذي شـهدناه بأنفسنا أن الجـرائم والخـصـومـات لم تزد هـذه الزيادة الكبيرة في عصـرنا، إلا بعد انصـراف النـاس عن مشـايخ الصـوفيـة، وقلة نزولهم للبـلاد، فـقـد كـان رجـال الصـوفيـة – ولا يزالون – لا يسـمـعـون عن خصـومة بين طرفين إلا أسرعوا للصلح بين الطرفين بدون إستدعاء من أحد لأنهم يرون أن ذلك واجبا كلفهم به الله عز وجل في قوله: **«وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما»** [الآية (١٠) الحجرات] وكلفهم به النبي صلي الله عليه وسلم في قوله: «من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم»، وكان الله عز وجل بفضله ومنّه وكرمه يوفقهم ويجري الخير علي أيديهم لأنهم كانوا يتحرون في سعيهم قوله عز وجل: **«إن يريدا إصلاحا يوفق الله بينهما»** [الآية (٣٥) النساء]

سابعـــا: نصرة المظلوم

ضرب الصوفية المثل الأعلي في التعاون، وهم لذلك تخلقوا بصفة الفتوة، ومفهوم الفتوة عندهم سعي العبد في أمر غيره، وعن طريق هذه الفتوة حقق الصوفية أهدافا نبيلة لمجتمعاتهم فقد استغلوا مكانتهم الاجتماعية، وأسدوا إلي الناس الكثير من الخدمات حين وقفوا في وجه استبداد السلاطين وعمالهم، وتشفعو لرعاياهم، واستجيبت شفاعتهم، فقد كان لالتفاف الرعية حولهم وتقدير الناس لهم الأثر الكبير في سرعة استجابة الحكام لهم فهذا أبو الحسن الشاذلي رضي الله عنه يقول عنه صاحب درة الأسرار صـ٣١.
«فلمـا توجـهنا إلي المشـرق، ودخلنا الاسكندرية، عـمل ابن البـراء عـقـدا

بالشهادة أن هذا الواصل اليكم – يقصد الشيخ أبا الحسن – شوّش علينا بلادنا وكذلك يفعل في بلادكم. فأمر السلطان أن يعتقل بالاسكندرية. فأقمنا بها أياما.

وكان السلطان رمي رمية علي أشياخ في البلاد يقال لهم القبائل. فلما سمعوا بالشيخ أتوا اليه يطلبونه في الدعاء فقال لهم: غدا إن شاء الله نسافر إلي القاهرة ونتحدث مع السلطان فيكم.

قال: فسافرنا، وخرجنا من باب السدرة والجنادة فيه والوالي، ولايدخل أحد ولا يخرج حتي يفتش، فما كلمنا أحد ولا علم بنا. فلما وصلنا القاهرة أتينا القلعة فاستأذن علي السلطان. قال: وكيف وقد أمرنا أن يعتقل بالاسكندرية، فأدخل علي السلطان والقضاة والأمراء، فجلس معهم ونحن ننظر اليه. قال له الملك: ما تقول أيها الشيخ؟ فقال له: جئت أشفع إليك في القبائل فقال له: اشفع في نفسك،، هذا عقد بالشهادة فيك، وجهه ابن البراء من تونس بعلامته فيه، ثم ناوله إياه فقال له الشيخ: أنا وأنت والقبائل في قبضة الله. وقام الشيخ

فلما مشي قدر العشرين خطوة حركوا السلطان فلم يتحرك ولم ينطق، فبادروا الي الشيخ وجعلوا يقبلون يديه ويرغبونه في الرجوع إليه.

قال: فرجع اليه، وحركه بيده، فتحرك، ونزل عن سريره، وجعل يستحله ويرغب منه في الدعاء. ثم كتب إلي الوالي بالاسكندرية أن يرفع الطلب عن القبائل، ويرد جميع ما أخذه منهم، وأقمنا عنده في القلعة أياما، واهتزت بنا الديار المصرية».

وكثرت شفاعات أبي الحسن بكثرة المظلومين والمساكين والذين لا جاه لهم، والضعفاء وذوي الحاجات علي مختلف ألوانهم، وأخذ يتردد علي ولاة الأمور شافعا ومدافعا ومحاميا حتي لقد قال ابن دقيق العيد في ذلك: جهل

ولاة الأمور بقدر الشيخ أبي الحسن الشاذلي رضي الله عنه لكثرة تردده في الشفاعات. أما ابن عطاء الله فقد قال في ذلك معلقا علي كلمة ابن دقيق العيد: إن هذا الأمر لا يقوي عليه إلا عبد متخلق بأخلاق الله، بذل نفسه وأذلها في مرضاة الله، وعلم وسيع رحمة الله، فعامل عباد الله ممتثلا لقول رسول الله صلي الله عليه وسلم: «الراحمون يرحمهم الله، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء» علي أننا لا نترك هذا الموضوع دون أن نشير إلي أن أبا الحسن كان دائما يدعو الله قبل أن يسير إلي وساطة في الخير، وأدعيته في ذلك عليها طابع العبودة وفيها عبير الخشوع، وذلك ليشعر هو ويشعر الناس أن الأمور كلها بيد الله وأنه ليس إلا منفذا لمشيئة الله سبحانه وقد تفضل الله عليه فجعله سببا في الصالحات. ومن أمثلة ذلك: ما روي صاحب درة الأسرار قال: «وقال رضي الله عنه، وقد أراد أن يمشي للبعض في الدفع عن رجل من الصالحين: «اللهم اجعل مشي إليه تواضعا لوجهك، وابتغاء لفضلك، ونصرة لك ولرسولك، وزيّني بزينة الفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله، أولئك هم الصادقون. وخصني بالمحبة والايثار، ورفع الحجاب من الصدور في الليل والنهار، وقني شخ نفسي واجعلني من المفلحين. واغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان، ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم».

وكذلك كان الشعراني فمع أنه كان زعيما روحيا وإماما شعبيا، ومجاهدا عظيما، في تحرير العقول الإسلامية من الجمود والأساطير لم يشغله ذلك الجهاد عن سبيله في إنقاذ الجماهير من ظلم الولاة واستعباد الأمراء وخاصة أنه بلغ منزلة عظمي جعلت الحكام يقصدونه. فقد حدثوا أن السلطان سليم حين فتح مصر وأقام بقلعة الجبل، وفدت عليه الوفود، وقصده

الناس من كل فج، حتي أزمع الرحيل إلي تركيا فقال: هل بقى أحد من العلماء أو الأولياء لم نره؟

فقالوا له: ما بقي إلا رجل عظيم ولكنه صغير السن لم تجر عادته أن يقابل أحد من الولاة أو يحضر مجالسهم

فقال السلطان سليم: أنا أذهب إليه.

وذهب السلطان سليم وقابل الشعراني وأحبه واعتقده وقبل شفاعته في العفو عن القاضي محي الدين عبد القادر الرزوكي رأس الكتّاب بديوان القلعة، وكان قد غضب عليه السلطان وتوعده وأخذ منه السجلات، ويقال أنه أهدر دمه، فخشي علي نفسه ولجأ إلي الشعراني فاستجار به فأمنه، وانتهز فرصة زيارة السلطان سليم له فكلمه في شأنه فأجابه ورده إلي سابق عمله.

وفي عصرنا هذا كان الشيخ محمود أبو هاشم رضي الله عنه وهو من قرية بني عامر محافظة الزقازيق يذهب إليه الناس طالبين قضاء مصالحهم، فيطلب منهم أن يأتونه في الصباح، فيخرج معهم منذ الصباح متنقلا بين دواوين الأعمال المختلفة في المحافظة وغيرها حتي يقضي لهم جميعا مصالحهم ولا يرجع إلي بيته إلا بعد قضاء كل ما وصل إليه من مصالح الناس، وكان قرة عينه في رؤيته للبسمة تعلو الوجوه فرحا بقضاء المصلحة، وظل هذا دأبه حتي لقي ربه عز وجل والذي دفع الصوفية إلي ذلك هو قوله صلي الله عليه وسلم: «من مشي في حاجة أخيه قضيت أو لم تقض كان كعبادة سنة»

ثامنـــا: إصـــلاح المنحـــرفين

وللصوفية دور إيجابي كبير داخل المجتمعات، هو جذب عدد كبير من المنحرفين عن السلوك السوي، وإصلاح نفوسهم وتهذيبها، وتحويلهم من عناصر شر داخل المجتمع إلي عناصر خير، أي أن التصوف نجح في تنقية المجتمع من بعض عناصر السوء، وكتبهم تزخر بآلاف الأمثلة ممن كان لصا يقطع الطريق، كالفضيل بن عياض فتاب الله عليه، وأقبل علي الجد والاجتهاد حتي لحق بمرتبة الأفراد، وصار الملوك والأمراء يستأذنون في الدخول عليه، ويلحون في طلب النصيحة منه، أو كان من أهل اللهو والسوء كالشبلي عندما كان واليا، فندم علي ما سلف من سوء عمله وسقطاته، فتجرد من ثيابه وخرج من جميع ما كان عنده وأمر أهله بالخروج عما كان بأيديهم، وتصدق بكل ما لم يعلم له مالكا، وأمر أهله وأولاده وبناته بالتجرد وخير دليل علي صدق توبته أنه رُؤي عند موته مهموما، فسُئل عن سر ذلك فقال: إن أشد شئ عليّ الآن درهم اغتصبته من رجل أثناء ولايتي، وقد فتّشت عن صاحبه كثيرا فلم أجده، فتصدقت عنه بألوف، ومع ذلك لا أظن أن ذلك يُغني عني شيئا، وهذا هو الذي أهمني الآن وأنا ملاق لربي عز وجل.

وهناك العديد ممن سلك الطريق كانوا في لهو دائم يعملون في الطرب والغناء كالسيدة رابعة العدوية، فتركوا ذلك وتابوا إلي الله وأقبلوا علي العبادة وفي زمننا ايضا عدد كبير من هؤلاء ممن يسمون بالفنانات التائبات كشادية وشمس البارودي وهناء ثروت وشهيرة وسهير رمزي ومديحة يسري وغيرهن.

علي أية حال لقد ضم الصوفية إلي صفوفهم بهذه الطريقة أفرادا من كل طبقات المجتمع، كما سلك الطريق أيضا بهذه الوسيلة أفراد من الجنسين. كما كان لهذا المسلك أثر إيجابي عظيم يتمثل في الأوقاف الكثيرة التي أوقفها هؤلاء التائبون للزوايا والمساجد والتكايا والمستشفيات ودور العلم والهيئات

الخيرية المختلفة حيث أنهم كانوا يرون في ذلك خير وسيلة لتكفير ذنوبهم، كما أنها صدقة جارية تبقي لهم، ولو فحصنا بدقة ممتلكات الأوقاف لوجدنا أن معظمها قد جاء بهذه الطريقة، ولوجدنا أن أغلبها أيضا كان ملكا للصوفية مما يدل علي الدور العظيم الذي كان للصوفية في هذا المجال.

تاسعـــا: عمـــارة المساجــــد

أولي الصوفية الدعوة إلي الله عز وجل جُلّ اهتمامهم فقد كانوا يذهبون إلي شتي بقاع الأرض ناشرين لدين الله عز وجل، وقد دفعهم ذلك الي بناء المساجد لربط قلوب المسلمين الجُدد بهذه المساجد، ولدورها الديني والثقافي في حياة المجتمع، هذا فضلا عن أن كثيرا منهم كان يقوم ببناء المساجد استجابة لقول الله عز وجل: **«إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتي الزكاة ولم يخشي إلا الله فعسي أولئك أن يكونوا من المهتدين»** [الآية (٩) التوبة]، ولم يقم الصوفية ببناء المساجد فقط وإنما قاموا أيضا بالوظائف اللازمة لعمارتها وقد أظهروا تنافسا كبيرا في ذلك، فمنهم من كان يقوم بتعهدها ورعايتها وتنظيفها وخدمتها، ومنهم من تولي وظيفة المؤذن، ومنهم من كان يقوم بإمامة الناس في الصلاة، كما تولي كثير منهم وظيفة الوعظ والخطابة في المساجد، وكان لهم تأثير قوي في نفوس الناس لأنهم ينطقون عن عقيدة راسخة، وإيمان صادق، وتطبيق عملي لما يقولون، فقولهم يأخذ طريقة فورا إلي القلوب، ويكون له تأثيره المطلوب وقد سئل أحد الصوفية: ما بالك إذا وعظت أبكيت السامعين، وواعظ المدينة يعظ فلا يبكي أحد؟

فقال: ليست النائحة الثكلي كالنائحة المستأجرة

ومثل هذا الواعظ هو الذي نحتاج إليه الآن، وعمله هو قمة التكافل الاجتماعي الذي يأخذ بيد الناس إلي الطريق السوي، ويقودهم إلي الطريق

المستقيم، فليس التكافل في النواحي المادية فقط، بل هو في النواحي الروحية أيضا حيث يحرص الناجي علي أن يأخذ بيد أخيه عن طريق حثه علي الخير، ومنعه عن الشر.

عاشرا: العلاج النفسي

جاء الاسلام لهداية البشرية من الضلال إلي نور الحق، وكان من أولي مهامه إرساء قواعد مجتمع مثالي في علاقة أفراده بخالقهم، وفي علاقاتهم مع بعضهم البعض، وفي علاقاتهم بالمجتمعات الأخري، ومن أجل تحقيق هذا الهدف، فقد حث القرآن علي التمسك بالصفات الحميدة، والخصال النبيلة، والعمل من أجل خير الدنيا والآخرة مما يزيد الجماعة قوة وتماسكا.

فإذا خلد الانسان إلي نور الايمان وعرف أن دنياه قصيرة، وأن آخرته هي الأبقي، وأن ما يكابده في رحلته في الدنيا إلي الآخرة من نفع وضر إنما هو لصالحه، وذلك لتربية نفسه، وتعويدها علي مكارم الأخلاق، والصبر علي الفاجعات، حظي هذا المجاهد بعون الله ورحمة الله وعطاء الله وحب الله، وهو في ذلك لا يخسر شيئا في دنياه ولا في آخرته، وإنما علي العكس من ذلك تكسب نفسه السكينة والطمأنينة والأمن، فتُقبل علي ما هو خير وأبقي من حب الفضائل وأعمال الخير، وتنبذ ما هو لعب ولهو ولقد اهتدي الصوفية إلي أن ذلك هو الطريق الحق للصحة النفسية في الدنيا والآخرة، ورأوا أن حصول ذلك يكمن في تخلية النفس من نزعاتها الشهوانية وأهوائها النفسية، وأوصافها المذمومة، وتحليتها بالأوصاف المحمودة، وبذلك يمكن شحن فراغ النفس بعد التخلية، بمفاهيم ايجابية جديدة، ومبادئ سامية قويمة، حتي تتغير حال النفس وتتطبع بالمثل العليا والأخلاق الفاضلة، وتسلك طريقا أكثر أمنا وأعظم أملا. وتحققوا أن ذلك لا يتحقق للانسان إلا بالتربية السليمة، والتنشئة علي محبة الفضائل، وبالتمسك بمكارم الأخلاق، وبالتبصر بطريق الله،

وبالصبر علي المكـــاره وتحمل الفاجعات، والتزهد فيما عند الناس، والصبر علي الابتــلاءات والرضـــا بالاختــبارات، وبهذا الطــريق وحده تتفوق النفس علي أنانيـتـهـا، وتقـوي علي شـيطانـهـا، فـلا تنزع إلي الأهواء، ولا تميل إلي الشهوات. وإذا استقام الانسان، فإنه يلهم بالحقائق - فضلا من الله ومــنة - فيحيـا بالخشية قريبا من الله، وينجو بالخوف من وعـــيد الله، ويقبل بالرجاء في وعــده تعـالي، فتطمئن نفسه بحب الله، فلا تنشغل بســواه، وبذلك تنـسـي غرورها وتكبرها، وتجبرهـا، وتعاليها، فينصلح حالها، وتبتعد عن النقائص والآفات، وعن الوساوس والهواجس والأمراض.

ولا يتم ذلك للانســان إلا بواسطة الطبـيب الروحـاني المربي فـهـو الذي يساعد مرضاه ويوجههم بعد كشف العيوب للتخلص منها. فهو الذي يروض نفس الطالب ليجعلها قابلة لتغيير طبعها وتحسين أخلاقها، وذلك عن طريق الأدب مع الله، والتوكل عليه تعالي، حتي ترضي بما يأتيها من خير وشر، وتصبر علي الامتحـانات والاختبارات، وبذلك يصقل معدنها من دنسـها ونقصـها. ويعمل المربي جاهدا علي الأخذ بيد الطالب، ويحذره من عثرات الطريق، ويعرفـه أن مـوافـقـة الشـهـوات تقـود إلي الانتكاس والانحـراف والمعاصي والذنوب، إذ أنه ما زال في اختبار، إذا نجح فيه وصل إلي شاطئ الأمـان، وبه يدخل إلي طريق الله، أما إذا شعر بالعُجْب والرضا فإن ذلك يدل علي الفشل والنكسة، وعليه أن يبدأ من جديد في مخالفة نفسه الأمارة.

فـالمربي قـريب من مـريده، يسـير مـعـه خطوة خطوة، وعلي الطالب أن يصارح طبيبه بخواطره النفسية، ويكشف له عن باطن نفسه أولا بأول، وألا يكذب عليه، حتي يتمكن من معاونته وعلاج ما بقي من نفسه من شهوات وأهواء ويساعده علي القضاء علي أمراضه الباطنة.

ويجدر القول أن الطبيب المربي يحدد لكل طالب ما يناسبه من رياضات ومـجاهدات وأوراد ونصـائح، بل يحدد له ما يصلح له من أعمـال وأفعـال، كالعزلة والخلوة والصيام والذكر وقراءة الأوراد وتزكية النفس بأعمال البر

والخير والاحسان، وكل طالب يُقبل علي العلاج حسب ما تيسر له من بناء نفسي واستعداد للمجاهدة ومثابرة لتقبل الطريق الي الله. وليس ما يطبق علي هذا يصلح للتطبيق علي غيره.

ولا يزال مع الطالب حتي يتقدم شيئا فشيئا في مراحل الشفاء، فتصفو نفسه، وتترقي من حال إلي حال، ومن مقام إلي مقام، تتكامل شخصيته، وتصل إلي مراتب السمو الأخلاقي فيعرف طريقه، وتهنأ نفسه، ويعيش في كنف الله راضيا، ويشهد مالا عين رأت ولا أذن سمعت، ولا خطر علي قلب بشر.

وهكذا نجد أن الطريق إلي علاج النفس من أمراضها واضح وضوحا تاما عند الصوفية، لأن الطبيب المربي عارف برعونة النفس وجنوحها.

ولذلك فهو يبدأ مع الطالب بأن يطلب منه التخلي عن الحظوظ الدنيوية المؤقتة، والتوبة عن الآثام والذنوب. وإذا صدق المريد عرف طريقه، واستنار بأنوار الحق، فتستجيب نفسه إلي العلاج، وتتخلص من الكبر والعُجْب والأثرة وحب السيطرة والرياء وغيرها.

فالتوازن النفسى في التربية الصوفية يتركز في تعويد النفس علي تجنب الحظوظ والأهواء ، والبعد عن الرغبات الدنيئة، ومخالفة الشهوات الدنيوية الرخيصة، ورفض الملذات الزائلة، والاقبال علي ما هو باق خالد، عند ذلك ترضي النفس بحالها وأحوالها، وتواكب طريق الله مسترسلة معه أبدا لا تستهدف إلا محبته وقربته تعالي.

وهكذا نجد أن الصوفية نجحوا فيما فشل فيه علم النفس الحديث، ويصور هذا الفشل الدكتور حسن الشرقاوي في كتابه (نحو علم نفس اسلامي) صـ٤٣ فيقول: «إن علم النفس الحديث بمدارسه المختلفة قد تخبط في وصف أمراض النفس، وحاول علاجها بطرق سلبية، وأساليب تخديرية هي بمثابة مسكنات لأمراض سرطانية، ما يلبث أن يزول تأثيرها فيرجع

المريض إلي حالته الأولي من المرض والعصاب. ولقد استخدم لذلك أساليب وطرقا عقيمة كالايحاء، والتنويم المغناطيسي، والتنفيس، واللعب، والتداعي الحر، وتفسير الاحلام، والأباطيل. وغير ذلك من الطرق السطحية، وحتي لو افترضنا تخلص المريض عن طريق هذه الطرق من بعض أمراضه الباطنة، فإنه ما يلبث أن يشحن مرة أخري بأمراض جديدة أكثر ضراوة تزيد من تفاقم حالته».

ثم يؤكد الدكتور حسن الشرقوي صحة النتائج التي وصلنا إليها في هذا الباب فيقول صـ٤٤ من نفس المرجع: «وإذا كان علم النفس يريد حقا أن يتعرف علي حقيقة النفس البشرية، ويسعي إلي حكم رشيد علي الشخصية الانسانية، فعليه أن يغير من وسائله وغاياته، ويبدل نظرته المحدودة ليصبح قادرا علي الوصول إلي نتائج ايجابية تفسر السلوك الانساني تفسيرا صادقا وسليما.

ولن يتمكن علم النفس من الوصول إلي ذلك إلا إذا اتبع منهجا إسلاميا، قد استقي مادته من علم الله، وأخذ من آيات البينات نظرياته وأفكاره، فيعمق بذلك أبحاثه ودراساته، ولا يتناقض مع نفسه في تبرير فروضه المتخيلة، وتفسيراته العاجزة، وتحليلاته السطحية الفاترة»

أما عن دور الصوفية في علاج الحالات التي تنتاب النفس البشرية كاليأس والقنوط والوساوس والكبت والعقد النفسية والأحلام وغيرها فهذا أمر يحتاج إلي تفصيل واسع ليس هنا مكانه، ولكن الذي نود أن نشير إليه أن الصوفية هم أصحاب الباع الطويل في علاج الحالات النفسية، ووصف أحوالها وأطوارها وقد كانت – ولا تزال – بيوتهم مصحّات نفسية تستقبل المرضي النفسيين في كل وقت وحين وتقدم لهم العلاج وواجبات الضيافة بالبشر والترحاب، وكل ذلك ابتغاء لوجه الله عز وجل، وطلبا لمرضاته سبحانه وتعالي، لأنهم يعتقدون أن تلك مهمتهم، وهذه حقيقة رسالتهم.

ب - الدعـــــوة إلـــــى الإســــلام

انتشر الاسلام وسطع نوره في معظم أنحاء الدنيا بطرق ثلاث:

١- عقب الفتوحات الاسلامية وبعد انتهاء الحرب، وذلك نتيجة جهود المبشرين من الصحابة والتابعين الذين كان لأخلاقهم الاسلامية وسلوكهم الحميد الأثر الكبير في إقناع الآخرين بحقيقة هذا الدين.

٢- التجار والمهاجرون المسلمون الذين استقروا في بلدان كثيرة والذين استطاعوا أن يعرفوا شعوب الأرض بمحتوي الدعوي الإسلامية.

٣- الجهود الكبيرة التي كان يقوم بها متبعو الطرق الصوفية التي انتشرت في كل من آسيا وأفريقيا، والتي كان لها دور بارز في تأسيس الكثير من المراكز الدينية التي أسهمت بدور فعال في جذب الكثيرين إلي حظيرة الإسلام.

ولما كانت الدعوة إلي الاسلام لا تقوم بها جهة أو هيئة منظمة، بل تعتمد علي جهود الأفراد التطوعية فلقد كان للصوفية العبء الأكبر في هذا المجال وقد تحدث في هذا الأمر الامام محمد أبو زهرة في كتابه (الدعوة إلي الإسلام) فقال صـ٧٧: «الدعاية الصوفية كانت تقوم علي أمرين: أحدهما - من القدوة والاختلاط، والأخلاق الاسلامية والتسامح والرفق في المعاملة، والمثل الطيبة الواضحة في المعاملة الحسنة.

وذلك أن أئمة الصوفية كالقطب عبد القادر الجيلاني، وأبي الحسن الشاذلي والمرسي أبو العباس، وابن عطاء الله السكندري، كانوا علي أخلاق إسلامية طيبة، وكانوا علي سماحة تدني البعيد، وتثبت القريب. وبهذه الأخلاق التي سرت إلي بعض مريديهم وأتباعهم كانوا يجذبون إلي الإسلام طوائف من غير المسلمين الذين يختلطون بهم، فإن المعاملة الحسنة، والاختلاط الذي يكون بعشرة طيبة يجذب النفوس، وتسري بها العقائد الفاضلة، فتسري العقيدة العالية إلي ما دونها كما يسري الماء العذب من المكان المرتفع إلي المكان المنحدر.

وقد كان هؤلاء الآحاد من المتصوفة الذين لا يشعبذون بل يتعبدون ويختلطون بأهل أفريقيا الوثنيين، والمجوس والوثنيين في أسيا، فيؤثرون بمعاملتهم، وبسعة صدورهم، وعقولهم بأكثر مما يؤثر القول، وقد كانت تقترن بهذه الأخلاق دعوات أحادية أحيانا.

الثاني من الأمور التي كانت تقوم بها الدعاية الصوفية مجالس الوعظ التي كان يعقدها الأئمة من الأقطاب، فقد كانت مجالس عامة يحضرها المسلمون، ويحضر فيها غير المسلمين فيتبعون الشيخ في مواعظه ثم يعلو الاتباع حتي يتبعوه في عقيدة الوحدانية» ثم تحدث عن الشيخ عبد القادر الجيلاني وكيف كان يحضر مجالس وعظه اليهودي والنصراني، والمجوسي والوثني، وما كان المجلس ينفض إلا علي إسلام كثيرين.

ومما يذكر في هذا المجال ما قام به فضيلة المرحوم الدكتور عبد الحليم محمود - الصوفي - من التزامه بواجب الصوفي إلي جانب واجبه الآخر كشيخ للإسلام مما كان له أثره في أن أعلن علي يديه أربعة آلاف ماليزي وعشرة آلاف ياباني، وما لايحصي من الأندونيسيين الاسلام أثناء زيارته لهذه البلاد سنة ١٩٧٤م وقد ذكرت ذلك الصحف في حينه وتراه مسجلا في مجلة الأزهر عدد شوال ١٣٩٧هـ

ويشير إلي هذه الحقيقة أيضا الدكتور محي الدين الألوائي في مقال له بعنوان (الدعوة الإسلامية وتطوراتها في شبه القارة الهندية) بمجلة الأزهر ذو القعدة ١٣٩٧هـ قائلا: «ولم نر في تاريخ الدعوة الإسلامية الطويل في شبه القارة الهندية جماعة أو هيئة رسمية أو غير رسمية أنشئت لغرض الدعوة والتبليغ حسب منهج تبليغي منظم، وكل ما رأيناه في مجال الدعوة هو الجهود الفردية من الدعاة المخلصين من العلماء والوعاظ الصوفية الذين اتخذوا من مجالسهم العلمية إما في منازلهم أو في التكايا أو في المساجد مراكز لبيان محاسن الإسلام وإبرازها ناصعة واضحة أمام الناس كما كانوا يقومون برحلات وجولات في سبيل نشر دعوة الحق بطريق الموعظة

والإرشاد، وفي جميع الأحوال كانوا قدوة حسنة وحية في حياتهم الخاصة والعامة للتحلي بالأخلاق الفاضلة وحسن المعاملة والاخلاص والوفاء، كما كانوا يهتمون بتربية الناس علي الطباع المستقيمة التي يدعو بها الدين الحنيف»

وأهم الطرق الصوفية التي كانت أحد العوامل المهمة في نشر الإسلام القادرية في القرن السادس الهجري التي كان يتزعمها سيدي عبد القادر الجيلاني والتي أسست لها مراكز في غينيا والسودان الغربي، وامتدت أيضا من السنغال إلي مصب نهر النيجر. وكانت التجانية أيضا من أهم الفرق الصوفية بزعامة الشيخ أحمد التجاني، واتخذت من مدينة فاس بالمغرب مركز لنشاطها إلي جانب المراكز الأخري التي انتشرت في أرجاء أخري من القارة وكما ذكر محمد فتح الله الزيادي في كتابه (انتشار الاسلام) صـ١٣٦ «وهاتان الفرقتان كان لهما دور كبير وبارز في نشر الاسلام بين الافريقيين بطرق سلمية بحتة وبإقناع بالحجج والبراهين، ودونما استخدام أي سيف أو ضغوطات أخري»

ويقول أرنولد في كتابه (الدعوة إلي الاسلام) صـ٣٦٥: «وفي غرب أفريقيا كانت هناك طائفتان قائمتان بصفة خاصة علي نشر الاسلام: هما: القادرية والتيجانية» ويتحدث أيضا عن أثر الطريقة الادريسية والميرغانية فيقول عند حديثه عن الحركات التي عملت علي نشر الإسلام في أفريقيا صـ٣٦٤ من نفس المرجع: «ومن أسبق تلك الحركات، حركة يعزي قيامها إلي السيد أحمد بن ادريس، وقد أرسل قبل موته عام ١٨٣٥م أحد أتباعه ويدعي محمد عثمان الأمير غني في رحلة إلي أفريقيا لنشر تعاليم الاسلام» ويقول الامام محمد أبوزهرة في كتابه (الدعوة إلي الاسلام) صـ٨٠: «وكان للصوفية فضل كبير في هذا فإن أتباع أبي الحسن الشاذلي، والمرسي أبي العباس، ونشاط ابن عطاء الله السكندري كان لهم دخل بالقدوة والمسلك في أفريقيا، والفضل الواضح الأثر كان للتيجانية والسنوسية في القرون الأخيرة، فقد

كانت التيجانية لها عناية شديدة بالدعوة إلي الاسلام، في غرب افريقيا ووسطها، حتي إنك تري الكثرة الكاثرة في ساحل الذهب وساحل العاج، وغانا، غينيا، والسنغال، والكنغو، ونيجيريا من المسلمين الأقوياء في تدينهم» ويذكر كذلك أنه استجابة لدعوة السنوسية القوية المستمرة دخل عدد لا يحصي بألوف الألوف في نيجيريا وغانة وغينيا والسنغال والكونغو وتشاد وأوغندا وغيرها من وسط أفريقيا.

ويُرْجع أسباب الحروب التي شنها الاستعمار بكل الطرق المحللة في قانون الأخلاق والمحرمة علي سواء علي الصوفية الي احساس الدول التي باشرت استعمار أفريقيا كفرنسا وإنجلترا وايطاليا بخطر الدعوة الإسلامية التي يقوم بها الصوفية علي مطامعهم الاستعمارية، وفشل المبشرين الأوربيين في مباراتهم في ذلك.

أما في أسيا فقد انتشر الاسلام في القوقاز وداغستان عن طريق دعاة مسلمين كان في مقدمتهم الشيخ الشافعي أبو مسلمة، ثم ساعد ظهور الطريقة النقشبندية الصوفية في إذكاء روح الدعوة إلي الاسلام واستمرار انتشاره. وتحدثنا الروايات التاريخية أنه عندما اضطهد الأمويون الشيعة من أتباع زيد بن علي (زين العابدين) فضّل هؤلاء الفرار من ظلم الأمويين ولجؤوا إلي الصين حيث استقروا هناك، وعملوا علي نشر الإسلام في بعض المناطق التي زاروها في رحلاتهم التجارية، وكان لسلوكهم الحميد وتصرفاتهم الاسلامية الأثر الكبير في إقناع الكثيرين من الصينيين باعتناق الإسلام.

وكذلك كان انتشار الإسلام في ماليزيا والملايو وأندونيسيا وغيرها من بلاد شرق آسيا نتيجة لجهود المخلصين من التجار وأتباع الطرق الصوفية.

وهكذا الأمر أيضا بالنسبة لانتشار الاسلام في أوربا وأمريكا فقد ذكر كثير من المفكرين الذين أسلموا حديث كجارودي الفرنسي وهوفمان الألماني

وغيرهم أن الذي جذبهم إلي الاسلام الروح التي وجدوها في الصوفية وافتقدوها في الحضارة الأوربية المادية وقد أجرت مجلة منار الاسلام التي تصدرها دولة الامارات العربية استطلاعا عن دخول غير المسلمين للاسلام في الدول العربية، وتوصلت إلي نتيجة مفادها أن أكثر عدد من الأوربيين يدخل الاسلام في الدول العربية يتم في دولة المغرب ويرجع ذلك إلي حلقات الذكر التي يقيمها المتصوفة هناك، فتجذبهم بروحانيتها، فيلتفون حولها ليشاهدونها، ولشدة تأثرهم بها ينخرطون فيها فجأة وبدون مقدمات، ويكون ذلك مقدمة لاعلانهم الدخول في الاسلام.

ونختم حديثنا في هذا الموضوع بقول الامام محمد أبو زهرة في كتابه (الدعوة إلي الاسلام) صـ٨٧: «إن البلاد الاسلامية من أقصي الأرض إلي أقصاها تؤثر فيها الدعوات الصوفية وأعمال الصوفيين، فإذا قاموا بحق الدعوة استجاب الناس لهم، إن كانوا مخلصين.

وخلاصة القول أننا نريد أن تتوجه الصوفية إلي الدعوة إلي الاسلام في ربوع الشعوب الاسلامية كلها، لا في مصر وحدها» ويقول أيضا: «إن مشايخ الطرق الصوفية في كل الأقاليم الاسلامية لو اتجهوا إلي ما اتجه إليه أسلافهم في الماضي، ونظموا الدعوة إلي الاسلام في مجتمعاتهم، لكانوا قوة في الدعوة إلي الإسلام منتجة مثمرة».

ج - الصوفية والعلوم العصرية

لقد كانت خشية الله هدفا ساميا من أهداف الصوفية، والعارفون بالله أخشي الناس لله، والمعرفة أساسها العلم، وليس العلم الديني فقط، بل العلم بما تحويه الدنيا من عوالم تخطف البصر وتلفت الذهن وتبعث علي التأمل. ولذا فقد نادي الصوفية بأن يستغل المريد قدراته الممنوحة له في الوصول إلي الحق، وبرز منهم علماء أجلاء في مختلف العلوم والفنون، ولم تقف

مجهوداتهم عند التبحر في علوم الشريعة وما وراءها من أسرار، ولكنهم برزوا في الكثير من علوم الحياة من تاريخ وتقويم وهندسة وطبيعة ورياضيات وغيرها. ويقول في ذلك الشيخ عبد الحفيظ فرغلي القرني في كتابه (التصوف والحياة العصرية) صـ١٢٦: «يري الشعراني أن العلم الظاهري ضرورة لتعمير الحياة، بل يري أنه وسيلة للتقرب إلي الله عند أهل الحق. ويقول في ذلك في كتابه «درر الغواص» إن أهل الحق يشهدون جميع العلوم حتي الحساب والهندسة وعلوم الرياضيات والمنطق والعلم الطبيعي لها دلالة وطريق إلي العلم بالله» ويرد في كتابه «أداب العبودية» علي من يري في دراسة هذه العلوم حجبا عن الله بأن الذي يشهد ذلك إنما هو محجوب عن موضع الدلالة فيها عن الحق، لأن جميع العلوم التي يراها أكثر الناس حجابا إنما هي عند أهل الله لا حجاب فيها.

وللاستدلال علي سبق الصوفية إلي العلوم التجريبية أسوق ما أورده الشيخ طنطاوي جوهري رحمه الله في كتابه «تفسير الجواهر» عند قوله تعالي: «ولكن لا تفقهون تسبيحهم» قال: «ألهم الله الرجل الصالح الشيخ الخواص في القرن العاشر الهجري أن يُلقي بعض مسائل للشيخ عبد الوهاب الشعراني وتلك المسائل تناسب الآية التي نحن بصددها، وتناسب العلوم التي كشفت حديثا ولم تكن معلومة في ذلك العصر. وإنما فعل ذلك ليرد عليَ جهلة المسلمين في عصره الذين يقولون إن العلوم لا لزوم لها، وفي الوقت نفسه حجة علي من يدعي من الصوفية جهلا أن الاسلام براء من هذه العلوم، لقد أظهر الله علي يد الخواص بعض العجائب العلمية ليثير في المسلمين روح التعلم، وليكون ذلك علامة علي صدق هذا الدين ومعجزة لصاحب الشرع صلي الله عليه وسلم»

أما هذه المسائل التي أسار إليها الجوهري فتتلخص في أن الخواص أخبر تلميذه الشعراني بأن كل شئ في الوجود حي يُدْرك حتي الجمادات وفي أن الأشجار تتعاشق ويطلب بعضها بعضا للقاح، وعلق الجوهري رحمه

الله علي ذلك بقوله: «إن كلام الصوفية هذا هو ما كشفته العلوم الحديثة الآن، فتعاشق الأشجار الذي قال به الخواص هو نفس ما أثبته العلم الحديث في نظرية التلاقح، وأما حياة الجماد فهو أمر خفي لم يذكر علماء الحاضر منه إلا قولهم: كل الجمادات متحركات، وهذا أمر صحيح مبرهن عليه، ومعني ذلك أن كل قطرة ماء، أو قطعة حجر مركبة من ذرات صغيرة، والذرات الصغيرة ترجع إلي جواهر فردة، والجواهر الفردة ترجع إلي عناصر أولية كالأوكسجين والأيدروجين، وهذه العناصر متي تحللت ترجع إلي الكهرباء، وما هي إلا تموجات وبينها مسافات متباعدات، يدور بعضها علي بعض كما تدور السيارات حول الشمس، فالعوالم كلها متحركة دائما لا سكون لها، حركات تلك الذرات لا فتور فيها، فهي لا تهدأ من يوم أن خلق الله العالم إلي أن يفني. والخلاصة أن كل موجود حي»

ثم نبه الجوهري إلي النتيجة العظيمة التي استخلصها في بحوثه فقال: «إن كشف العصر الحاضر أتي بثلاثة أرباع ما قاله شيوخ الصوفية من باب الالهام، وقد نبه هؤلاء الشيخ المسلمين ولكن مع ذلك بقوا غافلين لم يفطنوا لما يقوله الشيوخ»

والحقيقة أن الالهام من أوصاف وصفات وخصائص العالم المسلم، إذ أن الله سبحانه وتعالي، يقذف في قلبه إذا كان عدلا مستقيما، ببعض المعاني أو الالهامات في ذلك العلم الذي يشتغل به، فيأخذ العالم هذه المعاني والالهامات، ليطبقها علميا أو يمتحنها تجريبيا، ليستوضح مغاليقها، ويستكشف غوامضها لينتفع بها الناس في حياتهم الدنيوية.

فالعالم الصوفي المسلم يُلهم بالفرض العلمي من الله عز وجل، ومن سنة الرسول صلي الله عيه وسلم، ثم يحاول امتحان هذا الفرض تجريبيا وعمليا

وإذا ما عرجنا إلي العلماء في العصر الحديث، فإننا نجد أن أكثر المستحدثات والمستكشفات الجديدة، في أي فرع من فروع العلوم

العملية والتطبيقية، إنما تقوم أساسا علي إلهام يلهم به الباحث فيحاول تطبيقه عمليا ليظهر في صورة مخترع جديد.

وما النظريات الحديثة في مجال التكنولوجيا، إلا نوعا من إلهامات العلماء، تمتحن فيثبت صدقها ونفعها للناس.

وهكذا نجد أن الصوفية وفقوا بين العلم والعمل، وبين السعي في الحياة الدنيا وبين السعي للآخرة، ولم يقفوا حجر عثرة في وجه التفكير الحر والرقي العلمي، كما أنهم لم يشجبوا الأخذ بالتقدم العمراني والتكنولوجي في الدول التي سبقتنا إلي الحضارة المادية، وإنما طلبوا منا أن نتوخي الحذر، وأن نزن كل ما نلتقطه بميزان عدل، فنرفض الذي يخالف ديننا وأخلاقنا، ونأخذ بالذي يتوافق مع مفاهيمنا وقيمنا الحياتية.

ولا يمكن أن يتحقق ذلك إلا إذا ترك المشتغلون بالدين الخمول والتبطل والانعزال، وشاركوا في الحياة العامة مشاركة فعالة، وبدأوا في تطبيق الفكر الإسلامي في ميادين الحياة العملية، حيث يمكن أن تتغير النظرة إلي الاسلام بما هو جدير به من إجلال واحترام. ويبين الدكتور عبد الحليم محمود في كتابه (الاسلام والعقل) صـ٢١٦ الفرق بين النظرة الأوربية إلي العلم والنظرة الإسلامية اليه فيقول: «وإذا اقتصرت أوربا علي العلم المادي، فإن الاسلام: لا يقف عند ذلك، وإنما يوجه الانسانية إلي مصدر آخر للعلم والمعرفة، ألا وهو: القلب أو هو الروح والبصيرة.

إن الإسلام يوجه الإنسانية إلي المعرفة الاشراقية، او الكشفية، أو الالهامية.

ويجمع الاسلام الاتجاه العلمي الحديث إلي الاتجاه البصري في قوله: **«إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤلا»** [الآية (٣٦) الاسراء] فالسمع، والبصر، هما أساس العلم المادي علم التجربة، والملاحظة. أما القلب: فإنه أساس العلم الالهامي. إن الله سبحانه وتعالي يوجه المسلم إلي

الملاحظة والتجربة، ويوجهه أيضا إلي الاستشراف للهداية والنور القلبي، عن طريق الخلق الكريم، والتقوي والاخلاص، وحب الانسانية، والمعاونة في الخير.

وإذا كان الإسلام أوسع نظرة في الجانب العلمي عن الحضارة الحديثة، وأدق وأشمل، فإنه يختلف معها اختلافا جذريا حاسما في مسألة الارادات والنوايا، وفي أمر الأسباب والبواعث، وفي اتجاه الغايات والأهداف.

إن الحضارة الحديثة تقول: العلم لا صلة له بالأخلاق، أو تقول: العلم: لا أخلاقي.

والعلم في نظرها لا شأن له بالخير والشر.

ولكن الاسلام: يجعل أسس العلم متسمة بالخير، ويجعل غايته منغمسة في الخير ويجعل من العلم قربي إلي الله، ويجعل منه عبادة لله.

ومن هنا كانت حضارة الإسلام: حضارة رحمة وهداية، لا حضارة تدمير وتخريب: «وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين».

د- الصوفية وريادة العلوم

أولي الصوفية للعلم اهتماما كبيرا حتي كان يشار لكثير منهم كالجنيد والقطب الجيلاني والشاذلي وغيرهم بأنك إذا حدثته في علم تجده يجده إجادة تامة كأنه لا يعرف غيره، فإذا انتقلت معه إلي آخر تجده متبحرا فيه كذلك وكأنه تخصصه الذي عكف عليه طوال حياته، وقد روي عن جماعة كثيرة منهم أنه كان يحضر مجلس درسه الفقهاء والنحويون وأصحاب علم التفسير وأصحاب الحديث ورواة الأدب واللغويون وغيرهم وكل يستزيد في علمه أثناء إلقاء الشيخ لدرسه ولذا فلا نعجب أن نجد الشعراني يشترط للشيخ في طريق الله أن يكون عنده «علم العلماء، وتدبير الأطباء، وسياسة

الحكماء» لكن الذي نود أن نشير إليه هنا هو المجالات التي بلغ فيها الصوفية دور الريادة لأنهم أول مَنْ تكلم في هذه العلوم، ولهم الفضل في إنشائها ونقلت عنهم إلي غيرهم.

فمن ذلك علم الكيمياء الذي يعد جابر بن حيان مؤسسه الحقيقي باعتراف أساطين علماء الغرب، وقد اعترف جابر بأن الفضل في ذلك ينسب للامام جعفر الصادق حيث أنه هو الذي لقنه مبادئ هذا العلم، وتولي توجيهه وارشاده، وكان يعرض عليه نتائج ما توصل إليه، فيقره علي ما أصاب فيه، ويصحح له الخطأ، ويبين له السبيل الأمثل للوصول إلي النتائج اليقينية مما يعد معه هذا العلم صوفيا في نشأته

أما علم النفس فلا يزال دور الريادة فيه للصوفية إلي يومنا هذا.

لقد فهم الصوفية النفس البشرية فهما طيبا من خلال تعمقهم في آيات الله البينات، واقتدائهم بالرسول صلي الله عليه وسلم في العلاج النفسي مما يعجز عنه أعظم الأطباء في العصور القديمة والحديثة علي السواء، ولقد عالج الرسول صلي الله عليه وسلم أمراض نفسية يعجز علاجها علي أعظم أطباء هذا العصر.

عالج أمراض الصرع الروحاني والأرق والوسواس والاكتئاب والزمت والحصر والقلق المزمن والحزن والمصائب والكروب والهم والغم والفزع والخوف والجزع والغضب والطمع والحسد والحقد والعين والسحر.

وهذه العلاجات التي ذكرناها إنما هي خاصة بالطب النفسي فحسب، لكن الرسول صلي الله عليه وسلم عالج أيضا الطب البدني وربط بين الطب النفسي والطب البدني في علاجاته.

ومن ناحية أخري فإن الصوفية لم يهتموا بالطب النفسي العلاجي فحسب، كما هو في العيادات النفسية في العصر الحديث، إنما اهتموا أيضا بالطب النفسي الوقائي، أي قبل أن يصل المريض إلي الحاجة الماسة

إلي العلاج، لذلك كانت الأمراض النفسية في صدر الاسلام وكذلك لدي الصوفية نادرة الحدوث.

فقد كان الصوم والصلاة والاستعاذة والاستغفار وكظم الغيظ والصبر والذكر الدائم، عبارة عن طب وقائي يمنع تراكم الأمراض النفسية من خواطر شيطانية ووساوس وكروب، يمنعها من النفاذ إلي قلب الانسان، ومن ثم يصبح قلب المسلم علي الدوام مستفرغا ومحصنا من ولوج الآفات والأمراض التي تسبب له تراكمات وأزمات نفسية ولذلك يقول الدكتور حسن الشرقاوي في كتابه (المسلمون علماء وحكماء) صـ١٤٦: «ولا ريب أن المسلمين وعلي رأسهم الرسول صلي الله عليه وسلم وهو الهادي البشير هم الرواد الأوائل للطب النفسي الوقائي والعلاجي علي السواء، ولقد تبع الرسول في هديه النبوي ثلة من العلماء والحكماء أمثال: الحسن البصري، اليافعي، المكي، المحاسبي وحجة الاسلام الغزالي وغيرهم كثير» أما عن تحليل خلجات النفس ووصف أمراضها، وبيان عيوبها فذلك أمر وصل فيه الصوفية إلي الغاية، لأنهم يتحدثون في ذلك عن تجربة صادقة عميقة تقوم مقام المنهج الاستقرائي في هذا المجال، ولذلك لا يستطيع دارس لعلم النفس بشتي فروعه أن يستغني عن كلام الصوفية في هذا الشأن.

زعم العلماء الغربيون أنهم اكتشفوا علما جديدا هو علم الانسان الاجتماعي، وأسموه بالأنثروبولجيا وذلك في أواخر القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين.

وهدف هذه الدراسات سواء كانت الأنثروبولوجيا البنائية، أو الثقافية، دراسة المجتمعات المحدودة والبسيطة خوفا من إندثارها، وذلك بقصد الوصول إلي نظرية تفسر الحياة في تلك المجتمعات. ويقول الدكتور حسن الشرقاوي في كتابه «المسلمون علماء وحكماء» ص١٣٩ «ولو رجعنا لعدة قرون أي للقرن العاشر الهجري، لوجدنا أن الامام الشعراني قد قام بدراسة مسحية علي الطوائف الصوفية في مجتمع القاهرة، ولقد اختار

عينات عشوائية ممثلة للطرق الموجودة في المجتمع والقاهرة» عبارة عن مائة مريد من المنخرطين في الطرق الصوفية. واستهدف في دراسته إثبات صحة الفرض الذي وضعه، وهو أن هناك في عصره انحدار في أخلاق الصوفية عن العصور السابقة عليه، ولقد استعان الشعراني بالملاحظة المباشرة وغير المباشرة ووصف أخلاقيات المريدين في عصره وصفا دقيقا يدل علي انخراطه في الطريق الصوفي وفهم دقيق للمارسات والأذواق والمشارب والمواجيد الصوفية.

ثم عقد مقارنة بين صوفية عصره وبين الصوفية من السلف الصالح، وأظهر في نتائج بحثة بأدلة دامغة وبراهين قاطعة انحدار وإرتكاس الأخلاق في عصره عن العصور السابقة عليه، مما يثبت أن الغرض الذي وضعه في دراسته كان صحيحا وأن الدراسة الحقلية والمسحية أثبتت صدقه.

ونستخلص من ذلك أن إدعاء الغربيين أن الانثربولوجيا بشقيها البنائية والثقافية يرجع الفضل في اكتشافها إلي الغربيين قول مرفوض، ودعوي ينقصها البرهان والدليل، فإن الامام الشعراني قد سبق هؤلاء العلماء الغربيون علي الأقل بخمس قرون في الدراسات الأنثربولوجية وتفوق عليهم في هذه الدراسات.

إذ أنه أدخل المعامل الروحي الذي يفتقر إليه أغلب علماء الأنثربولوجيا المعاصرين،. فهو عندما درس المجتمع الصوفي في القاهرة عاش بين أفراده ملاحظا ومتذوقا لمشاربهم، متفهما لمصطلحاتهم وإشاراتهم ومعانيهم ولغتهم، مقارنا بينهم وبين الصوفية من السلف الصالح، مما أعطي لدراسته ثراء وعمق يعجز عنه أي عالم أنثربولوجي معاصر».

أما في مجال التربية فيعتبر الصوفية بحق من أفضل الذين عالجوا موضوعات التربية علي الاطلاق ذلك لأنهم لم يهتموا بالجانب الظاهري في السلوك فحسب، وإنما ركزوا علي الجانب الباطني ايضا اهتم الصوفية إذن

بالظاهر والباطن جميعا. فهناك التكاليف والفرائض والواجبات المقررة شرعا وعقلا، كما أن هناك الاخلاص والصدق والنية وهي أمور تتعلق بأعمال القلوب فالتربية الاسلامية تقوم علي أساس صحيح يواكب الفطر السليمة والعقول الرشيدة والنفوس المستقيمة، ومهما درسنا فلسفات التربية في الغرب الليبرالي والشرق الشيوعي، فإننا لن نجد منهجا تربويا صالحا للتطبيق لكل زمان ومكان مثل منهج التربية الاسلامية ومهما جربت الأمم والشعوب مناهج بشرية ونظم إنسانية في فلسفات التربية، فلن نجد أي منها يستطيع أن يلبي حاجات الفرد والبيئة والمجتمع لخلق الانسان الصالح، مثلما نجد ذلك في منهج التربية الاسلامية، لذلك يعتبر أقطاب الصوفية روادا أوائل في مناهج التربية ونظمها مثل الامام أبو طالب المكي صاحب قوت القلوب، والغزالي في الاحياء، والمحاسبي في الرعاية وعبد القادر الجيلاني في الغنية وأبو الحسن البصري في أدب الدنيا والدين والامام أبو العزائم في شراب الأرواح ومعارج المقربين والنور المبين وغيرهم كثير ولذلك يقول الدكتور حسن الشرقاوي في كتابه (المسلمون علماء وحكماء) صـ١٢٧: «فإن البشرية في مسيس الحاجة الآن إلي الاستعانة بمنهج التربية الاسلامية الذي استقاه العلماء والمسلمون من القرآن الكريم والسنة المحمدية، ليعرفوا تماما أنه الحق الذي يصلح فكرا وسلوكا وتطبيقا».

أما علم الأخلاق فيعتبر برمته علما صوفيا ولذلك نجد تعريفات التصوف معظمها يدور حول هذه المعني مثل قول سيدي احمد البدوي رضي الله عنه: «التصوف خلق، فمن زاد عليك في الخلق زاد عليك في الصفاء» وقول الحريري «التصوف: الدخول في كل خلق سني، والخروج من كل خلق دنئ» فالتصوف هو الذي يوصل الانسان إلي التكامل الأخلاقي المنشود، بينما نجد في القرن العشرين رغم التقدم المادي الهائل، إنتكاس واندحار في العملية التربوية والأخلاق، بحيث لا يمكن أن يقال أن الأخلاق تتقدم تقدما طرديا متوازيا مع التقدم التكنولوجي.

إن لدي الصوفية تراثا حضاريا عظيما ما زال مدفونا في دهاليز المكتبات العربية والاسلامية يحتاج إلي باحثين مهرة ومفكرين أكفاء ليزيلوا عنه تراب النسيان، وينفعوا به العامة والخاصة من الناس من مسلمين وغير مسلمين.

ولا أظن أنني استطعت أن ألم بكل المجالات التي يجاهد فيها الصوفية لأن القوم من فتوتهم لا يحبون أن يطلع علي عملهم إلا الله عز وجل وعن المجالات الأخري التي أغفلنا ذكرها لنأخذ مثالا واحد لما تقوم به زوايا الصوفية من خدمات اجتماعية وهي زرواية الشعراني رضي الله عنه فلقد استطاع رضي الله عنه في عصره أن يزوج أربعين رجلا من مريديه قام عنهم بالمهر ونفقات الزواج، وحرص علي تزويد زوجاتهم بكل شئ يخطر علي العقل من شئون النساء ولوازمهن، وأرسل أفواجا من تلامذته للحج إلي الأرض المقدسة، وكان يقوم بتزويد العلماء والفقهاء في مصر وغيرها بالغذاء والكساء، وأما طلبة العلم فقد كانت لهم إعاشة كاملة علي نفقة الزاوية مما يجعل الصوفية أول من حقق مجانية التعليم.

هذا فضلا عن ضيوف الشعراني وزواره والذين قُدّروا بحوالي مائة زائر يوميا يقدم لهم كل واجبات الضيافة والحمد لله تقوم الزوايا الصوفية في العصر الحاضر بأنشطة اجتماعية عصرية من حضانات ومدارس اسلامية، وتحفيظ للقرآن الكريم، ومستوصفات طبيه، ومشاغل للأعمال اليدوية والصناعات الصغيرة، ودراسات الكمبيوتر، وحل للمشاكل الأسرية، وتزويج للفقراء، ورعاية للأيتام، وإعانة علي أداء الحج والعمرة، واحياء لمشروع القرض الحسن وغيرها من الأنشطة التي يضيق النطاق عن حصرها.

ونأمل من المسلم المعاصر ألا ينظر إلي الأمور بأفق ضيق، أو برأي مُسْبق، بل عليه أن يقرأ ويشاهد بفكر مفتوح، لا يتحكم فيه الهوي ولا الغرض ليعرف الحق لأهله فيسعد في دنياه وآخرته هذا وقد اكتفينا بالإيجاز في بعض النقاط التي وفيناها في المباحث التالية منعا من التكرار والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

الفصل الثاني

الحيرة في السلوك إلى ملك الملوك

- حكمة تعدد المناهج الاسلامية
- بين الشريعة والحقيقة
- المنهج الاسلامي الصحيح
- الطريق الصوفي القويم
- أوصاف الشيخ المربي
- وظيفة الشيخ المربي
- حكم الانتقال من صحبة شيخ إلى غيره

الحيرة فى السلوك إلى ملك الملوك

سؤال : ما رأيكم في الحيرة التي يعاني منها الشباب الآن؟ هل يتبع الجماعات الاسلامية أم ينضم لأحدي الطرق الصوفية؟

الاجابة: مشاكل شبابنا وخاصة طلاب الجامعات أنهم يجدون في جامعاتهم جماعات إسلامية متعددة المذاهب والمبادئ منها الاخوان المسلمون ومنها الجماعات المتطرفة مثل الجهاد وغيرها من الأنواع والتي هي تقريباً كما أخبر أحد الأمريكان وهو ريتشارد هريرد كمجيان وكان مكلفاً من المخابرات الأمريكية بعمل بحث في هذه الجماعات فكتب كتاب «الأصولية في العالم العربي» ترجمة وتعليق عبد الوارث سعيد طبعة دار الوفاء بالمنصورة ١٩٨٥موذكر فيه أن هذه الجماعات أكثر من مائة جماعة وكل جماعة تخالف الأخري في فكرها ومبادئها وفي نظمها وفي تعاليمها وغيره ويجد الشاب أيضاً مع هذا الجماعات الصوفية وهي أيضاً أنواع كثيرة ومنها علي سبيل المثال الأحمدية والتي تنسب لسيدي أحمد البدوي رضي الله عنه وأرضاه وتضم حوالي ستين طريقة وكلها أحمدية «الشناوية الأحمدية، والسطوحية الأحمدية، والمرازقة الأحمدية، والزاهدية الأحمدية، حوالي ستين طريقة فما بالك بالشاذلية؟ والشاذلية أكثر في العدد وهذا غير الرفاعية والبُرهانية أو الدسوقية التي تنتسب لسيدي إبراهيم الدسوقي وهناك جموع كثيرة لا يستطيع الإنسان عدّها من الطرق الصوفية فيحتار الشاب مَنْ فيهم علي الحق؟ هل الجماعات الاسلامية أم الطرق الصوفية؟ هذا من ناحية ومن الناحية الأخري حتي لو اختار مثلاً الجماعات الاسلامية فأي جماعة من الجماعات الاسلامية هي التي علي الحق، أو لو أنه إختار المنهج الصوفي فما هي الطريقة الصوفية التي يسير معها والتي هي أفضل في نظره مِنْ سواها، فالحقيقة أنها حيرة عامة وبعض الشباب يردّد لماذا لا

كانت هذه المحاضرة بالمنيا مساء الجمعة ٢٤ من ذي القعدة ١٤١٦ هـ الموافق ١٢/٤/١٩٩٦ بمنزل الحاج محمد رمضان

تكون هناك طريقة واحدة والكل يمشي فيها؟ والاجابة باختصار حتي لا أطيل عليكم

حكمة تعدد المناهج الاسلامية

إن تعدد المناهج الاسلامية سواء كانت مناهج الصوفية أو مناهج الجماعات الاسلامية يرجع إلي وسعة الاسلام فقد قالوا قديماً «الوسعة تقتضي التفاوت» والتفاوت يعني التعدد والتباين والاختلاف ونضرب مثلاً لذلك لو أن دكتورا متخصصاً في الأنف والأذن ولا يعرف الا ثلاثة أو أربعة أصناف لعلاج الأنفلونزا فيكتب روشته واحدة لكل من يذهب إليه، فهل هذا يجوز؟

لا، لان الناس تختلف فهذا يحتاج إلي مضاد حيوي خمسمائة وهذا لايتحمل الخمسمائة وقد يموت ويحتاج مائتين وخمسين وآخر يحتاج مائة وخمسة وعشرون وآخر حالته شديدة يحتاج إلي مضاد حيوي ألف مجم حيث لا يصلح معه الخمس مائة فلا بد أن يكون العلاج متنوعاً حسب حالة المريض الذي أمامه وهذا أيضاً بالنسبة لشرع الله عز وجل فلماذا تعددت المذاهب في الشريعة الاسلامية؟

إن الشريعة الاسلامية بحكم سعتها صالحة لكل زمان ومكان ففي كل حكم من أحكام الشريعة وكل جزئية من جزيئاتها تجد في نفس الجزئية أو في نفس الحكم حكم للشاب، وحكم للشيخ، وحكم للرجل وحكم للمرأة، وحكم للصحيح والسليم وحكم للمريض وحكم للذي يعيش في منطقة حارة وحكم للذي يعيش في منطقة باردة وهذا في كل حكم من أحكام الشريعة فلو أني أفتيت الكل بفتوي واحدة فسأظلم كثيراً من الناس لكن الشريعة جاءت للكل. ونضرب مثالاً علي ذلك بسيدنا رسول الله صلي الله عليه وسلم لما سأله رجل عن القُبْلة للصائم في رمضان وقال له (لا عليك)، وجاء آخر وسأله نفس السؤال فقال له (إنها تفسد الصيام)، ما هذا؟ هل هناك تعارض؟!

لا فالرجل الأول كان عجوزاً فليست عنده شهوة تحركه فقال له (لاعليك) والآخر كان شاباً فوجدها ستحرك الشهوة عنده فقال له «إنها تفسد الصيام» فلو أني أخذت حكماً واحدا منهما وطبقته علي الكل فسأظلم الآخرين فلو أني أخذت الحكم الأول وأبحت القبلة للصائم فسأظلم الشاب لأني سأعرضه للفتن ولو أني أخذت الحكم الثاني ونهيت عن القبلة مطلقاً فقد ظلمت الشيخ الكبير لعدم وجود شهوة عنده لكن أعطي لكل ذي حق حقه وهكذا الأمر يا إخواني في كل مبادئ الشريعة الاسلامية لأنها واسعة فمثلا أنا متوضئ ومصادفة صافحت إمرأة ما الحكم؟

الامام ابو حنيفة قال: ليس عليك شئ ووضوءك صحيح والامام الشافعي قال إذا وُجد حائل (منديل أو غيره) لا يبطل الوضوء أما المصافحة من غير حائل فتبطل الوضوء والامام مالك قال استفتي قلبك فإذا تحركت الشهوة من نظرة وليست من مصافحة يبطل الوضوء فلو نظرت لامرأة بعينك وتحركت الشهوة عندك يفسد الوضوء وعليك الوضوء من جديد ولو صافحت ألف امرأة ولم يتحرك ما بداخلك فلا شئ عليك فما الحائل هنا عند الامام مالك؟

الحائل هنا هو القلب فاختلافهم هنا رحمة بهذه الأمة ووسعة لهذه الأمة.

بين الشريعة والحقيقة

فالشريعة هي العمل بظاهر القرآن، والعمل بالأوامر الظاهرة التي جاء بها النبي العدنان صلي الله عليه وسلم والحقيقة هي حال القلب عند العمل بشرع الله عز وجل والأثنان لا ينفصلان عن بعضهما بمعني أنا سأصلي فاتجاهي للقبلة وطهارة الثوب والمكان ووقوفي علي هيئة الصلاة والركوع والسجود وحركات الصلاة هذه هي الشريعة فلو أبطلت شرطاً من هذه الشروط (والشروط هي التي تسبق الصلاة) أو ركنا منها (والأركان هي التي في داخل الصلاة) تبطل الصلاة. لكنني اذا جئت بكل هذا علي التمام

وقلبي شارد وذاهب بعيداً عن الله عز وجل في هذه الصلاة هل تصح هذه الصلاة؟ لا، فلا بد لإتمام الصلاة أن يكون القلب مع الجسم فالقلب فيه الخشوع والتدبر والتفكر والانكسار والحب لله عز وجل.

فقلبي يصلي بالخشوع لربه ... وروحي تصلي بالشهود بلا لَبْس

عليّ يُصلي في صلاتي لأنني ... تشبّهت بالمختار بالجسم والنفس

فالخلاف بين الجماعات الاسلامية والصوفية أن شباب الجماعات يقولون لا يوجد غير الظاهر وليس لنا الشأن بالأعمال الباطنة فنأخذ ظاهر الشريعة ونمسك في الأعمال الظاهرة وليس لنا شأن بالأعمال الباطنة فأهم شئ عندنا هو هيئة الركوع وهيئة السجود ولباس النبي صلي الله عليه وسلم الذي كان يلبسه صلي الله عليه وسلم ولحيته التي كان يربّيها والسِّواك الذي كان يستخدمه ولا يوجد شئ في الشرع غير هذا والذي يقول غير هذا يكون كلامه غير صحيح.

فنقول لهم أنتم محقين في طرف ومخطئين في طرف آخر فأنتم محقّين في أنه لابد من الشريعة ولكنكم تخطئون عندما تقولون ليس هناك غير الشريعة، لأن الشريعة والحقيقة شئ واحد فهل ينفع جسم من غير روح؟ كذلك لاتنفع صلاة بحركاتها الظاهرة بدون روحها وهو الخشوع والذي قال هذا الكلام الله عز وجل «قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم (راكعون) هل الآية هكذا؟

لا ليس فيها راكعون أو ساجدون، إنما فيها خاشعون فالعبرة إذن بالخشوع والذين هم في صلاتهم خاشعون» [الآيتان الأولي والثانية من سورة (المؤمنون)] فالعبرة بالخشوع ولذلك قال سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه وأرضاه «إنّ المرء ليشيب عارضاه في الإسلام يصلي لله خمسين عاماً لم تكتب له صلاة واحدة كاملة قيل له وكيف ذلك يا أمير المؤمنين؟

قـال لا يحـسن وضـوءهـا ولا يتم ركـوعـهـا أو سـجـودهـا ولا يصطحب الخشوع فيها.) لأنه لابد من كل هذه الأمور لتتم الصلاة فلا بد من الشريعة والحقيقة معا.

المنهـــج الإسلامـــى الصحيـــح

هل البداية بالشريعة أم بالحقيقة؟

هذه هي نقطة الخلاف فـالجمـاعـات الاسـلاميـة قالوا البـداية بالحـركات الظاهرة فـأول شئ تفعله أن تربي لحيتك وتلبس الجلباب الأبيض وتقصّره وتحته البنطلون وغيرها من الأشياء التي تتعلق بظاهر الشريعة. والصوفية يقولون نحن وأنتم ننظر إلي منهج المدرسة الاسلامية فالذي وضع منهاجها الله عز وجل وأول أستاذ درّس هذا المنهج رسول الله صلي الله عليه وسلم وأول تلاميذ تلقّوا هذا المنهج أصحابه رضي الله عنهم وأرضاهم فنعرف نظامهم وعلينا جميعاً أن نعمل به كما قال الله عز وجل **«أولئك الذين هدي الله فبهداهم اقتده»** [الآية (٩٠) الأنعام] فنقتدي بهم فالصلاة فُرضت قبل الهجرة بسنة واحدة باتفاق الروايات وكان فرضها في الاسراء والمعراج والنبي صلي الله عليه وسلم كان يدعو إلي الله قبلها باثنتي عشرة سنة فماذا كان يفعل في هذه المدة الطويلة من السنين؟

كان يزكي نفوس أصحابه ويزكيها يعني يطهّرها من الأمراض التي فيها مثل مرض الحقد ومرض الحسد ومرض الشُّحّ ومرض الطمع ومرض الحرص ومرض البخل ومرض سوء الظن ومرض الغيبة ومرض النميمة وغيرها من الأمراض التي لا نستطيع ذكرها كلها الآن وكان يعالجهم من هذه الأمراض حتي إذا دخل أحدهم علي الله يكون مُجمّلا بقول الله عز وجل **«الا من أتي الله بقلب سليم»** [الآية (٨٩) الشعراء] فيدخل علي الله بقلب سليم ليس فيه شئ مما ذكرناه آنفاً ولما فرضت الصلاة أعطي الله لنا المقياس الذي نقيس به الفلاح للمصلين منْ يارب المُفلح في الصلاة؟

قال عز وجل «**قد أفلح من تزكي وذكر اسم ربه فصلي**» [الآيتان (١٤، ١٥) الأعلى] الذي تزكي أولاً ثم دخل علي الصلاة لأنه عندما يزكي نفسه أي يطهرها مما ذكرناه فإذا صلّي كانت صلاة حضور وخشوع بين يدي الله عز وجل لكنه إذا صلي من غير طهارة النفس فقد يقف في صلاته ويقوم بحركات الصلاة كما ينبغي ويصلي الركعة الواحدة في نصف ساعة يعني يعطيها حقها واكثر لكنه وهو يصلي يفكر في كيفية ضرر فلان أو كيف ينتقم من فلان؟ أو كيفية تدبير مصيبة لفلان هل تصلح هذه الصلاة يا اخواني؟ فالحركات الظاهرة سليمة كما ترون قال النبي صلي الله عليه وسلم عندما قالوا له إن فلانة تقوم الليل وتصوم النهار ولكنها تؤذي جيرانها قال «لا خير فيها هي في النار» مع قيامها بالصلاة والصيام لأنها لم تحقق الغاية التي من أجلها فرضت الصلاة والتي يوضحها قول الله تعالى «**إن الصلاة تنهي عن الفحشاء والمنكر**» [الآية (٤٥) العنكبوت] فالهدف من الصلاة أنها تنهي عن الفحشاء والمنكر فسيدنا رسول الله صلي الله عليه وسلم كانت بدايته مع أصحابه أن يطهرهم أولاً ويزكيهم وبعد هذا فرضت الصلاة فإذا صلي الرجل هذه الصلاة الخاشعة ما حكمها؟

ربنا لا يريد قناطير مقنطرة ولا يحضر عَدّادا وتعد عليه مائة ألف ركعة أو خمسة آلاف ركعة بل ربنا يريد كما قال صلي الله عليه وسلم «**من توضأ فأحسن الوضوء ثم صلي ركعتين (هذا في عمره كله) لم يحدّث نفسه فيهما بشئ خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه)** تصلي حتي ركعتين فقط بهذه الهيئة فربنا لا يريد عدد لكنه يريد خشوع ومدد فإخواننا بالجماعات الاسلامية أخذوا الظواهر وقالوا ليس هناك غيرها لأن الظواهر تُعْجب النفس وتُرْضي غرور النفس فقد يشعر المرء بالزَّهْو لأنه أطلق لحيته وسَوّي هيئته فمظهره يقول للناس أن هذا عالماً من علماء الاسلام وشيخ من مشايخ الاسلام ليس له مثيل فهذا يُرْضي غرور النفس بينما الصوفية لم ينكروا الشريعة بل قالوا إن الشريعة هي الأساس وهي الأصل وهي الكل لكن لابد حتي تُقْبل أن تكون معها الحقيقة ومعها طهارة الباطن ومعها حركات القلب بين يدي من

يقول للشئ كن فيكون وقالوا لكي يتابع المؤمن رسول الله صلي الله عليه وسلم ليس الشأن في أن يتابعه في حركات الصلاة الظاهرة وفقط لكن لابد وأن يتابعه في حركات قلبه وهو في الصلاة حتي تكون المتابعة كامله فقلبه صلي الله عليه وسلم أين كان يتحرك؟ هل كان يذهب إلي البيت أو الغيط أو المصنع؟ أبد.

فقد سألوا رجلاً من الصالحين وقالوا له: ما سر سهو رسول الله صلي الله عليه وسلم ؟ فقال: لقد قال صلي الله عليه وسلم في الحديث **«لست أنسى إنما أُنسّى للتشريع»** فإذا لم ينسه الله فكيف كنا نعرف حكم سجود السهو؟ فكأن الله عز وجل ينسّيه ليعرفنا حكم سجود السهو أي التشريع وزاد الرجل الصالح في الايضاح فقال:

يا سائلي عن رسول الله كيف سها　　　والسهو من كل قلب غافل لاهى

قد غاب عن كل شئ سرّه فسها　　　عمّا سوي الله فالتعظيم لله

فإنه استغرق في شهود الله فغاب بالله عما سواه فهو لم يغب كما نغيب نحن عن الله شغلا بغيره وإنما غاب بالله عما سواه صلوات الله وسلامه عليه فمن أجل هذا أقبلوا علي تهذيب النفس وتصفية القلب وتزكية السِّرّ والرّوح لله عز وجل مع القيام بأحكام الشريعة هل عرفنا الفارق بين الاثنين بين الجماعات الاسلامية والصوفية؟

الجماعات قالوا الشريعة هي الظاهر وفقط ولا غير ذلك ونقول لهم فالظاهر لا يصلح وحده لأنه لا ينفع الجسم بغير روح وكذلك لا تنفع الصلاة بدون خشوع ولاينفع صيام بدون مراقبة باطنية للملك العلام فالذي يصوم عن الطعام والشراب من آذان الفجر إلي غروب الشمس ويجلس يتطلع للغاديات والرائحات هل ينفع صيامه؟ أو يجلس طوال النهار في اللغو والكذب هلي ينفع صيامه؟ أو يشهد شهادة زور هل ينفع صيامه؟

لقد قال في هؤلاء جميعاً رسول الله صلي الله عليه وسلم: **«رب صائم ليس له من صيامه الا الجوع والعطش»** من هذا؟

هو الذي يوضح سلوكه صلي الله عليه وسلم فيقول **«من لم يَدَع قول الزور والعمل به فليس له حاجة في أن يدع طعامه وشرابه»** فهل ينفع هنا الظاهر وحده يا إخواني؟ لا وإذا ذهب المرء إلي الحج وأدي المناسك لكنه لم يعمل بقول الله عز وجل: **«فمن فرض فيهن إلي الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج»** [الآية (١٩٧) البقرة] فوقع في الثلاثة هل ينفع حَجّه؟ مع أنه أدّى الأركان الظاهرة ولكن ليس علي وفق الشريعة الباطنة، إذا أخرج زكاه ماله لكنه وقت خروجها كانت نيته أن الناس تُثْني عليه وتقول إن فلانا رجل فتح الله عليه فأخرج حق الله تماماً بتمام هل تنفع هذه الزكاة؟ لا

لقول الله عز وجل **«لا تبطلوا صدقاتكم بالمنّ والأذى»** [الآية (٢٦٤) البقرة] فلا بد ياإخواني من عمل القلب مع عمل الجسم لابد منهما معاً.

الطريــق الصوفــي القــويم

فالصوفية قالوا نعمل كما كان يعمل رسول الله صلي الله عليه وسلم فنبدأ بإصلاح النفوس وتصفية القلوب ومعها نعمل بشرع علام الغيوب فالذي يدّعي أنه من الصوفية ويُسْقط الأعمال الشرعية فقد خرج عن الطريق القويم «من تحقق ولم يتشرع فقد تزندق ومن تشرّع ولم يتحقق فقد تفسّق ومن تشرع وتحقّق فقد أخلص ودقّق» هذا هو نظام الصوفية لابد من الشريعة مع الحقيقة فندخل علي مَنْ مِنَ الصوفية لنسير معهم هل الذين يقولون وصلنا فلا نعمل؟

قال رسول الله صلي الله عليه وسلم لمثل هذا عندما وجده جالساً في المسجد مَنْ الذي يطعمك؟ قال أخي قال أخوك أعبد منك إذن ما المطلوب من السالك؟ لابد وأن يكون له عمل لأن العمل عبادة لله عز وجل والصوفية المشاهير كل واحد منهم تجد من حكمة الله أنه وجهه إلي حرفة وجعل الناس يطلقون عليه اسم الصَّنعة التي كان يعمل بها فهنا بالمنيا سيدي أحمد الفولي وقد كان يعمل في تجارة الفول وسيدي الجنيد المشهور بالقوار

يري وكان يصنع القوارير (أي الزجاج) وسيدي علي الخواص كان يشتغل بالخوص وسيدي الخرّاز الذي كان يصنع الخرز وسيدي الحريري الذي كان يصنع الحرير وسيدي الصايغ والذي كان يعمل فى صياغة الذهب كلهم علي هذا المنوال وسيدي الحلاج كان يحلج القطن وكانت بداية ظهوره أنهم كانوا يأتونه بالقطن فيأتون في الصباح فيجدونه محلوجاً فالذي يحتاج في حلجه إلي شهر يجدونه قد حُلج في ليلة. كلهم كانوا يشتغلون بأيديهم لأن هذا أمر الله وهذا شرع الله وهم لايخالفون شرع الله عز وجل طرفة عين

☆ أوصـــاف الشيـــخ المـــربى

إذن من الشيخ الذي أسير خلفه؟ وما العلامات التي أقيسه بها؟ أي أعرف الشروط التي وضعها ربنا للشيخ وأقيسه بها وأزنه بها والذي أجد فيه هذه الشروط يكون هو الشيخ الذي أسير خلفه وهو يسير خلف سيدنا ومولانا رسول الله صلي الله عليه وسلم **أول شرط هو ألا يخالف الشريعة** في حركاته ولا سكناته طرفة عين ولا أقل فإذا وجدت شيخاً جالساً ماداً رجليه وامرأة تجلس عن يمينه وأمرأة أخري تجلس عن شماله ويقومان بتدليك رجليه فهل هذا ينفع شيخاً في طريق الله؟

لا، بل هذا شيخا للشياطين وليس شيخا في عداد الصالحين لأن شيخ الصالحين أسوته وقدوته سيد الأولين والأخرين صلي الله عليه وسلم وإذا وجدت شيخا آخر يسخّر الجن ويعمل الأحجبة والطلاسم فهل هذا مندرجاً في طريق القوم؟ أو يصلح قدوة في طريقة رسول الله صلي الله عليه وسلم؟ لا، لأن طريقة رسول الله صلي الله عليه وسلم بيان وشرح لكتاب الله وهذا الشيخ لابد أن يعلمني شيئا منهما ولذا **فالشرط الثاني لابد وأن يكون الشيخ عالماً بشرع الله** وعالماً بكتاب الله وعالماً بسنة رسول الله صلي الله

☆ وقد استوفينا هذا الموضوع في كتابنا «الامام ابو العزائم المجدد الصوفى» في صفحة ١٥٠ وما بعدها تحت عنوان «المرشد الدال علي الله وشبهات في أئمه أهل الطريق. (طبعة دار الايمان والحياة)

عليه وسلم وعالماً بنهج الصالحين من عباد الله فهو عالم كامل يعمل بقول رسول الله صلي الله عليه وسلم «من عمل بما علم أورثه الله علم مالم يكن يعلم» (رواه أبونعيم عن أنس) هؤلاء الأشياخ لابد وأن يكون معهم علم الهامي من الله عز وجل والعلم الالهامي لن يأخذه إلا من عمل بما علم من أحكام الشريعة المطهرة. إذا كان شيخي أو الشيخ الموجود يطلب مني ويقول: عليك خروف تأتي به في سيدنا الحسين وأنت عليك عشرة جنيهات وهذا عليه عشرون وهذا عليه خمسون جنيها وهذا عليه كذا وهذا عليه كذا هل هذا ينفع شيخاً؟

لا لأن ربنا قال لنا **«إتبعوا من لا يسألكم أجراً وهم مهتدون»** [الآية (٢١) يس] فأنا إذا أعطيت من نفسي فلا مانع لكنه لا يطلب لأن من شروط الصوفية (نحن قوم لانطلب ولانرد) فلا يطلب أو يفرض أو يقول لخليفته خذ من فلان كذا لأنه يكون هنا هو الذي يطلب أيضاً لكن الشيخ في طريق الله لايطلب ولا يخطر حتي علي باله الطلب ولايسأل لا بحاله ولابقاله؟ فإن بعضهم لايطلب ولكنك إذا جلست معه يقول ماذا أفعل؟ النفقات كثيرة والمولد يتكلف كذا وكذا والناس لم يعد عندهم مزيّة ولا يأتون بشئ فهذا هو الطلب ولكن بلسان الحال. لكن الرجل الذي إختاره الله لا يطلب بلسان الحال أو بلسان القال ولا حتي يتمني في نفسه عطاءا من أحد لأنه شديد الاعتماد علي الواحد الأحد عز وجل فلا يتوكل إلا علي الله سبحانه وتعالي.

فشيوخ العادة الذي يجولون البلاد ليجمعوا العادة من المريدين ليسوا بشيوخ بل هم قطّاع طريق الله عز وجل علي عباد الله الصالحين لأنه يدخل البيت ليأخذ العادة وقد يكون الذي يدفع العادة لا يصلي فهل هذه وظيفته؟ أم وظيفته أن يهديه إلي الصلاة وقد يكون ماله هذا من ربا أو من سُحْت أو من غش فكيف يأخذه منه؟ لكن الجماعة الصالحين حتي الذين يقولون منهم (لانطلب ولانرد) معهم كشاف رباني فلا يأخذون إلا منَ الذي تحقّقوا منه أنه صالح ولذلك فالشرط الذي بعد هذا **«قل هذه سبيلي أدعوا لي الله علي بصيرة أنا ومن اتبعنى»** [الاية (١٠٨) يوسف] أي لابد **وأن يكون عنده البصيرة**

فإذا أحضر له أحدهم شيئاً وكان من مصدر غير حلال يقول له لا أريده ويعيده له لأنه يري عليه ظلمة المعصية فماذ يعمل به؟ هل يطعم أولاده ومحبيه ظلمات؟ فلقمة الحرام لها تأثير سريع جداً جداً جداً في إطفاء نور القلب والعياذ بالله عز وجل كما أن لقمة الحلال لها تأثير سريع جداً جداً جداً في زيادة نور القلب ولمعان القلب فلابد وأن يكون علي بصيرة وكلمة علي بصيرة ليس معناها أن نمتحنه ونقول له ما الذي في صدري؟ وما المخبّأ في بيتي؟ لأن هذا يحدث مع الذين يسخّرون الجن أما العالم الرباني فهو علي بصيرة لأنه يوضح لي الطريق السديد إلي الله عز وجل وعندما أجلس معه ويبدأ حديثه فربنا يجري علي لسانه الحديث عن الأوجاع والعلل النفسية والقلبية التي فيّ والعيوب التي فيّ والأخطاء التي فيّ من غير أن أحكيها له أو أقولها له «**آتيناه رحمة من عندنا وعلّمناه من لدنا علماً**» [الآية (٦٥) الكهف] هذا علم من الله عز وجل وإذا قلت له يا سيدي الشيخ كيف عرفت؟ يقول لك أنا رجل فقير وليس معي شئ فهو الذي علّمني فالذي يقول أنا الذي فعلت أو صنعت ليس بشيخ بل انه طفل صغير وفي ذلك يقول الامام ابو العزائم رضي الله عنه:

وإذا رأيت الرجل يشطح لسانه بأسرار مزيتة فاعلم أن ذلك من نقص في مقام عبوديته) فمقام مقام العبودية أو العبدية أو العبودة وأهل مقام العبودية أو العبدية أو العبودة دائماً في تواضع وانكسار وهذا هو حال الصالحين في كل وقت وحين فالامام البوصيري رضي الله عنه وأرضاه لما قال القصيدة العظيمة (البُرْدة) وأنشدها علي رسول الله صلي الله عليه وسلم في المنام وسيدنا رسول الله صلي الله عليه وسلم خلع عليه البردة والتفّ حوله الأنام فقال لهم متبرّئاً من نسبة النفع إلي نفسه:

أمرتُك الخير لكن ما ائتمرت به   وما استقمتُ فما قولي لك استقم

أي لا تظنّوا أني أفضل منكم أو أنّ لي مزية عنكم فأنا لا أعرف أين أنا وهذه هي أحوال الصالحين الحقيقيين والرجل الثاني قالوا له إنصحنا وعظنا

قال: أنـــا!

أغير تقي يأمر الناس بالتُّقي   طبيب يداوي والطبيب سقيم

فهذا هو حال الصالحين دائما يري نفسه لايملك شئ وليس معه شئ وإذا أفاض الله عليه شيئا يري أنه من فضل الله ومن كرم الله ومن عطاء الله ومن جود الله عز وجل حتي إذا أكرمني الله بكرامة علي يديه يقول لي: هذه ببركة رسول الله ورسول الله يقول لي هذه بفضل الله فالأمر كله يرجع لله عز وجل ولكن لا يقول هيا احضر مكبر صوت وانشرها علي الناس لأن الذي يفعل هذا لا يصلح وليٌ فالولي يفر من الكرامه كما تفر المرأة من حيضتها فلابد يا اخواني أن يكون علي بصيرة أي عنده نور من الله سرقو له صلي الله عليه وسلم «اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله عز وجل» (رواه الطبراني والترمذي من حديث أبي أمامة)

وظيفـــة الشيـــخ المــــربى

هذا الشيخ ماذا يفعل لى؟ يظل يتابعني بتوجيهاته وتوجّهاته تحتي يهذّب لي نفسي ويصفّي لي قلبي ويعطيني المنهج الذي أسير عليه حتي أصل إلي رضوان الله فيأمرني تارة وينهاني أخري وإن كان الشيخ الذي يأمر وينهي غير محبوب للنفس لأن النفس تريد شيخاً تنال شهواتها به ولذلك قالوا الناس يحبون عالم متساهل أو وليّ مجذوب فالعالم المتساهل سيفتيهم كما يريدون أي يعطيهم الرُّخص والتأويلات وهذا ما يريدون ويقولون: ضعها في عنق عالم واخرج منها سالم والولي المجذوب أي غير المرشد فهو جالس قد تجري علي يديه كرامات أو تظهر علي لسانه حِكم وإشارات لكن لا يقول افعل هذا أولا تفعل هذا وهذا ما تتمناه النفس وتريده لكن الولي العالم العامل الذي يقول لماذا فعلت هذا؟ ولِمَ لَمْ تفعل هذا؟ ويزجره وإن لم يكن في اليقظة يأتيه في المنام ويوبخه فهذا لا تقبله الا النفوس التي اصطفاها الله واختارها الله ليجعلها عيناً من عيونه في بلاد الله وفي أرض الله عز وجل.

هذه يا أخي باختصار الاجابة علي هذا الموضوع والكلام فيه يطول

قال السائل: وجد شيخ هنا وشيخ هناك، ماذا يفعل؟

قال الشيخ: يستخير الله وربنا سيبين له مع من يسير لأن الناس الصادقين في الصوفية لهم مشارب عدّدهم الله عز وجل الذي عدد المشارب ليشرب كل من مشربه فليس هناك اختلاف فكلهم يدعو إلي الله عز وجل لكن مع من أسير؟

استخير الله عز وجل والذي يشير به الله عليّ في منامي أسير معه لكن المشكلة في الذي يسير مع الكل فهذا لا يستفيد من أحد لا من هذا ولا من هذا في نوال قصده فهل يجوز لتلميذ عندنا أن يحضر في كل مدرسة من مدارس البلدة يوم؟

لا، لأن هذا لا يقيّد هنا أو هناك لكن لابد وأن يكون مقيّداً في مدرسة رسمية ويأتي له منها تموينه كتبه وكراساته وله أستاذ محدّد يضع له درجاته وهو الذي يُقيّمه بعد هذا إذا أراد أن يزور مدرسة كل سنة مرة يزور لكنه يزورها زيارة وغير مقيّد بسجلاتها وغير مُطالب بدروسها أو غيره ولذلك قال الشيخ الشعراني رضي الله عنه وأرضاه: «لايصلح حال المريد الا إذا أفرد شيخه بالقصد وجعل له شيخاً واحداً يتلقّي منه ويقتدي به في سيره وسلوكه إلي الله عز وجل لأنه من غير هذا لاينفع» هل ينفع أن استخدم خمس روشتات لخمس أطباء في وقت واحد؟ لا، بل لابد من طبيب واحد وروشتة واحدة أسير عليها حتي أصل إلي الله عز وجل لكن إذا كنت أرغب أن أسير مع هذا ومع هذا فهذا من نفسي لأنها تريد أن تجعلني متسيّباً ولاتريد أن تلزمني بأحد لأنها إذا التزمت بأحد سيقول لي اعمل هذا ولِمَ لَمْ تعمل هذا؟ وهي لاتريد الحساب تريد أن تسير علي هواها فتظل علي هذا الحال ولا تتقدم في طريق الله عز وجل وتظل محلّك سر وهذا حال كثير من المريدين والسالكين يريد أن ينتقل من هنا إلي هنا لأن النفس تريد أن تظل علي هواها.

خالف هواها وحاذر أن تُولّيهُ   إن الهوى ما تَولّى يُصْمِ أو يَصم

فلا بد أن يخالف هواها ويذهب إلي الشيخ الذي يأخذ بيده إلي الله عز وجل وهذا الشيخ ربما يطردني تارة لكسر نفسي وجائز أنه يوبّخني وجائز أن يزجرني فلابد أن أكون علي استعداد لهذا لأن هذا في مصلحتي وفي هذا يقول القائل.:

وكنت قديما أطلب الوصل منهم   فلما أتاني الحلم وارتفع الجـهل

تيقنّـــت أن العـبد لا طلـب له   فإن قربّوا فضل وإن أبعد واعدل

وإن أظهروا لم يظهروا غير وصفهم   وإن ستروا فالستر من أجلهم يحلو

فإذا ضربني أبي فهل هذا لأنه يكرهني؟ لا بل لمصلحتي وهذا هو نفس الأمر مع الشيخ فإذا وبّخني الشيخ مرة وغضبت ومشيت وقلت أبحث عن شيخ غيره. فهذا من نفسي فلن أنفع ولو زجرني مرة وتركته ومشيت فلن أتقدم في طريق الله لأن هذا هو نظام رسول الله صلي الله عليه وسلم مع أصحـابه الكرام وأنتم علي علم بما حـدث عندمـا رجع من غـزوة تبـوك فالجماعة المتخلفين جاءوه فأما المنافقين فقد أبدي كل منهم عذرا وتظاهر رسول الله صلي الله عليه وسلم بقبوله وأما الصادقين فقد كانوا ثلاثة فقال لهم: لماذا تخلفتم؟

فلم يقدّموا أعذارا؟ فقال صلي الله عليه وسلم: أما هؤلاء فصدقوا فدعوهم حتي يحكم الله في شأنهم، ماذا فعل في هؤلاء الثلاثة؟

قال لهم: لا تكلمونهم ولا تردّوا عليهم السلام ولا تخدمهم زوجاتهم – أظن لو أن شيخاً فعل مع أحدنا هذا الامر لتركه وتبّرم منه وقال البلد مليئة بالمشايخ فأبحث عن غيره. لكن هنا يعلمنا سيدنا رسول الله صلي الله عليه وسلم المنهج – وظلوا علي هذا الأمر خمسين يوماً حتي قال الله في شأنهم: **«وعلي الثلاثة الذين خلفوا حتي إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم وظنوا ألا ملجأ من الله إلا إليه ثم تاب عليهم ليتوبوا**

إنه الله هو التواب الرحيم» [الآية (١١٨) التوبة] وهم في هذه الحالة وكان أحدهم شاعراً وهو سيدنا كعب بن مالك؟ عرف ملك الروم بأمره، فأرسل له رسالة، وبينما هو يمشي بالسوق إذا برجل ينادى: أين كعب بن مالك؟ قالوا له هاهو: قال: إن ملك الروم أرسل اليك هذا المال وهذه الرسالة ففضّها فإذا به يقول له فيها: إني سمعت أن صاحبك قلاك [أى أبغضك] فإن كان كذلك فمعك المال وأحضر إلينا) فقال رضي الله عنه: وهذه أيضا من المصائب التي ابتلاني بها الله عز وجل فهل بعد أن شرح الله صدري للاسلام أذهب إلي الكفر؟ [والقصة كاملة في الصحيحين] انظروا الي هذا الصدق فلو أنه رجل ضعيف الايمان فها هي فرصته لكن الصدق نجاة حتي صدر لهم قول الله: **«ثم تاب عليهم ليتوبوا»** فتاب عليهم الله عز وجل وهذا الشيخ المرشد الولي العالم العامل الذي يقول عنه الله عز وجل: **«الرحمن فاسأل به خبيرا»** [الآية (٥٩) الفرقان] بعد ما أتأكد منه أسلِّم له روحي والذي يقوله لي أهشّ له وأرحّب به ولو حتّي عنّفني فإذا دافعت عن نفسي فأنا مازلت طفلاً صغيراً أحتاج إلي تربية لأنه إذا دافعت عن نفس فأنا أعين نفسي وأنصرها لكن نفسي لا تسير إلاّ بالتوبيخ وباللوم وبالتعنيف هكذا طبيعتها فالنفس لا تسير إلا بهذا لكنها تحب المدح وتحب الثناء فترغب في الذهاب إلي شيخ يقول لها شرفت يا شيخ فلان وأنت آنستنا وأكرمتنا نريد أن نراك دائما، احضروا له طعام وشراب ويجلس برهة ويذهب ماذا أخذ؟ لا شئ وبم وصّاه؟ لا شئ وما المنهج الذي أخذه ليسير عليه؟ لا شئ لكن نفسه سعيدة ويجول بخاطرها ما يلي قد زرت الشيخ فلان وقد عظّمني وكرمني أيّما تكريم إذن فإن لي منزلة عند ربنا لأن هذا الشيخ يعظمني هذه هي الحقيقة. فلو لم يكن لي منزلة ما كان عظمنى؟ ولو ذهب إلي شيخ آخر وقال لهم لا تدخلوه عليّ يقول وهل هذا شيخ؟ أيطردنى؟ ألا يعرف أن لي منزلة كريمة عند الله عز وجل؟ هذه هي هفوات النفس تميل إلي من يقدّرها ويكرّمها لكن النفس التقية النقية الأوّابة إلي الله عز وجل تميل إلي شيخ يدلّها علي الله عز وجل ويأخذ بيدها إليه ويدخلها نار المجاهدة لأنه لا توجد حلاوة من غيرنا فكما أن الذهب لا يظهر

جوهره إلا بعد دخول التِّبْر النار فكذلك الانسان لا يصل إلي مقامات القرب والرضـوان من الحنّان المنّان رلا بعـد أن تدخل نفـسـه وجـسـمـه في نار المجاهدة لابد من هذا فسيدي أبا اليزيد البسطامي رضي الله عنه وأرضاه قال «كنت حدّاداً علي نفسي اثنتي عشرة سنة ثم تنعمت بعد ذلك بما فتح الله عز وجل عليّ» لكن الذي يريد أن يتنعّم بالفتح من غير الجهاد كيف يكون هذا؟ وفي هذا يقول الامام أبو العزائم رضي الله عنه:

تريد أن تـري حسنـــي وترقى   بلا حـــرب شـــديد لا يكـــون
فمن رام الوصـــول إلـــي جنابى   أُصفّيـــه وفـــي هـــذا فتـــون

اذن لابد من الجهاد والجهاد يحتاج إلي خبير قرآني وحكيم رباني ولابد لكي أسلم نفسي له أن يكون معه تصريح وإذن من حضرة النبي صلي الله عليه وسلم.

«وداعياً إلي الله بإذنه وسراجاً منيراً» [الآية (٤٦) الأحزاب] أما الذي ليس معه إذن من حضرة النبي فكيف يوصّل الناس إلي الله؟ هل وصّل نفسه حتي يوصل غيره؟ ففاقد الشئ لا يعطيه .

حكم الانتقال من صحبة شيخ إلي غيره

سؤال: هل العهد بيني وبين شيخ ما يوجب عليّ عدم الانتقال إلي غيره ولو تحقّقت عدم الفائدة في صحبته؟

الاجابة: العهد الذي أخذه على أي شيخ من الشيوخ ماذا يقول فيه؟

يقول فيه لى: بايعت الله ورسوله. فالعهد في الحقيقة علي الله ورسوله وإن كان علي يد أي شيخ من الشيوخ ولذلك فالعهد علي شيخ لا يمنعني من الانتقال إلي غيره وأخذ العهد عليه إذا لم يتحقق الفتح لي علي يديه مع صدقي أو وجدت نفسي مع غيره.

سؤال: هل يشترط في المرشد أن يكوناً قريباً من المريد ليلتقي به دائماً؟

الاجابة: المرشد إذا كان مرشداً حقيقياً فقد قالوا أنه لايُشترط الملازمة له وقد قال في ذلك سيدي أبي الحسن الشاذلي رضي الله عنه «ليس بشيخ من لم يمدّ مريده من وراء حجاب» وكان المريدون الأكابر في الأزمنة الماضية لايري الواحد منهم شيخه إلا مرة واحدة في العمر كله لكن صورة الشيخ بعد هذا لا تفارقه فيواليه ويواجهه في المنامات أحياناً وفي العيان أحياناً حسب حاله وسلوكه مع الله عز وجل فليس شرطاً أن يجالس المريد الشيخ ليل نهار والا فهل ينقطع الشيخ له؟ كلا لأنه يمد روحه من وراء حجاب فإذا وجدت الشيخ الذي أنا معه ليس علي الشاكلة ولا علي الجادة أنتقل عنه وأبحث عن غيره علي الجادة ولكن لا أتسلّي بذلك فأترك هذا وأمسك في هذا بل هذا الكلام إذا كان هذا الشيخ ليس علي الجادة فقط وإذا كان الشيخ الذي سرت معه انتقل إلي جوار الله أبحث عن غيره والجزء الذي وقع فيه كثير من الصوفية وهذا خطأ موجود «الميراث» فإذا انتقل الشيخ يمسك ابنه مكانه فإذا كان ابنه لا يعرف؟ يقولون إن ابن الشيخ شيخ مَنْ قال هذا الكلام. وفي دين من هذا الكلام؟ فهذا الكلام غير موجود في دين الله عز وجل. فابن الشيخ هو ابنه الروحاني الذي ورث مقامه النوراني هو الذي يرث مقام الشيخ وذلك لأن الوراثة هنا وراثة الكتاب التي يقول الله عز وجل فيها **«ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا»** [الآية (٣٢) فاطر] قال احد الحاضرين: كان يجب أن يأتي هذا الأمر من الذين تولو الامر المجمع الصوفي. (يقصد مشيخة الطرق الصوفية)

قال الشيخ: المجمع الصوفي بالتعيين والحكومة التي عينتهم

قال السائل: الابن له عذر إذا قالوا له ادفع خمسين جنيهاً أو مائة جنيهاً ليصبح شيخاً.

قال الشيخ: أنا اتكلم عني أنا أريد أن انفع نفسي فأبحث عن شيخ . في الحقيقة فالمسؤلين لا يعرفون مّن النافع في الطريق لأنهم غير سالكين ولكننا نحن الذين نعرف فأبحث في البضاعة الموجودة في السوق فأبحث عمن عنده الحال والذي عنده النور ومن عنده الهداية وأعطي نفسي له.

قال: فالذي يريد إجازة يدفع وهو لا يقرأ ولا يكتب ولا يحسن الوضوء

قال الشيخ: نحن نريد مَنْ عنده إجازة من رسول الله صلي الله عليه وسلم فنحن لانريد إجازة من شيخ المشايخ نريد إجازة من رسول الله صلي الله عليه وسلم

سؤال: الذي يتعلم من الشيخ يتذكر شيخه أو أحواله؟

قال الشيخ: لا بد من استحضار صورة الشيخ في كل عمل من أعماله فالشيخ يمنع واردات الحس عن النفس فما الذي يطرد صورة لواحد أوصورة لمنظر أو مثل هذه الاشياء التي تشغل قلبي؟ إذا استحضرت صورة الشيخ فكل هذه الأشياء ستذهب ويأتي لي المدد من رسول الله صلي الله عليه وسلم عن طريق شيخي هذا فأستحضره عند تلاوة القرآن وأستحضره عند ذكر الله واستحضره عند أي عمل صالح أعمله استحضر صورة الشيخ وهذا أساس من أسس الطريق إلي أن يكرمني ربنا وأصبح صورة من الشيخ وأنتقل من تربية الشيخ إلي تربية سيدنا رسول الله صلي الله عليه وسلم ويظهر لي رسول الله فهو الذي يواليني وهو الذي يعطيني وهو الذي سيكون هنا في هذه المكانة.

سؤال: هل الشيخ هنا المرشد أو صاحب الطريق؟

قال الشيخ: الشيخ هنا المرشد هل رأيت أنت صاحب الطريق؟ فالله حي قيّوم ولا يصل إليه واصل إلا بحي قائم» فسيدنا الفولي نحن نزوره لنتبرك به وندعوا الله عز وجل عنده لكن الذي يريد أن يصل إلي الله ماذا يفعل هناك؟ فهذا يحتاج إلي من يقول له لِم فعلت هذا؟ أو خُذْ هذا الورد، نفّذ هذا فلابد وأن يكون رجل حي قائم يعني أقامه الله ومن هنا قالوا: «الله حي قيّوم ولا يصل إليه واصل إلا بحي قائم» وقال سيدنا علي «اللهم لا تخلو الأرض من قائم لك بحجة إما ظاهراً مشهوراً وإما باطناً مستوراً» فإياك أن تقول أن الأرض ليس فيها أحد لأنه لابد أن يكون فيها قائم فلا بد أن يكون حياً وقائما ولا ينفع من سبق في باب الوصول هذا هو نظام الوصول إلي الله عز وجل يا إخواني

سؤال: متي يشعر الانسان بالاخلاص؟

قال الشيخ: الاخلاص يا أخي واضح إذا كان العمل لله فهذا هو الاخلاص والعمل لغير الله ليس فيه اخلاص فنحن لا نعمل عملا صغيرا كان أو كبيرا إلا وننوي به وجه الله عز وجل.

قصيدة أنوار السرائر وسرائر الأنوار
للشيخ أبو العباس الشريشى رضى الله عنه

وللشيخ آيات إذا لم تكن له ... فما هو إلا فى ليالى الهوى يسرى

فإذا لم يكن علْم لديه بظاهر ... ولا باطن فاضرب به لجج البحر

وإن كان الا أنه غير جامع ... لوصفيهما جمعاً علي أكمل الأمر

فأقرب أحوال العليل إلي الردّي ... إذا لم يكن منه الطبيب علي خُبْر

ومن لم يكن الا الوجود أقامه ... وأظهره منشور ألوية النصر

فأقبل أرباب الاراده نحوه ... بصدق يحل العسر في جلمد الصخر

وآيته أن لا يميل إلي هوى ... فدنياه فى طَىّ وأخراه فى نَشْر

وإن كان ذا جمع لأكل طعامه ... مريد فلا تصحبه يوماً من الدهر

ولا تسألن عنه سوي ذي بصيره ... خلي من الأهواء ليس بمغترّ

فمن صدئت مرآه ناظر فهمه ... أرته بوجه الشمس من كلف البدر

ومن لم يكن بدر العروض فربما ... يري القبض في التطويل من أقبح الكسر

ولا تقدمن قبل اعتقادك أنه ... مُربي ولا أولي بها منه في العصر

فإن رقيب الالتفات لغيره ... يقول لمحبوب السِّراية لا تسر

ومن بعده الشيخ الذي هو قدوة ... يلقي مراد الحق في السّر والجهر

فقم واجتنب ما ذمّه العلم واجتلب ... لما خصّه بالمدح فهو جنى الدُّر

وإن تَسم نحو الفقر نفسك فاطرح ... هواها وجانبه مُجَانبة الشّر

وضعها بحجر الشيخ طفلاً فمالها ... خروج بلا فطم عن الحجر والحجر

ومن لم يكن سلْب الارادة وصفه ... فلا يطمعن في شم رائحة الفقر

وهـذا وإن كـان العـزيـز وجوده ... ولكنـه في العـزم خـال من العسـر
ولا تعتـرض يـومـاً عليه فإنـه ... كفيـل بتشتيت المريـد علـي هجـر
ومن يعتـرض والعلم عنه بمعزل ... يرى النقص في عين الكمال ولا يدرى
ومن لم يوافق شيخه في اعتقاده ... يظل من الانكار في لهب الجمر
فذو العقل لا يري سواه وإن نأى ... عن الحق نأي الليل عن واضح الفجر
ولا تعرفن في حضرة الشيخ غيره ... ولا تملأن عيناً من النظر الشَّزَر
ولا تَنْطقن يوماً لديه فإن دعا ... إليه فلا تعدل عن الكلم النَّزْر
ولا ترفعوا أصواتكم فوق صوته ... ولا تجهروا جهر الذي هو في قَفْر
ولا ترفَعَن بالضحك صوتك عنده ... فلا قبح إلاّ دُون ذلك فاستَبْر
ولا تقعدن قُدّامه مُتربعاً ... ولا باديا رِجْلاً فبادر إلي الستر
ولا باسطاً سجادة بحضوره ... فلا قصد الا السعى للخادم البِّر
وسجادة الصوفي بيت سكونه ... ولا وكر الا أن يطير عن الوكر
وما دمت لم تفطم فلا فرجية ... عليك ولا تلغى عليها بمستحر
ولا تَرَين في الأرض دونك مؤمناً ... ولا كافراً حتي تُغيّب في القبر
فإن ختام الأمر عنك مُغَيّب ... ومن ليس ذا حسر يخاف من المكر
ولا تنظرن يوماً إلي الخلق أنه ... يخَلّى طليق الصفو في كدر الأمر
وإن نظم الحق الكرامات أسطرا ... فلا تبدين حرفاً لغيرك من سطر
سوى الشيخ لا تكتمه سّرا فإنه ... بساحة كشف السر يجري علي بحر
وفي الكشف إن كو شفت راجعه إنه ... لتوضيح ماكُو شفت مبتسم الثغر
ولا تنفرد عنه بواقعة جرت ... ففي غا عيناك والسمع في وقر
وفر إليه فى المهمات كلها ... فإنك تلقى النصر في ذلك الفر
ولاتك ممن يحسّن الفعل عنده ... فيفسد الا أن يفر إلي الكسر
ومن حَلّ من صدق الانابة منزلا ... يرى العيب فى أفعاله وهو مُسْتَبرى

وصلى الله علي سيدنا محمد وعلي آله وصحبه وسلم.

الفصل الثالث

رسالة الصالحين

- أدب الصالحين فى طلب العلم
- عبرة من السيرة النبوية العطرة
- بضاعة الرحمن وتجارة الشيطان
- الصراع فى مملكة الانسان
- صراع الحق والباطل
- لواء الفضيلة
- قيم الدعاة والمرسلين
- تمام مكارم الأخلاق
- المؤمن للمؤمن كالبنيان
- الوقاية من عذاب الخزى
- رسالتنا
- أسرار مواهب العارفين

كانت هذه المحاضرة بمسجد الأنوار القدسية بالمهندسين بالقاهرة مساء الخميس ١٠ من ربيع الأول ١٤١٧هـ الموافق ٢٥/٧/١٩٩٦ عقب صلاة المغرب احتفاءا بذكري ميلاد رسول الله صلي الله عليه وسلم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أكرم الوجود ببعثة سيدنا ومولانا رسول الله صلي الله عليه وسلم فأخرج الناس به من الظلمات إلي النور وجعل الناس به إخوه متحابين متآلفين بعد أن كانوا متفرقين وأعداء ومتقاتلين اللهم صلي وسلم وبارك علي سيدنا محمد سدره منتهي علوم الخلائق وغاية المقامات الالهية لكل واصل وعارف بحر اللطائف ومحيط المعاني وباب الكرم الالهي وسر القرب والتداني صلي الله عليه وعلي آله وكل من مشي علي منواله أو تمسك بهديه أو تجمل بجماله إلي يوم الدين آمين يارب العالمين أما بعد:

فيا اخواني ويا أحبابي في الله ورسوله بارك الله فيكم أجمعين

أدب الصالحين فى طلب العلم

في الحقيقة الانسان يحتار إذا كان سيتحدث مع علماء مثلكم لأنهم يعلمون ما سنقول بل ربما يتذكرون ما نسيناه في زحمة المشاغل والمشاكل التي نواجهها في هذه الحياة هذا إلي أن ما سنقوله قد تكونوا سمعتموه مراراً وتكراراً ولذلك قد يجلس البعض بذهن شارد لأنه كلام معاد وقد ينصرف البعض لأحاديث جانبية لأنه كلام سبق له أن سمعه ولكن أدّبونا الصالحين رضي الله عنهم أن نستمع لأي مقال ولو كُرر أمامنا في ألف جلسة علي أننا نسمعه لأول مرة وقد جربنا ذلك فوجدنا الخير في ذلك حتى أنني أحياناً أجلس لصلاة الجمعة فى مجلس عادى ويكون الخطيب عادي وربما يخطب في ورقة ولكن لا أجعل همي علي الخطيب وهيئته ولا ألفت نظرى إلي ورقته وإنما أركز علي معاني الكلام الذي يقوله فأخرج مستفيداً بحمد الله عز وجل سر قوله صلي الله عليه وسلم **«خذ الحكمة ولو من أفواه المجانين»** فليس كل ما قيل جاء أوانه ولا كل ما جاء أوانه جاء زمانه ولا كل ما جاء زمانه جاء رجاله فنحن جميعاً نتلوا كلام الله «القرآن الكريم» وبعضنا يحفظه عن ظهر قلب ولكن أحياناً يسمع الانسان الآية وكأنه

يسمعها لأول مرة ولا تظنوا أن ذلك لنا فقط بل حتي لأكابر القوم فسيدنا عمر رضي الله عنه وأرضاه لما سمع بانتقال رسول الله صلي الله عليه وسلم جاء وسيفه علي عاتقه وهو يقول من قال إن محمداً قد مات قطعت عنقه إنما ذهب للقاء ربه كما ذهب موسي عندما ترك قومه وسيرجع إلينا مرة أخري فجاء الصدّيق وكلام الصدّيق فيه التثبيت لمن يسمعه رضي الله عنه وأرضاه لأنه معه القول الثابت في الحياة الدينا وفي الآخرة الذي يقول فيه الله **«يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة»** [الآية (٢٧) إبراهيم] كيف يثبتهم بالقول الثابت؟

يهيأ لهم الأسباب حتي يسمعوا من صدّيق أو رجل على قدم الصدّيق فيتثبت حالهم ويقوي يقينهم ويزيد إيمانهم لأنهم يسمعون من الذي أعطاه الله وجمّله بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفى الآخرة فلما جاء الصديق ووجد القوم وقد أصابهم الفزع سيدنا عثمان أُخرس وسيدنا علي أقعد ولم يستطيع النهوض أو القيام وغيرهم ونزل بهم ما لا نستطيع وصفه خطب فيهم قائلاً من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات ومن كان يعبد الله فإن الله حيٌّ لايموت ثم تلي قول الله عز وجل **«وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم علي اعقابكم ومن ينقلب علي عقبيه فلن يضر الله شيئاً وسيجزي الله الشاكرين»** [الآية (١٤٤) آل عمران] فسيدنا عمر عندما سمع هذه الآية قال كأنني اسمع هذه الآية لأول مرة مع أنه حافظ القرآن ويرتله دائماً ولا ينقطع عن تلاوته لكن لما جاء أوان هذه الآية وقرأها رجل من أهل العناية حَلّتْ في القلب، ونزلت في موضعها اللائق في القلب فكانت بالنسبة لوقعها علي قلبه أول مرة تنزل علي هذا القلب بمعانيها وحقائقها وتثبيتها الروحاني من الله عز وجل ولذلك علمونا أن الانسان عندما يحضر درس أى عالم من العلماء يُنْصت إليه باهتمام كأنه يسمعه لأول مرة لماذا؟

لأنه يسمع الكلام وهو يعلم أن مَلَك الالهام هو الذي يُلهم العلماء العاملين والأولياء الصالحين بما يفيد الحاضرين فالذي يحضر وقد يكون الدواء ذُكر

له مراراً ربما في هذه المرة يحدث له الشفاء وأحياناً أكون عارفاً بالدواء وأحضره من الصيدلية وأستخدمه ولا يتم الشفاء وعندما أذهب إلي الطبيب ويكشف عليّ ويعطيني دواء ربما من أول جرعة يأتي الشفاء وهكذا أمر الله يا اخواني في سماع دروس العلم كما علمّنا عباد الله الصالحين ولذلك يقول الامام أبو العزائم رضي الله عنه وأرضاه:

عنّي اسمعوا ما تعقلون من الكلام   فالعلم بالرحمن من صافي المُدام

خُذْ ما صفالك من اشارة عارف   فالعارفون كلامهم يشفي السقام

فإياك أخي ولو كنت من أكابر العلماء أن تظن أنك لم تعد بك حاجة إلي سماع العلم فربما يأتي الشفاء للمريض الذي يئس منه الأطباء في قرص إسبرين يشتريها من محل بقالة وهو مستهتر بها ويقول: أنا استخدم دواء العلبة منه بألف جنيه فكيف استخدم الأسبرين؟

ولم يلحظ أن هذه أسباب سبّبها مسبب الأسباب عز وجل فالانسان عندما يجلس في مجالس العلماء العاملين والأولياء الصالحين يغلق مخازن العلم التي معه ويفتح شريط جديد في قلبه لينتفع بهذا العلم الحديث عهد بالله عز وجل ولا يحدث نفسه بأنه يستطيع تحصيل هذه العلوم من الكتب أو يظن في نفسه أنه بلغ مقاماً عظيماً في العلم ويستطيع أن يأتي بأحسن من هذا الذي يسمعه لأن الشفاء من الله وقد يأتي علي أوهي سبب إذا أراد الله عز وجل

عبرة من السيرة النبوية العطرة

ونحن جميعاً والحمد لله درسنا سيرة سيدنا رسول الله صلي الله عليه وسلم وبعضنا يكاد يحفظها بأسانيدها عن ظهر قلب لكن ربنا قال لنا فيها وفي قصص الأنبياء والصالحين والأولياء والصديقين والمقربين **«لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب»** [الآية (١١١) يوسف] فالمهم هو العبرة التى

نأخذها من هذه القصة وكل قصة منها لا تحتوي علي عبرة واحدة فقط بل بها عبر لا يعلمها الا الله عز وجل لأن معاني كلام الله لا عد لها ولا حدّ لها ولا يستطيع أحد أن يحصيها وسنتناول اليوم عبرة واحدة من دروس السيرة العطرة والعبرة التي أتحدث عنها اليوم أذكر بها نفسي أولاً لأتذكر المهمة الواجبة عليّ مع رسول الله صلي الله عليه وسلم والتي كلّفني بها الله عز وجل واخواننا أيضاً يتذكروا الرسالة التي كلفهم بها الله في مناصرة سيدنا ومولانا رسول الله صلي الله عليه وسلم. وسيدنا رسول الله صلي الله عليه وسلم لخص الغاية من دعوته في كلمة واحدة هي مكارم الأخلاق وقال في ذلك صلوات الله وسلامه عليه «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق» وهذا يدل علي أن مكارم الأخلاق بدأت الدعوة إليها منذ مبعث آدم عليه السلام وكل نبي يبعث لابد أن يكون في صلب دعوته شئ من الأخلاق الالهية يحاول أن يطبع به مَنْ حوله من أهل الثُّلّة الايمانية.

بضاعة الرحمن وتجارة الشيطان

منذ هبوط آدم إلي الأرض نتيجة لما حدث بينه وبين الشيطان في الجنان فقد نزل آدم مندوباً عن حضرة الرحمن ومعه توكيل بضاعة الايمان ونزل الشيطان ومعه بضاعته التي يحارب بها عباد الرحمن وليس آدم وحده بل كل ولده من أول آدم إلي أن يرث الله الأرض ومَنْ عليها فأصبح آدم وذريته أو أتباعه الذي يتبعونه في المنهج والذين معهم التوكيل لبضاعة الرحمن وهم الذين أخذوا التوكيل الذي تمنّت الملائكه أن تحصل عليه في كل سماء من سموات الله عز وجل فقد إشرأبت أعناقهم وتاقت نفوسهم وتمنوا جميعاً أن يحصلوا علي هذا التوكيل الذي أشار إليه عز وجل في قوله: « **إني جاعل في الأرض خليفة** » [الآية (٣٠) البقرة] والخلافة فيما تكون؟ تكون الخلافة عنه عز وجل في صفاته ولذلك قال صلي الله عليه وسلم «إن الله يحب من خلقه من كان علي خُلقه» فهؤلاء هم الذين أخذوا عن الله الخلافة لأنهم تخلقوا

بأخلاق الله عز وجل في الكرم وفي العفو وفي الشفقة وفي الحنان وفي الجود وفي الرأفة وفي الهداية وفي العلم وفي الصبر وفي كل أخلاق الله وجمالات الله وكمالات الله وأين هذه البضاعة الآن؟ عند العبد الذي ورث الخلافه عن آدم وآدم عن الله عز وجل.

وماذا يفعل الشيطان؟

يريد أن يهدم هذه الكمالات ويقضي علي هذه البضاعة وبم يستعين علي ذلك؟

يستعين علي ذلك بالغدر واللؤم والخِسّة والخيانة والخديعة والبطش والزور والظلم والكذب والبهتان وشهادة الزور والغرور وغيرها من هذه الأصناف التي هي مع الشيطان ومع أتباع وأذناب الشيطان يروّجونها ليحاربون بها عباد الرحمن في كل مكان. وهذه الحرب قد بدأت شرارتها منذ أن اختار الله عز وجل آدم للخلافة ولذلك فإن سيدى أبي الحسن الشاذلي رضي الله عنه وأرضاه لما سمع من بعض من يدّعي العلم إنكارهم علي آدم أكله من الشجرة وقولهم لو لم يأكل من الشجرة لما خرجنا من الجنة ولما هبطنا إلي الأرض قال لهم لو فقهتم كلام الله عز وجل ما تفوهتم بمثل هذا الكلام لقد قال الله عز شأنه، « **إني جاعل في الارض خليفة** » ولم يقل إني جاعل في الجنة فكان لابد من نزول آدم من الجنة لتحقيق الخلافة عن الله عز وجل لأن الخلافة في الأرض وليست في الجنة ولما كانت إرادته سبحانه أن يجعل لكل شئ سبباً فكان الأكل من الشجرة سبباً لنزول آدم إلي الأرض ليتحقق بالخلافة عن الله عز وجل.

الصــــراع فى مملكـــة الانســـان

ولما كانت الجنة لا تصلح ميداناً للصراع لأن من فيها من الملائكة « **لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون** » [الآية (٦) التحريم] كان لابد من نقل ميدان الصراع إلي الأرض فالانسان فيه الشهوة وفيه النفس ومعهم الروح

والجسم والقلب والكل يتصارع علي كرسي العرش في مملكه الانسان فالكل يريد أن يكون صاحب هذه الدولة فالنفس ترغب أن تمشي علي حسب هواها والقلب يريد تحقيق مناه والجسم بغيته في الحصول علي شهواته والروح تطلب مني أن أسمو وأعلو وأرقي حتي أكون مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحَسُن أولئك رفيقاً أين ميدان هذه الحرب؟. بداخلي أنا لأنها حرب من هذه الحقائق للسيطرة علي مملكتي أو لنوال حظوظها وشهواتها ولذلك لا تبدأ هذه الحرب إلا عند وجود مقتضي المعصية أو باعث الشهوة فبعض حقائقي يطالب بفعلها والبعض الآخر يطالب بالامتناع عن تنفيذها وكل حقيقة تسوق من الحجج والأدلة ما يبرر طلبها فالنفس تبرر طلبها قائلة ربنا غفور رحيم وتواب كريم فلا عليك أن تعطيني حظي وبعد ذلك نتوب والقلب وجنوده يقولون لا تفعل فربما تكون نهاية حياتك أثناء الفعل أو بعده فبماذا تعتذر لربك عز وجل؟ وهكذا فالصراع قائم بداخلي بين جند الخير والقلب والروح والسر والخفي وغيرهم وجند النفس من الشهوة والحرص والغضب وغيرهم فإذا كان اهتمامي أكثر بجند الخير أغذيهم بغذاء القرآن وأعطيهم فيتامينات من سنة النبي العدنان وأجعلهم دائما يستمعون بخشوع من العلماء الذين تتلقي قلوبهم العلم الالهامي من الله وتأتي بالثمار العلمية الشهية طازجة من حضرة الرحمن فسوف يقوون علي النفس وجندها فينهوهم عن الغيّ والقبيح وأما إذا رتعتُ في أودية الغفلة ونبات الايمان الذي بداخلي أضعفته ومنعت عنه كتاب الله وسنة رسول الله والعلم النافع بالله عز وجل وقويت الجسم وسمّنته وأعطيت له كل مالذّ وطاب فإن الإيمان ينزوي بالقلب فلا يستطيع القلب أن يتغلب علي جنود الشيطان وكل ما القلب يطلب النُّصرة يجد الخُسران والخذلان لأن النفس دائماً تميل إلي المعصية وفي ذلك يقول الامام أبو العزائم رضي الله عنه:

يا نفس دوماً في المعاصي ترغبي وتنسى حليما حاشا أن ينساك

ويقول أيضاً رضي الله عنه:

هي النفس للداني تحن وترغب ... وللعاجل الفاني تميل وتطلب

صـــراع الحـــق والباطـــل

هذه الحرب يا اخواني قائمة كذلك في عالم الأرض منذ هبوط آدم من الجنة إلي أن تنتهي الدنيا ومَنْ عليها في جهة منها جند الرحمن وقادتهم الأنبياء والمرسلون وبعدهم العلماء العاملين والأولياء الصالحين وعدتهم وعتادهم والذين يعينونهم هم عباد الرحمن من المؤمنين وفي الجانب الآخر الشيطان وقد جنّد معه أهل الكفر وأهل الشرك وأهل الجحود وأهل الأهواء وأهل المعاصي وهم الكثرة في الأرض والحرب دائرة باستمرار فأهل الله عز وجل مَدَدُهم يأتي من السماء وينزل علي القلوب فينزل لهم نور من الله وسكينة من الله وطمأنينة من الله والهام من الله وعلم وهبي من الله فيثبتهم ذلك ويعينهم علي عدوهم الذي قال لهم فيه « **إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا** » [الآية (٦) فاطر] أي اياكم أن تسلموا له في يوم من الأيام أو تأمنوا مكره وغدره في نفس من الأنفاس والشيطان سخر الله عز وجل مع اعوانه الأكوان فمعهم المال ومعهم الزخارف ومعهم المطارف ومعهم الجمال ومعهم الأهواء والحظوظ ومعهم الشهوات فاغراءاتهم تأخذ العيون ولا يستطيع أن يفلت منها إلا من تحصّن بالله وتمسّك بهدي رسول الله صلي الله عليه وسلم فأهل الحق يعملون علي نشر الفضيلة وأهل الباطل يسعون لينشروا الرذيلة وهذه هي الحرب وللأسف فأن الحرب بالنسبة لهذا العصر الذي نحن فيه وصلت في زحفها إلي صفوف المقاتلين من المسلمين فقد تخلي كثير من المسلمين عن قيمهم الدينية كالصدق والأمانة والمروءة والوفاء بالعهد وغيرها وأخذوا يتعاملون فيما بينهم بالكذب والغش والخديعة وغيرهم من أحوال أهل النفاق وهذه هي المصيبة التي وقع فيها كثير من المسلمين يا اخواني لكنكم لا يجب أن تقعوا فيها لأنكم حملة الرسالة والقائمين بالنيابة عن سيدنا

رسول الله صلي الله عليه وسلم بهذه الأمانة فقد ورّثنا رسول الله صلي الله عليه وسلم لواء الفضيلة أما الهداية فهي من الله عز وجل **«إنك لاتهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء»** [الآية (٥٦) القصص]

لــــواء الفضيلـــة

فالهداية كلها من الله وعلينا البلاغ فقط لكن اللواء الذي نحمله ما هو؟

لواء الفضيلة فعلينا في وسط هذا المجتمع أن نبيع للناس الصدق والمروءة والأمانة والكرم والجود والوفاء بالعهود والاخلاص والصدق وكل ما جاء به الأنبياء والمرسلون من بضاعة رب العالمين عز وجل وهذه القيم مبثوثة ومنتشرة في كتاب الله عز وجل تعرضها الآيات القرآنية وتجمّلها السنة النبوية والقائمين بها يقول فيهم الله عز وجل **«من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه»** [الآية (٢٣) الأحزاب] فالحرب القائمة الآن بشراسة بين أهل الحق وأعوان الباطل ليست بالسيوف وجهاً لوجه ولا بالمدافع ولا بالدبابات ولكنها حرب لتدمير الأخلاق والمعاملات الاسلامية فالعدو وجنوده يريدون تدمير أخلاقنا وتغيير سلوكنا ولذلك فجهاد المؤمن في هذا الزمان يا اخواني في أن يتمسك بالفضائل ولو لم يكن في هذا الكون إلا هو لأنه يعلم أنه عن قريب سيلقي الله عز وجل وسيسأله عن الأمانة التي كلّفه بها عز وجل فماذا سيقول له؟

هل سيقول له إن الحاجة إلي الدنيا وضرورة العيش في الدنيا وطلبات الدنيا هي التي جعلتني اغش لأكل وأعيش؟

ليس هذا بعذر أو أخون فلان لأحصل علي لقمة العيش أيضاً هذا ليس بعذر لأنه عندما حملني رسالة الفضيلة قال لي عليك بحمل الرسالة وتبليغها للخلق وسنتكفل بكل شأنك **«كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله»** [الآية (١١٠) آل عمران] وإليك المثل والقدوة بما حدث للنبي صلي الله عليه وسلم فكلنا نعرف أنه كان فقيراً ولذلك فقد كان

يرعي الغنم أولاً ثم اشتغل بالتجارة وعندما كلفه الله بالرسالة **«ووجدك عائلاً فأغني»** [الآية (٨) الضحى] أغناه عن الخلق وكان ذلك بأن رجلاً من اليهود وكان من أغني اغنياء اليهود ولم يعقب نُسْلا (ليس له أولاد) شرح الله عز وجل صدره للاسلام فذهب لليهود وقال يا معشر اليهود ما تعلمون عني؟

قالوا أنت خيرنا وابن خيرنا وكان ذلك قبل غزوة أحد قال فتعلمون يا معشر يهود أن محمداً علي الحق وأن التوراة تأمركم أن تخرجوا لنصرته قالوا لا كذبت قال فإني أشهدكم أني آمنت به وبرسالته وسأخرج الي نصرته فإذا متّ فما لي كله لمحمد صلي الله عليه وسلم وكتب وصيه وخرج وأعطاها لرسول الله صلي الله عليه وسلم فدارت المعركة ولم يُصلّ هذا الرجل ولم يصم ولكنه دخل المعركة لنصرة الاسلام وفي المعركة استشهد فانتقل ماله وتركته لرسول الله صلي الله عليه وسلم وأغناه الله بهذا المال حتي لا يحتاج لأحد سواه عز وجل لأنه يقوم بحمل الأمانة التي كلفه بها الله عز وجل وهكذا كل من يحمل الرسالة ويمشي بالأمانة فحَذار أن يسمع لكلام أعوان الشيطان عندما يقولون له كيف تتعامل في بيعك يا هذا؟ فيقول بالصدق فيقولون له: لن يطيب لك عيش ولن يهنأ لك بال لأنك لا تستطيع العيش حتي تغش وتكذب وتخدع وتغدر وربما يأتون بكلام من عند أنفسهم يوهمونه به أنه حديث ليصدّق دعواهم مثل قولهم «من لم يتذأّب أكلته الذئاب» فقد بلغت الوقاحة بهم أن ينسبونه للنبي صلي الله عليه وسلم ولكن المؤمن الثابت الايمان القوي اليقين يثق بوعد الله عز وجل بالنُّصرة والتمكين لعباده المؤمنين في قوله عز شأنه **«وكان حقاً علينا نصر المؤمنين»** [الآية (٤٧) الروم] فلم يقل المؤمنين الذين مع النبي أو في زمانه فقط بل المؤمنين في كل زمان ومكان وَعَدَ الله عز وجل أن ينصرهم ولا يحوجهم إلي غيره طرفة عين ولا أقل ما داموا تمسّكوا بهدي الله ويشرع الله وبالرسالة التي كلفهم بها الله عز وجل إذن ما رسالتنا التي كلفنا الله بها ياإخواني؟

التمسك بالفضيلة والقيم والمبادئ والمُثل الدينية والدعوة إليها وفي ذلك يقول الله عز وجل **« يا أيها الذين آمنوا كونوا أنصار الله»** [الآية (١٤) الصف] وهل الله عز وجل يحارب في معركة ويريدنا أن ننصره؟

كلا وكنه يريد منا سبحانه وتعالي أن ننصره في أنفسنا أولاً بأن نتمسك بالفضائل وبالقيم التي جاء بها أنبياء الله ورسل الله ومن أجلها أرسلهم الله فسيدنا شعيب مثلا أُرْسل بقيمتين اثنتين وضحهما المولي عز وجل في قوله **«أوفوا الكيل ولا تكونوا من المخسرين وزنوا بالقسطاس المستقيم ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تعثوا في الأرض مفسدين»** [الآيات (١٨٠ : ١٨٣) الشعراء] وسيدنا موسي أرسل ليزيل الظلم ويحقق العدل لبني اسرائيل وحتي يتبين لنا مبلغ تمسك المرسلين بالقيم والفضائل فهذا موسي عليه السلام لما خرج من مصر وجاع ووجد بنات سيدنا شعيب علي البئر ولم يستطيعوا أن يسقوا أغنامهم حتي سقي الرعاه جميعاً أغنامهم وأغلقوا البئر بالحجر وتركوهم من غير سقي فظهر ليبين فتوته والفتوة ليست الشجاعة فقط بل الفتوة هنا معناها المروءة وقد استخدمت الفتوة في القرآن بمعني المروءة كثيراً ورفع الحجر وسقي لهم ومشت البنت الكبري أمامه والريح هفهفت ثوبها فقال لها امشي خلفي وصف ليّ الطريق لماذا؟ لأنه حارس علي هذه القيم والفضائل فلا يسمح لنفسه أن تنظر إليها أو تتلفّت عليها حتي وصل عند سيدنا شعيب وكان جائعاً ولم يكن معه شئ فقالت ابنة سيدنا شعيب هيّا ليُعطيك أبي أجر سقايتك لنا فقال سيدنا موسي عليه السلام: إنّا من أهل بيت لا نأخذ أجراً علي ما فعلناه لله عز وجل. فالذي نعمله لله لا نأخذ عليه أجراً فعرض عليه أن يزوجه إحدي بناته فوافق ولكنه اشترط أن يدفع المهر وكان المهر أن يرعي الغنم لمدة ثماني سنوات أو عشر سنوات وترك له حرية الاختيار بينهما وعندما سُئل رسول الله صلي الله عليه وسلم عن السنوات التي اختارها موسي عليه السلام وقضاها قال صلي الله عليه وسلم: «قضي أتمهما أو فاهما» أي العشر سنين لماذا؟

لأن هذا أجمل وأكرم في باب القيم والمُثل التي أُرسل من أجلها صلوات الله وسلامه عليه فالمؤمنون هم الجنود الذين كلفهم الله بإبراز القيم الإلهية وإبراز الفضائل القرآنية علي أنفسهم فالناس في زماننا صاروا يسمعون كثيراً لأن العلماء أصبحوا كثيرين لكن عندما يقيسون الفعل بالقول يحدث عندهم إحباط بماذا يقتدون بفعله أو بكلامه؟

فالمؤمن العالم العامل لا يلقي هؤلاء بوجه ولا هؤلاء بوجه بل ظاهره كباطنه وباطنه في مراقبة الله أجمل وأكمل من ظاهره ما الذي يهدم الفضيلة بين المؤمنين يا اخواني؟

المنافقين الذين ينتشرون بيننا لأنهم هم الذين يروّجون بضاعة الشيطان فيما بيننا فيسعون جاهدين لينشروا بيننا الكذب والخيانة وعدم الوفاء بالوعد وغيرها من أصناف البضاعة الابليسية التي نراها والتي صارت في زماننا علي أشدها حيث أنهم يستخدمون كل طاقاتهم وكل الوسائل الحديثة في نشر الرذيلة ومحاربة الفضيلة فيحاربون العفة في بناتنا وشبابنا ويحاربون الصدق والاتفان والاخلاص والوفاء والبر وكل القيم الاسلامية والعجب أنهم يتشدّقون بأنهم الذين يحافظون علي حقوق الانسان في كل مكان وقد بشرنا الله عز وجل بأننا من القوم الذين يقول فيهم « **فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة علي المؤمنين [متواضعين لاخوانهم المؤمنين ولا يتكبرون عليهم] أعزة علي الكافرين**» [الآية (٥٤) المائدة] فلا يخضعون لاغراءاتهم ولو كان في ذلك ذهاب حياتهم ويقول قائلهم: نموت علي دين الله خير من أن نعيش علي السُّحْت والحرام والغش والخديعة وما يغضب الله عز وجل ولما كان لابد من الموت والموت لا يكون إلا مرة واحدة فخير للعبد أن يموت وقد وفىّ بما عاهد عليه الله حتي ينال يوم القيامة مقاماً من المقامات التي جهّزها الله لعباده المؤمنين كالصادقين والصادقات والقانتين والقانتات والخاشعين والخاشعات والصائمين والصائمات والحافظين فروجهم والحافظات والذاكرين الله كثيراً والذاكرات فهذه هي المقامات التي يكون بها الهناء يوم لقاء الله فالفخر يكون يوم القيامة لمن يُنَادي عليه أنه من

الصـادقين أو مـن الأوفـيـاء أو من أهل العـفـو أو من أهل الصـفـح وأمـثـالهم فهؤلاء هـم الذين لهم المنزلة يوم لقاء الله عز وجل ولذلك يقول الصـادقون لأن أمـوت علي الوفـاء بما عـاهدت عليـه الله عـز وجل من الأخـلاق والمعـامـلات أفـضـل من أن أمـوت علي رذيلة من هـذه الرذائل فـأكون قـد خسـرت الدنيـا والآخرة وذلك هو الخسران المبين.

تمـــــام مكـــــارم الأخـــــلاق

فسيدنا رسول الله جاء ليتمم رسالة الأنبياء فقد حمل كل نبي جزء منها فـمنهم مـن جـاء يوفـىّ الكيل والميـزان ومنـهم من بُعث لرفع الظلم ومنهـم من أُرسل لمحاربة الرذيلة مثل سيدنا لوط وهكذا. ورسالة الاسلام كما عبّر عنها سيـدنا ربعي بن خـراش لما دخل علي رسـتم قـائد الفرس وقـال له: «إن الله ابتعثنا ليخرج من يشاء من عباده من ضيق الدنيا إلي سعة الآخرة ومن عبادة العبّاد إلي عبادة الله ومن جَوْر الحكام إلي عدل الاسلام» فقد جاء الانبياء السابقون بمكارم الأخلاق ومحاسن الفضائل وجاء صلي الله عليه وسلم بتمـام مكارم الأخلاق التي منهـا قوله صلي الله عليـه وسلم: أوصاني ربي بتسع أوصيكم بهن أن أصل من قطعني وأن أعط من حرمني وأن اعفو عمن ظلمني إلى آخر الحديث» فهذه مقامات راقيه لمن يريدون المنازل العالية عند الله عـز وجل وإلي ذلك الاشـارة بقـول الله عـز وجل أيضـاً « **والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين»** [الآية (١٣٤) آل عمران] وسنأخذ مثل من التابعين علي ما ذكرناه لأن الصحابة أمثلتهم كثيره.

ذكر الحـافظ ابن رجب الحنبلي أن الشـيخ الصـالح أبا القـاسم الخـراز الصوفي البغدادي قال سمعت القاضي أبا بكر محمد بن عبد الباقي بن محمد البّزار البغدادي الأنصاري يقول كنت مجاوراً بمكة المكرمة فأصابني يوماً من الأيام جوع شديد لم أجد شيئاً أدفع به عني الجوع فوجدت كيساً مشدوداً بشرّابه فـأخذته وجئت إلي بيتي فحللته فوجدته فيه عقداً من لؤلؤ لم

أر مثله فخرجت فإذا بشيخ ينادى علي ومعه خِرْقه فيها خمسمائة دينار وهو يقول: هذا لمن يرد علينا الكيس الذي فيه اللؤلؤ فقلت: أنا محتاج وأنا جائع فأخذ هذا الذهب فانتفع به وأرد عليه الكيس فقلت له تعالي إلي فتوجهنا إلي بيتي فأعطاني علامة الكيس وعلامة الشرابه وعلامة اللؤلؤ وعدده والخيط الذي هو مشدود به فأخرجته ودفعته إليه فسلم إليّ خمسمائة دينار فما أخذتها وقلت يجب عليّ أن أعيده إليك ولا أخذ له جزاء فقال لي لابد أن تأخذ وألحّ علي كثيراً فلم أقبل ذلك منه فتركني ومضي وخرجت من مكة وركبت البحر فانكسر المركب وغرق الناس وهلكت أموالهم وسلمت أنا علي قطعة من المركب فبقيت مدة في البحر لا أدري أين أذهب فوصلت إلي جزيرة فيها قوم فقعدت في بعض المساجد فسمعوني أقرأ فلم يبق في تلك الجزيرة أحد الا جاء إليّ وقال علّمني القرآن فحصل لي من أولئك القوم شئ كثير من المال وقالوا لي تحسن الكتابة؟

قلت: نعم فقالوا علمنا الخط فجاؤوا بأولادهم فكنت أعلمهم فحصل لي أيضا من ذلك شئ كثير فقالوا لي بعد ذلك عندنا صبيّة يتيمة ولها شئ من الدنيا نريد أن تتزوج بها فامتنعت فقالوا لابد وألزموني فأجبتهم إلي ذلك فلما زفّوها إلي مددت عيني انظر إليها فوجدت ذلك العقد بعينه معلقاً في عنقها فما كان لي حينئذ شغل آلا النظر اليه فقالوا يا شيخ كسرت قلب هذه اليتيمة من نظرك إلي هذا العقد ولم تنظر إليها فقصصت عليهم قصة العقد فصاحوا بالتهليل والتكبير حتي بلغ إلي جميع أهل الجزيرة فقلت ما بكم؟ فقالوا الشيخ الذي أخذ منك العقد هو أبو هذه اليتيمة وكان يقول ما وجدت في الدنيا مسلماً إلا هذا الذي رد عليّ هذا العقد وكان يدعو ويقول اللهم اجمع بيني وبينه حتي أزوجه بابنتي والآن وقد حصلت فبقيت معها مدة ورزقت منها بولدين ثم إنها ماتت فورثت العقد أنا وولدي ثم مات الولدان فحصل العقد لي فبعته بمائة الف دينار وهذ المال الذي ترونه معي من بقايا ثمن ذلك العقد. فالذي يعمل لله يأتيه الله عز وجل بما يتمناه من غير سؤال ولا تعب فيجد من عند الله فتحاً يفتح به القلوب ويجد له يوم القيامة عند الله

مالا عدّ له ولا حصر له من الأجر الوفير والجزاء الكبير من الله عز وجل لما أدّاه في خدمة رسالة البشير النذير صلي الله عليه وسلم فأنت يا أخي وطّن نفسك علي الفضائل الالهية والأخلاق المحمدية وإياك أن تسمع لكلام الغُواة كالذي يقول لك: كيف تعيش من غير نفاق ولا مُداهنة؟ أو كيف تواجه الحياة بدون الرّياء والرِّشوة والتملق إلي هذا أو ذاك؟

لأن هذه الرذائل ليست بضاعتنا ولا تجارتنا فنحن حملة سيف لا إله إلا الله محمد رسول الله والذي معه هذا السيف لا يوجد شئ في الكون كله يستعصي عليه لأنها مفتاح السموات والأرض بل مفتاح خزائن الملك والملكوت ومفتاح الجنة ومفتاح خزائن كل شئ فكل شئ لا يفتح الا باسم الله الذيْ لا يضر مع اسمه شئ في الارض ولا في السماء وهو السميع العليم

المؤمــن للمؤمــن كالبنيـــان

وليست هذه رسالتنا فقط بل رسالتنا في المجتمع أيضاً أن نثبت إخواننا المؤمنين فالذي يتعرض منهم لاغراء يجعله يتخلي عن الشريعة السمحاء والذي يتعرض منهم لاغواء ليبعد عن طريق الله من الذي يثبته؟

نحن فإذا كنا مرضي بنفس الداء فكيف نعالج منه غيرنا؟!

أغيــر تقيّ يــأمر الناس بالتقـى   طبيــب يــداوي والطبــيب سقيم

إذن فوظيفتنا في المجتمع أن نثبت إخواننا المؤمنين المتمسكين بكتاب الله بصرف النظر عن الطريقة التي يتّبعها أو الجماعة التي ينتسب إليها فالمهم أنه تابع لله ولرسوله فأي مؤمن تعرض لشدة وتكالب عليه أعداء الرحمن ليوقعوه في العصيان منْ الذي ينقذه؟ نحن جماعة المؤمنين والمؤمنات نثبته بالقول الطيب من كلام الله وبالقول الطيب من حديث رسول الله حتي لا يزلّ ولا يضلّ ولا يشك ولا يرتاب ويظل علي هذا الهدي حتي يكرمه الكريم

الوهاب عز وجل بتفريج كربه وإن كان الذي يقع من المؤمنين في هذه الشدائد يكون السّر في ذلك لابتلائه واختباره هل سيتمسك بشرع الله أم يخضع للأهواء والرغبات والنزوات؟

فإذا تمسك بشرع الله عامله الله عز وجل بقانون **«فإن مع العسر يسرا إن مع العسر يسرا»** [الآيتان (٥ : ٦) الشرح] فيأت له اليسر من الله عز وجل والذي يتلون يكون قد جني علي نفسه في الدنيا وجني علي روحه في الآخرة فخسر الدنيا والآخرة لأنه لن ينال في الدنيا ما يتمناه وسيكون في الآخرة في عذاب الخزي يوم يلقي الله عز وجل وعذاب الخزي أشد أنواع العذاب يوم القيامة ويكون بعد اجتماع الخلائق في أرض المحشر فيُنادي علي العبد في الموقف العظيم والأولين والآخرين حاضرين ويكشف الله عز وجل سرائره للأولين والآخرين **«يوم تبلي السرائر - يعني تظهر - فما له من قوة ولا ناصر»** [الآيتان (٩، ١٠) الطارق] فلا يستطيع المرء أن يستتر ولا يجد له مُعينا ولا ناصراً فيتسربل بالخزي والذُّل نسأل الله جميعاً الحفظ والسلامة منه ولذلك فسيدنا إبراهيم عندما دعا الله عز وجل كان ما طلبه للآخرة هو الحفظ من عذاب الخزي وفي ذلك يقول **«ولا تخزني يوم يبعثون»** [الآية (٨٧) الشعراء] فكل الذي يخشاه كان عذاب الخزي لأن الذي يدخل جهنم يذوق العذاب الحسّي في الجلد وغيره وربما لا يطّلع عليه معارفه لكن عذاب الفضيحة يكون أمام الكل أمام أصحابه وأمام أحبابه وأمام أولاده وأحفاده وأحفاد أحفاده (القادمين بعده من أولاده الصبيان والبنات) والأولين والآخرين والنبيين والمرسلين والصديقين والشهداء والصالحين والملائكة المقربين أمام الكل يظهر خزيه وفضيحته ماذا يفعل في هذا اليوم ليستر خزيه؟

وهذا ما جعل سيدنا إبراهيم يقول **«ولا تخزني يوم يبعثون يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من أتي الله بقلب سليم»** [الآيات من (٨٧:٧٩) الشعراء]

الوقايـــة من عـــذاب الخـــزى

ما الذي يقي من عذاب الخزى؟

القلب السليم أي الذي ليس فيـه نفـاق ولا خـداع ولا غش ولا بُغض ولا حقد ولا حسد ولا غلّ ولا سُوء ظن فليس فيه كل هذه القبائح لأنه جعل القلب معـرضاً للرحمن فلا يضع فيـه بضـاعة الشيطان لأن القلب لايسـتطيع أن يحمل البضـاعتين فإما أن يكون فيه بضـاعة الله في الثقة بالله والتوكل علي الله وحب الخير لعباد الله والايثار والصدق والأمانة والوفاء والحب وإما أن يكون فيه أضدادها من بضاعة الشيطان أما الجمع بينهما فمستحيل وذلك لقول الله عز وجل: **« ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه»** [الآية (٤) الأحزاب]

رســــــالتنا

فـرسـالتنا في المجـتمـع هـي رسـالة الصـوفيـة ورسـالة كل جنود الاسـلام ليست الكلام ولا الكتب ولا الشـرائط بل رسـالتنا أن نحـافظ علي الفضـائل والقـيم في أنفـسنا وفي أولادنا وفي أزواجنا ونحـاول بعد ذلك نشـرهـا بين أعدائنا لأن المفروض أنها موجودة فى إخواننا لكننا نحاول أن نثبت إخواننا الذين يتعـرضـون للشـدائد التي تزلزلهم عن التمسك بهـذه الفضـائل التي جمّلنا بها رسـول الله صلي الله عليه وسلم وجعلنا مسئولين عنها حتي نلقي الله عز وجل ونحن محـافظين عليها هذه رسـالتنا باختصـار والكلام في هذا الموضـوع يطول ولكن كل مـا أرجـوه لنفسـي ولاخـواني البـدار البـدار قـبل الخروج من هذه الدار للقاء الواحد القـهار البدار البـدار للتمسك بهدي النبي المخـتـار ولا تسـّوف ولا تمنىّ نفسك حـتي لا تخـرج من الدنيـا علي خلق من أخلاق المنافقين فتحرم شفاعة سيد الأولين والآخرين صلي الله عليه وسلم واقفل البـاب بالكليـة علي النفس إذا طالبتك بخصلة من الأخلاق المُردية فلا تفتح لها البـاب ولو للحظة فلا تترك لها الفرصة لتقول هذا كذب أبيض فليس في الاسلام كذب أبيض وكذب أسود بل الكذب هو الكذب وقد قال صلي الله

عليه وسلم **«إني لأمزح ولا أقول الا حقاً»**(١) فالمؤمن ظاهره كباطنه بل باطنه خير من ظاهره لأن باطنه كله ورع وكله تقي وكله هدي وكله غني وكله عفاف لله عز وجل قال صلي الله عليه وسلم **«من أصلح باطنه لله أصلح الله ظاهره لخلق الله»** فلا يسمح لنفسه أن يكذب حتي علي زوجته ولا مع ابنته ولا مع ابنه ولا مع أحد من خلق الله لينال ميراث الصادقين الذي يقول فيه صلي الله عليه وسلم **«لايزال الرجل يصدق ويتحري الصدق حتي يكتب عند الله صديقاً»** (متفق عليه)

اســـرار مواهـــب العــــارفين

فمن أراء مواهب العارفين فهذه أبوابها ليست الصلاة ولا الصيام ولا العبادات وإنما أبوابها هي التي ذكرناها فمن يصدق مع الله ولا يكذب علي أحد من خلق الله يعطي له الله مواهب الصادقين وعلوم الصادقين وأحوال الصادقين واسرار الصادقين ومن تحلي بالامانة فلا يخون ولو في قلم هذا هو الذي يحصل هذه المواهب ولا ينال هذه المواهب الذي يعبد الله طوال الليل ويقرأ القرآن ليلاً ونهاراً ولا يتورع في مطعمه لقوله صلي الله عليه وسلم «لقمة حرام تبطل عباده اربعين يوماً» (٢) وقد قال أيضا صلي الله عليه وسلم «لكل شئ اساس واساس هذا الدين المطعم الحلال» (٢) فالباب الأول للمواهب الالهية هو الورع وليس الورع في الطعام فقط بل الورع في الطعام والورع في الكلام فالذي تخلق بالورع في كلامه هو الذي لا يتحدث الا ذاكراً لله أوناصحاً لعباد الله أو راشداً لخلق الله ويتورع أن يخوض في أحد من عباد الله أيّا كان وكيفما كان لأن اساس الفتح هو الورع فالمواهب الربانية والفتوحات الالهية لمن حمل الامانه عن رب البرية ونال الخلافة التي سلمها لآدم عليه السلام فمن تخلق باخلاق الكرم الالهي وكان كريماً مع الخلق اكرمه الله بما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر علي قلب بشر من أنواع

---

(١) رواه الطبراني عن ابن عمر والخطيب عن أنس.
(٢) رواه الطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما.

الالهامات وأنواع الفيوضات وأنواع المكاشفات ومن أكرمه الله عز وجل بالعفو عمن ظلمه اكرمه الله عز وجل فعفا عنه كل ذنب ارتكبه وكان من الذين يقول فيهم صلي الله عليه وسلم «إذا احب الله عبداً لم يضره ذنب»

تخلق بأخـــلاق الاله وحافظـــن   علي منهج المختار في العُقد تُنسق

أما إذا كنت لا أعمل بّراً أو خيراً الا إذا قبضت الثمن من عباد الله فكيف أطمع في عطايا الله؟

وعطايا الله ليس عندي ولا عندنا ولو اجتمعنا ثمن جزء قليل جداً جداً منها حتي ولو حاولنا شراءه بأنفسنا وأرواحنا وإنما يتفضل بها الله علي من يتفضل علي عباد الله فيعلّمهم ابتغاء وجه الله ويخدمهم طلباً لمرضاة الله ويسعي في قضاء مصالحهم إكراما لسيدنا ومولانا رسول الله صلي الله عليه وسلم ويعمـــل الأعمال كلهـا طلباً لرضوان الله عز وجل ولا يطلب مقابل ذلك أجراً من الخلق. مثل هذا هو الذي يفيض عليه الله الفضل الذي ليس له أجر

نسأل الله عز وجل أن يحملنا بأخلاقه العلية ويكملنا بأخلاق خير البرية وأن يفطرنا في كل انفاسنا علي هذه السجية وأن يجعلنا في هذه الدنيا علي نهج الحبيب سائرين وفي الآخرة تحت جناح حضرته صلي الله عليه وسلم آمنين ويجعلنا يوم لقاء الله سبحانه وتعالي غير خزايا ولا نادمين وصلي الله علي سيدنا محمد وعلي آله وصحبه وسلم.

الفصـــل الرابـــع

الصوفيـــة ومشاكـل المجتمــع

- اصـلاح المجـتـمـعـات في نظر الصـوفـيـة
- ورع عـــــمـــــر بـن الخـطـاب
- درجـــــات الـــــورع
- صـــور من التـــربيـــة الصـــوفــيـــة
- مُـــــثل الاســلام المضــيــــئــــة
- مــــقـــعـــد الصــــــدق
- الصـــوفــيـــة والدعـــوة إلي الاســـلام

كان هذا الدرس بمنزل المهندس محمد حسن بالاسماعيلية صباح الجمعة ١١ من جمادي الأولي ١٤١٦هـ الموافق ٦/١٠/١٩٩٥م

يرى أتباع الجماعات الاسلامية أن الحل لمشاكل مجتمعنا يبدأ من القمة فالقادة والرؤساء يُبدلون ويعين قادة غيرهم من أئمة الجماعات أو من هم علي شاكلتهم وهذا هو الحل في نظرهم ونرد عليهم فنقول لم يتولي أحد الخلافة الاسلامية في زهد وورع وإيمان الامام علي ابن أبي طالب كرم الله وجهه وقد وعد في الخطبة الأولي التي توضّح سياسته أنه سيرد الأمة إلي نهج رسول الله صلي الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر لكن هل استطاع أن ينفذ ما وعد به؟

لا لم يستطيع حتي أنه في آخر عهده دعا الله قائلاً: «اللهم إني قد مللتهم وملوني اللهم اقبضني إليك» لماذا؟

لأن الحاكم لا يصلح إلا بصلاح بطانته لكن إذا أراد الاصلاح ولم تعنه بطانته فماذا يفعل؟

اصلاح المجتمعات فى نظر الصوفية

كيف يبدأ الاصلاح في نظر الصوفية؟

«كما بدأنا أول خلق نعيده» [الآية (١٠٤) الانبياء] يرون أن أساس ذلك العودة إلي تطبيق المنهج الذي عمل رسول الله علي تطبيقه ولذلك قالوا نبدأ بإصلاح النفوس فإذا صلحت النفوس فالذي سيصير حاكم هنا أو زعيم هناك أو مدير هنا سيكون منهم ولأنهم كلهم صلحاء فسيجدون من يعينهم علي صلاحهم وعلي تقواهم وتنصلح المسيره بأمر الله عز وجل فالاصلاح يبدأ من الداخل من النفوس كما بدأ به صلي الله عليه وسلم ورسول الله كيف أشعل الثورة التي فجرها في العالم؟ هل جمع جيشا وغزا به العالم؟

كلا بل جاء علي نفوس شارده وضاله ترفع لواء الباطل وتبطل الحق السلطان للقوة والغلبة للأغنياء يفتخرون بالظلم ويتباهون بالمنكرات كيف استطاع أن يغير هذه النفوس ويجعلها نفوسا نورانية؟

نأخذ مثالاً واحداً هذا رجل كان يصنع لنفسه صنماً من العجوة فإذا جاع ولم يكن معه نقود أكله وإذا تيسرت عليه الأمور اشتري عجوة وصنع غيره وقد وصل به الجفاء والغلظة أيضاً إلي أنه أخذ ابنته وأخذ يحفر لها ليدفنها وهي حية وعندما كان يحفر لها كان يتطاير الرمل علي لحيته فتنفض الرمل والغبار من علي لحيته ومع ذلك لم تأخذه رأفة ولا رقة ودفنها وهي حية وقد كان هذا في الجاهلية قبل الاسلام هذا الرجل هو سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه وأرضاه

ورع عمـــر بـــن الخطـــاب

لما وُلّي الخلافة كان عنده امرأة من نسائه شديدة الجمال وفي اليوم الذي تولي فيه الخلافة طلقها فتعجبوا وقالوا لم طلقتها؟

قال أنا أحبها واخاف أن تشير عليّ بمشورة فأنفذها فيكون فيها هلاكي يوم لقاء الله عز وجل وفي يوم من الأيام كان يوزع أموال الصدقات في بيت الله واذا بابنة صغيرة من بناته امسكت بدرهم وجرت فجرى وراءها فوضعت الدرهم في فمها ففتح فمها عنوة وأخذ الدرهم وألقاه علي أموال الصدقات وقال قولته المشهورة «لايحل لعمر ولا لآل عمر الا ما يحل لكل مسلم من المسلمين» أين نتعلم هذه المثل والمبادئ؟ أفي جامعة واشنطن أو نيويورك أو في كلية السياسة والاقتصاد؟

لا نجد ذلك الا في جامعة سيدنا محمد **«محمد رسول الله والذين معه أشداء علي الكفار رحماء بينهم»** [الآية (٢٩) الفتح] هذا خازن بيت المال سيدنا أبو موسي الاشعري رضي الله عنه وهو يكنس بيت المال عثر علي درهم وكان حوله ولد صغير من أولاد سيدنا عمر فأعطاه له فرآه سيدنا عمر فسأله من أين أتيت بهذا الدرهم؟ فقال أبو موسي اعطاه لي فقال يا أبا موسي: «لم تجد الا آل عمر تجعل كل مسلم يطالبهم بمظلمه يوم القيامه» والأمثلة في هذا المجال كثيرة لكن الذي أريد أن أقوله ما الذي غيره وجعله يصل إلي مثل هذا الحال؟

التربية الاسلامية التي رباهم عليها رسول الله صلي الله عليه وسلم وليس تأثيرها في هذا الرجل فقط بل في غيره وغيره من اصحابه الكرام رضي الله عنهم اجمعين وأين هذه التربية الآن؟

لا توجد إلا بين السادة الصوفية فهم الذين يؤدبون الناس علي المثل والفضائل والأخلاق التي جاء بها رسول الله صلي الله عليه وسلم ولذلك تجد المريد الصوفي لايجد لقمة العيش الا بالكاد وتعرض عليه الأموال الطائلة ولكن لخوفه من الله عز وجل وخشيته لذاته ومراقبته لحضرته لاتمتد يده إلي قليل أو كثير منها لأن الدين هو أساس التربية عندهم.

درجـــات الـــورع

فالورع أول درس في التربية الصوفية يلقنه الأشياخ للمريدين والورع بدايته الزهد فيما حرمه الله عز وجل ثم الزهد في المباحات ثم الزهد في الطيبّات طلباً لمرضات الله عز وجل ثم بعد ذلك يخلصونهم من آفات نفوسهم كحب الظهور والغرور فهذا سيدنا عمر وقد رآه سيدنا أبو الدرداء يحمل قربة علي ظهره فقال ما هذا ياأمير المؤمنين؟ فقال إن نفسي حدثتني أني أمير المؤمنين فأحببت أن أعرفها حقيقتها كي لا تغتر لأن الدنيا تغر وتضر ولابد أن تمر ولا ينفع الانسان يوم لقاء الله عز وجل الا ما قدم وهذا ما يجعل العبد يزهد في الطيبات ويواظب علي الصيام والقيام ويسعي للتقليل من المطاعم والتقليل من المظاهر رغبة فيما عند الله عز وجل **«تتجافي جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفاً وطمعاً»** [الآية (١٦) السجده] هل يستوي النائمون مع القائمين بين يدي الله في جنح الظلام يا أخواني؟ اذن لازم المؤمن يجاهد نفسه فيوقظها ويقول لها كفاية عليك نوم قومي لتعبدي الله وإلي متي النوم؟

وسيأتي عليك وقت تنامين فيه إلي ما شاء الله إلي يوم البعث والنشور فلازم يحرم نفسه من بعض النوم ليتمتع عوضه بأن يناجي الله وكذلك يمنع

نفسـه من الغفلة ومن اللهو ليذكر الله ويغض بصره من النظر إلي النساء أو إلي التلفزيون أو إلي الفيديو أو غيرها لينظر في كتاب الله ويطالع سيرة وسنة رسول الله صلي الله عليه وسلم لأنه لايستطيع أن يجمع بين الاثنين وهذا كله الزهد في الطيبات والزهد الأعلي من ذلك هو الزهد في كل ما سوي الله عز وجل

صـــور من التربيـــة الصوفيـــة

أين يتعلم المرء هذه القيم إلا في مجالس الصوفية فكل الذين يرشدون الخلق ويدلونهم علي الله عز وجل يعلمون علم اليقين أن الدرجات الوهبية لا تُنال إلا بهذه المجاهدات فهذا الحارث المحاسبي وهو من ائمتهم الذين يسيرون علي هذا النهج يلاحظ نفسه فيجد أن يده كلما تمتد إلي طعام فيه شبهة فالاشارة الحمراء التي في قلبه تضئ له فيعرف أن هذا الطعام فيه شبهة فيمتنع حتي تعوّدت اليد فعندما تمتد يده ولو هو مشغول. ولا يُشْغل الا بالله. إلي طعام فيه شبهة يضرب هذا العرق بشدة فيعلم أن هذا الطعام غير حلال فيبتعد عنه طلباً لمرضاة الله عز وجل كيف اكرمه الله بهذا المقام؟

بمجاهدات الصوفية ولنضرب مثلاً آخر لرجل منهم كان يزور أخاً له في الله بدمشق .«الشيخ عبد الله بن المبارك رضي الله عنه وارضاه» فاستعار من اخيه قلماً ونسي وسافر وأخذ القلم معه ولم يتذكر إلا في خُراسان [في إيران] فرجع ثانية ماشياً إلي دمشق كي يرد القلم إلي أخيه لماذا؟

لأنه لا يصح لسالك الوصول إلي الله إلا بمثل هذه المجاهدات فالذي يأخذ حاجة أخيه من غير إذنه ويرضي بذلك ليس له في طريق القوم نصيب وكذلك الذي يطمع فيما في أيدي الناس لا يطمع فيما عند رب الناس لأنه لا ينال الانسان ما عند الله الا إذا يأس من كل ما في يد خلق الله عز وجل فلو استشرفت نفسه إلي ما عند الناس يعلم أنه يحتاج لأن يجاهد نفسه حتي لا تستشرف نفسه الا ما عند الله عز وجل وكيف يتنبه السالك إلي

ذلك؟ إذا كان من أهل البدايات ينبهه الشيخ ولذلك فلابد من الشيخ في طريق الله عز وجل وبم يعرف الشيخ ذلك؟

بوراثة الحال الذي يقول فيه صلي الله عليه وسلم «اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله عز وجل» فقد دعا رجل من السلاطين أحد المشايخ وتلاميذه وأراد في نفسه أن يمتحنهم فقدم لهم الطعام وجعل فيه لحماً حلالاً ولحماً لم يذبح علي وفق الشريعة الاسلامية فلما وضعت المائدة وقف الشيخ وقال للمريدين لايمد أحد منكم يده إلي اللحم الا إذا كنت أنا الذي أناوله فأخذ ينظر إلي اللحم ويتناول الذي ذُبح علي الحلال ويعطيه لمريده ويترك الذي لم يذبح ذبحاً شرعياً لاعوان الملك من الوزراء وأمراء الاجناد فسألوه كيف عرفت هذا من ذلك؟

قال اشم لهذا رائحة طيبة وأشم لهذا رائحة جيفة فأعلم أنه ذُبح علي غير الشريعة الاسلامية وهذا ما اشار إليه الله عز وجل في قوله **«إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون»** [الآية (٢٠١) الاعراف] والذي يذكرهم هنا هو الله عز وجل كيف يتم ذلك؟

قال صلي الله عليه وسلم **«إذا أحب الله عبداً عاتبه مناماً»** عاتبه في المنام فانظروا إلي هذا المثل لتعرفوا ورع الصوفية الشيخ إبراهيم ابن ادهم ويضرب به المثل في الزهد كان نائماً في بيت المقدس فرأي طائفة من الملائكة يتحدثون فيما بينهم فقالوا لبعضهم من هذا؟ قالوا إبراهيم بن أدهم قالوا هذا الذي سقط من عين الله قالوا ولم؟ قالوا لأنه أخذ تمرتين ليستا له فتذكر أنه وهو بالبصرة اشتري تمراً وبعد أن وزن له البائع حقه وقعت تمرتين ليستا من حقه علي تمره فأخذهم ومشي لكن هذا الأمر لا يرضاه الله عز وجل لمن يريد أن يرفعه إلي الدرجات العلي فأهل الدرجات العالية لابد أن يكونوا علي منهج **«محمد رسول الله والذين معه»** [الآية (٢٩) الفتح] وعلي نهج الرجل الذي كان الخادم كلما يأتي له بلقمه يسأله من أين؟ ولما مكث أياماً جائعاً من غير طعام وجاء له بكعكة فأكلها من غير أن يسأله كالمعتاد قال له الخادم لم لَمْ تسألني في هذه المرة؟ فقال من أين أتيت بها؟

فقال القوم الذين كنت عندهم في الجاهلية كنت مدعوا عندهم في عرس فاسترقوني (أي طلبوا مني الرقية) فرقيت لهم فأعطوني ذلك فاستقاء ما في بطنه ولكن الطعام لم ينزل لأن المعده كانت خالية فأخذ يشرب الماء ليُنزل ما في بطنه – وهذا ما يشبه غسيل المعدة في زماننا – فقالوا له يا خليفة رسول الله إن الله لم يكلفك بهذا فقال رضي الله عنه لو لم تنزل الا مع آخر قطرة من دمي لانزلتها ثم قال رب لا تؤاخذني بما خالط العروق قال صلي الله عليه وسلم **«كن ورعاً تكن اعبد الناس»** (١) فهذه هي العبادة الحقة وليست العبادة أن أمكث طوال الليل أصلي وأطول في الصلاة ولا أتورع أن آكل مال فلان أو مال علان أي عبادة هذه؟

فالعبادة الحقة هي التي يصحبها الورع وفيها يقول صلي الله عليه وسلم **«اتق المحارم تكن اعبد الناس»**(٢) وهذا ما تحرص عليه التربية الصوفية فابراهيم بن ادهم سافر من القدس إلي البصرة فوجد الرجل الذي اشتري منه مات وابنه موجود فقص عليه ما حدث فقال له لقد صار هذا المال من حق الورثة الآن وليس لي وحدي وأنا أسامحك في حقي فقال له استسمحهم لي فاستسمحهم له ثم اشتري منه تمراً وأنزل مِنَ الذي اشتراه تمرتين علي تمر البائع ثم رجع ونام في بيت المقدس فرأي نفس الطائفة من الملائكة **«إذا احب الله عبداً عاتبه مناما»** فسأل بعضهم بعضاً من هذا؟

قالوا هذا إبراهيم ابن ادهم فقالوا هذا الذي ردّ الله عز وجل عليه حاله قالوا نعم لأنه رد التمرتين فانظر إلي حساب الله عز وجل لهؤلاء الصالحين

---

(١) رواه الشيخان عن أبي هريرة

(١) رواه أحمد والترمذى عن أبي هريرة.

فـهـؤلاء الناس يا اخـواني هـم الذين يمثلون الاسـلام لأن الاسـلام مُـثل ومبادئ وقيم واخلاق فلو وُجد واحد من هؤلاء في دولة بأكملها لأصلح أهلها لأنه علي نهج رسـول الله صلي الله عليـه وسلم الذي يقـول فـيـه الامـام البصيري رضي الله عنه وارضاه:

وراودته الجبال الشـم من ذهـب عن نفســه فـاراها أيمـــا شمم

وقد وصل عندهم اليقين إلي أنهم يرون أنفسـهم موتي مع أنهم في الدنيا بأجسامهم لشدة تحققهم بالموت الارادي فقد ماتت رغباتهم وشهواتهم الفانية في الأمـوال والمناصب والمكاسب طمعاً فيـما عند الله عـز وجل ولذلك كـانوا يعجزون الملوك بزهدهم فيدخل الملك علي الرجل منهم فيدهش من شدة زهده وورعه في الدنيا ويسـتصـغر نفسـه عندما يري حال مـثل هذا الرجل فـهذا هشام بن عبد الملك يذهب إلي بيت الله الحرام فيري حلقات العلماء وكل حلقة فيها نفر قليل وحلقة واحدة غاصة بالجمع الغفير فيجلس فيها ليستمع فيبهر بهذا العلم وبعد أن ينتهي العالم من درسه يقترب منه ويصـافحه ويعرفه من حوله بأنه هشام ابن عبد الملك خليفة المسلمين ويقول له هشام ألك حاجة؟

فيقول أستحي أن اسـأل غيره وأنا في بيته فيخرج هشام وينتظر علي باب المسجد ويقول الآن خرجنا من بيته ألك حاجة؟

فيقول من حوائج الدنيا أم من حوائج الآخرة؟

فيـقول من حوائج الدنيا فيـقول إذا كنت اسـتحي أن اطلب الدنيا ممن يملكها فكيف اطلبها ممن لا يملكها؟

والأمثلة في هذا المجال كثيرة تملأ بطون الكتب عن ورعهم وزهدهم لأنهم كما قال الله عز وجل في شأنهم **«يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه»** [الآية (٥٢) الانعام] فلا يطلبون بأعمالهم إلا وجهه عز وجل وهو سبحانه وتعالي لأنهم طلاب وجهه لا يكلهم إلي غيره ولا يكلهم حتي إلي أنفسهم ولا إلي غيره طرفة عين ولا أقل عندما اختار الله الامام ابو الحسن الشاذلي لامامه عصره

وزمانه وكان يعيش في جبل في شاذله ومكث فيه سبع سنين يتعبد لله عز وجل وجاءه الالهام من الله يا علي انزل اهدي الناس إلينا فقال يارب اتتركني إلي خلقك؟ هذا يعطيني وهذا يحرمني قال ياعلي اذا أقمناك أغناك انفق ما شئت إن شئت من الجيب وإن شئت من الغيب فهبط إلي تونس وبعدها جاءه رسول الله صلي الله عليه وسلم فقال: يا علي اذهب إلي مصر فإنك ستربي بها أربعين صدّيقاً فلان وفلان وفلان قال: يا سيدى الطريق طويل والجو صيف وليس بالطريق ماء قال: سر علي بركة الله وستجد ما تحب إن شاء الله فسار من تونس إلي الاسكندرية كلما مشى مشت السحابة فوقه تظله وكلما نفذ ما معهم من الماء أمطرت السماء ماءاً فيشربون ويغتسلون ويملأون أسقيتهم حتي وصل الي الاسكندرية لأنه قام بأمر الله إلي الله عز وجل علي مثل هذه الأخلاق الكاملة كان ولا يزال رجالات الصوفية يربون أولادهم ومحبيهم وطلابهم علي الزهد والورع والصدق والاخلاص واليقين والتوكل الصادق علي الله عز وجل وغيرها من الخلال الكريمة والأخلاق المستقيمة ويتابعونهم في ذلك ومبدأهم **«ولايخافون لومة لائم»** [الآية (٥٤) المائدة] لا يخافون من أحد لأنه لو خاف أن يرشد تلميذه إلي الصواب وإلي الصدق لن ينفع مربياً لأن المربي الحق ليس عنده من الهوي أدني ذرة وإنما يحكمون بأمر الله طلباً لمرضاة الله عز وجل يصدقون مع الصادقين فيرشدونهم بصدق ويقين أما الذي يخادع نفسه فهو الذي يطلب وهو الذى يريد ذلك وهذا ليس له مقعد علي مائدتهم وإن كان يحوم حول طعامهم إلا أنه لا يأكل منه قليلاً ولا كثيرا

مقعد الصدق

لا يجلس علي المائدة الا أهل الصدق الذين يقول الله عز وجل فيهم **«إن المتقين في جنات ونهر في مقعد صدق عند مليك مقتدر»** [الآيتان (٥٤، ٥٥) القمر] فالذي يريد أن يجلس علي مائدة الصالحين ويأكل من طعامهم ماذا يأكل؟

يأكل الزهد والورع والعلم الرباني والكشف الصمداني وأزهار الحكمه

الالهية والتجليات الربانية والفيوضات المحمدية والإشراقات الالهية فالذي يريد أن يأكل من هذا الزاد بقلبه وروحه يجلس علي كرسي الصدق والذي يتبوأ مقعد الصدق هو الذي يصدق مع نفسه ونضرب لذلك مثلاً لو أنا مريض لكني لا أصدق أني مريض فلو عُرضت علي الطبيب وقال لي إنك مريض لن أصدقه وربما أجادله بحجة أنني صحيح وفي هذه الآونة لو كتب لي تذكرة دواء هل يتحقق لي الشفاء؟

كلا فلن يأتيني الشفاء الا عندما أشعر أني مريض وأبحث أنا عن الشفاء وهذا هو المقام الأول الذي يُدْخل فيه الصوفية المريد فحتي لو وصل إلي أعلي المراتب بعد ذلك يري أنه مُقصّر وأنه ظلوم وجهول وغشوم وأنه خطّاء ومذنب ويقول لنفسه إذا كان الامام الأعظم والسيد الأكرم صلوات الله وسلامه عليه مع أنه يقول **«أوقفني ربي بين يديه ليلة الاسراء والمعراج ووضع يده علي ظهري حتي وصل برد أنامله في صدري فعلمت ثلاثة علوم علم أمرني بتبليغه وعلم أمرني بكتمه وعلم خيّرني فيه وعلمت علوم الأولين والآخرين»** (الخصائص للسيوطي) ومع ذلك يقول لربه عز وجل **«وقل رب زدني علماً»** [الآية (١١٤) طه] وانظر إلي تعليم الله سبحانه وتعالي للأنبياء فهذا سيدنا سليمان علمه الله منطق الطير وكلام الجمادات ولغة الحشرات وعلمه كل شئ **«وأوتينا من كل شئ»** [الآية (١٦) النمل] ومع ذلك اعطاه الله عز وجل درساً حتي لايظن أنه يعلم كل شئ فقد كان عندما يريد السفر يصطحب معه دليلا يدله علي اماكن الماء وهو الهدهد لأن من ضمن خصائصه التي علمها الله له أنه يستطيع أن ينظر إلي الماء وهو تحت الأرض فيعرف المكان الذي فيه الماء فيحفرون فيجدونه وربنا كان يعطيهم الوسائل المناسبة لزمانهم وإن كان ذلك يتم الآن بالأقمار الصناعية فهم كانوا يحصلون عليه بالهداهد الطبيعية فغاب الهدهد عنه فسأله عندما حضر عن سرّ غيبته فقال: **«أحطت بما لم تحط به وجئتك من سبأ بنبأ يقين»** [الآية (٢٢) النمل] وهذا القول منه يشبه قول بعض الصالحين .

ألا قل لمن يدعي علماً ومعرفة ... حفظت شيئاً وغابت عنك أشياء

ومن الذي يعرف كل شئ؟

وهذه هي المشكلة التي يقع فيها كثير من شبابنا فربما لا يعلم غير أشياء بدائية في دين الله وتجده يقول: أنا العالم وقد يقول إن علم شيخ الاسلام أو المفتي لا يساوي شيئاً بجانب علمي أنا العالم وأنا الكل في الكل فنقول له يا بني وماذا حصلّت؟ ومهما حصلت فهل حصلّت ما حصله سيد الأنبياء؟

ومع ذلك يقول له الله عز وجل اطلب الزيادة في العلم **«وقل رب زدني علماً»** [الآية (١١٤) طه] وسيدنا سليمان يقول له الهدهد أنا عرفت الذي لا تعرفه فأطلب العلم وسيدنا موسي يقول له بني اسرائيل من أعلم الناس يا موسي؟

فيقول أنا، فأغضب ربه بقوله وطلب منه أن يذهب لطلب العلم من رجل مجهول عند الناس ولكنه عظيم المكانة عند رب الناس فذهب إليه واستعطفه قائلاً **«هل أتبعك علي أن تعلمني مما علمت رشداً»** قال لا تقدر **«قال إنك لن تستطيع معي صبراً»** لماذا؟

«وكيف تصبر علي مالم تحط به خبراً» [الآيات من (٦٦:٦٨) الكهف] يعني العلم الذي معي لا تعرفه ولا تستطيع أن تدركه مع أنه نبي وهذا ما جعل الصوفية يوقفون المريد علي أعتاب معرفة نفسه فإذا عرف نفسه يري أنه مهما أوتي من علم ومهما يكاشف من غيب ومهما يطلعه الله عز وجل علي أسراره يري أنه لا شئ ويري أنه أفقر الناس ويري أنه أقل الناس هكذا تعليم سيد الناس صلي الله عليه وسلم فتعاليم الصوفية أساسها يا اخواني تربية الناس علي الأساس الذي ربّي عليه صلي الله عليه وسلم أصحابه الكرام وبذلك قاموا بين الأنام ناشرين لجمال الاسلام فدخلوا قصور كسري ودخلوا قصور قيصر لم تغرهم تلك المطارف ولم تخدعهم تلك الزخارف ولم تلفتهم عن طاعة الله أو عبادة الله طرفة عين أو أقل فقد كان الزهد الذي في قلوبهم يجعل الواحد منهم تُعْرض عليه كنوز الأرض كلها فيزهد فيها ويراها كالحجر وتعرض عليه المناصب فلا تغريه ويعزل من المناصب فيفرح أن الله اراحه من تلك المتاعب والمشاغل.

الصوفية والدعوة إلى الاسلام

من الذي نشر الاسلام في مجاهل أفريقيا؟ ومن الذين ينشر الاسلام الآن في مجاهل أوروبا ومجاهل أمريكا؟

الصوفية لأن هؤلاء يدعون إلي الله لا يريدون الا قوله صلي الله عليه وسلم . **«لأن يهدي بك الله رجلاً واحداً خيراً لك من حمر النعم»** لكن غيرهم عندما يعمل شيئاً يطلب المقابل فالصوفية لا يطلبون مقابلاً لأن عملهم لوجه الله عز وجل ولذلك فحتي المجاهدين الذين يجاهدون في الجهات التي فيها حروب من الحروب الاسلامية نجد الذي يحمل راية الجهاد هم الصوفية لأنهم يجاهدون ابتغاء وجه الله عز وجل من الذي يجاهد في الشيشان؟ جوهر داود اسمه داود وهو مريد للطريقة النقشبندية وأهل الطريقة النقشبندية هم الذين يقودون الحرب في الشيشان والذين هزموا روسيا كما تعلمون ومن الذي حمي الاسلام في بلاد تركستان وكازاخستان وغيرها من بلاد روسيا؟ مشايخ الطرق الصوفية هم الذين حفظوا الاسلام في هذه البلاد وينشرونه في ربوعها ويحكون عنهم أنهم كانوا يهاجرون إلي الغابات ويجلسون علي رؤوس الأشجار ويأخذون المسلمين إلي هذه الأماكن لأنه في أيام الحكم الروسي كانت الاجتماعات ممنوعة وحتي تداول المصحف ممنوع فكانوا يأخذونهم إلي هذه الغابات ويجلسونهم علي الأشجار ويلقنونهم تعاليم الدين الاسلامي ومبادئ الاسلام وشريعة الاسلام لأن هؤلاء كما قال الله **«يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومه لائم»** [الآية (٥٤) المائدة] والصوفية هم الذين يخلعون من النفوس الأحقاد والأحساد والبغضاء والكراهية ولذلك لما قل نزولهم البلاد انتشرت هذه الأمراض وامتلأت القلوب بالكره والبغض وقد وصل ذلك حتي إلي البلاد الريفية التي كنا ننزلها في الماضي فنجد أهلها كلهم متوادين ومتحابين فقد تغير حالهم وبدل الحب تجد الآن الكره وتدبير المكائد ونشر الفضائح وانتشار الرذائل ما سبب انتشار هذه الأمراض؟

أنه قد قلّ نزول الصالحين للبلاد وهم الذين كانوا يقلعون الحشائش من القلوب فالحقل الذي أمتلكه إذا لم أكن أنظفه من الحشائش أولاً بأول فستسكن فيها الحيات والعقارب وغيرها وكذلك يا اخواني أرض القلوب إذا لم تطهر من الحسد والحقد والبغضاء تنتشر فيها هذه الأمراض حيات الحقد وثعابين الحسد والمكر والدهاء ويصير الناس كما نراهم الآن إذن من الذي يطهر القلوب والمجتمعات من هذه الأمراض؟ الناس الصالحين هذه يا اخواني الدعوة الصوفية الحقيقية أما الأشياء التي نراها وتنسب للصالحين مثل الأشياء التي تحدث في الموالد والتي تحدث في المواكب وفي بعض المجتمعات كالطبل والموسيقي وغيرها فليست من التصوف في شئ فالتصوف كما وضحناه وهذا ميدانه وطريقه المشي خلف رسول الله وخلف أصحاب رسول الله صلي الله عليه وسلم في تصفية النفس وفي تطهير القلب وفي الاقبال علي الله عز وجل بالكلية طلباً لرضوان الله وابتغاء ما عند الله عز وجل.

وصلي الله علي سيدنا محمد وعلي آله وصحبه وسلم.

الفصل الخامس

الصوفية والدعوة إلى الله

- الهدى ودين الحق
- حكمة الدعوة النبوية
- هداية الصالحين إلى الله عز وجل
- الدعوة إلى الله بالحال
- الصديق وصدقه فى الدعوة
- الصوفية ودعوة غير المسلمين لله عز وجل
- التربية بالنظرة والحال
- تقريب الخلق إلى الله
- منهج الامام أبو العزائم فى الدعوة إلى الله
- جمال الداعى إلى الله

كانت هذه المحاضرة بعد صلاة العشاء بمنزل الحاج عبد العزيز عبد السلام القرقاري بعزبة القراقرة التابعة لمدينة سرابيوم محافظة الاسماعليه يوم الخميس ٢٨ من ذى الحجة ١٤١٦هـ الموافق ١٦/٥/١٩٩٦م.

الهـــدى وديـــن الحـــق

قال الله تعالى « **هو الذي أرسل رسوله بالهدي ودين الحق ليظهره علي الدين كله وكفي بالله شهيداً** » [الآية (٢٨) الفتح] وقد يظن البعض أن الهدي ودين الحق شيئاً واحداً لكن لو كانا شيئاً واحدا ما كررهما الله عز وجل في قرآنه لأن القرآن ليس فيه تكرار وإنما فيه معاني جديدة وأنوار جديدة في كل كلمة يذكرها الله عز وجل في قرآنه فأرسل رسوله بالهدي وبعد الهدي دين الحق والهدي يعني الهداية التي تسبق لأهل العناية والتي علي أساسها يفتح الله عز وجل قلوبهم لأنوار كلامه ولأسرار بيانه ويجعلهم يقبلون به سبحانه وتعالي عليه. فلولا الهداية السابقة ما كانت العناية اللاحقة التي نراها في المؤمنين والمؤمنات في كل زمان ومكان والهداية عناية من الله لا بعمل ولا بأمل ولا بمال ولا بجاه ولا بمنصب ولكنها محض اصطفاء من الله عز وجل لعباده الأخيار والأطهار في كل زمان ومكان. ثم بعد ذلك دين الحق إذاً الدعوة ذات شقين دعوة إلي الهداية وهذه لاتحتاج إلي الأماكن المخصصه لعبادة الله ولطاعة الله عز وجل لأن هذه الأماكن لايدخلها الا الذين اهتدوا. إذن دعوة الهداية لمن؟ للناس الذين مازالوا في الظلمات أو في الضلالات أو في الغواية وهؤلاء يكونون في النوادي أو المقاهي أو الملاهي أو الأسواق لأنهم بعيدين بُعْداً كليا عن حضرة الله عز وجل وهؤلاء يحتاجون من الانسان أن يقترب منهم ويدعوهم بحاله قبل قاله ليأخذهم إلي رحاب الله عز وجل وهذه حقيقة الدعوة المحمدية وليس كما يظن بعض الناس في زماننا أن الدعوة هي الخطب والدروس التي يلقيها بعض القوم في مساجد الله وفي بيوت الله عز وجل فإن هذا دين الحق والذي اهتدي يدخل المسجد ليتعرف علي أحكام الدين ويتعرف علي توجيهات رب العالمين ويتعرف علي معاني قرآنه ويتعرف علي بيان حبيبه ومصطفاه صلي الله عليه وسلم وهذا الكلام بعد الهداية.

لكن صلب الدعـوة النبـوية وصلب الدعـوة الالهيـة في هداية الضـالين والمبـعـدين إلي الله عـز وجل ولذلك لما ننظر إلي رسـول الله صـلي الله عليـه وسلم في دعوته متي بني المسجد؟ عندما هاجر صلي الله عليه وسلم إلي المدينة ولماذا بناه؟ ليعلم الذين اهتدوا أحكام الاسلام وشرائع الملك العلام عز وجل وأين كانت دعوته صلي الله عليه وسلم قبل هجرته؟ كانت في الأسواق فقد كان يذهب إلي القبائل ويعرض نفسه عليهم ويذهب إلي التجار وإلي الناس ويقصدهم في أماكنهم – لأنهم لن يذهبوا إليه – فيدعوهم إلي عبادة الله عز وجل وإلي الهداية لطريق الله سبحانه وتعالي فهناك فرق كبير بين دعوة الضالين وبين دعوة المهتدين فالمساجد الذي يقوم بالدعوة فيها العلماء ليبينوا للناس فيها أحكام السماء وتشريع سيد الأنبياء وما غاب عن الناس من أحكام عباداتهم ومن أحكام معاملاتهم ومن أخلاقهم التي لاتوافق هدي الله ولا الأسوة الحسنة في سيدنا ومولانا رسول الله صلي الله عليه وسلم.

هداية الصالحين إلي الله عز وجل

وأين دعوة الصالحين ودعوة العلماء العاملين ودعوة الوارثين؟ كانت في الشق الأول في هداية الناس إلي الله عز وجل وخير مثال علي ذلك ما ذكره لي بعض اخواننا السابقين أن السيد أحمد ماضي أبو العزائم رضي الله عنه وأرضاه أرسل الشيخ عبد السلام الغريب إلي اخواننا في بورسعيد في شهر رمضان ليشاركهم في نشاطهم الديني في شهر رمضان فلما نزل علي نائب الطريق في بور سعيد طلب منه أن يطلعه علي الخطة التي جهزها للنشاط في شهر رمضان فإذا به قد جهّز له برنامجاً يشمل أيام الشهر كلها وكل يوم في مسجد وذلك طوال شهر رمضان فيذهب إلي المسجد فيلقي الدرس ويصلي بالناس التراويح وذلك لأن الناس تعمر المساجد بكثرة في شهر رمضان فأبدي الشيخ عبدالسلام الغريب اعتراضه علي ذلك وعلل

ذلك بقوله إن الموجودين بالمساجد قد اهتدوا ولكن أين نصيب الذين لايدخلون المساجد؟ فقال له وماذا تريد؟ فقال اكتب لي برنامجاً أقوم فيه خلال هذا الشهر بزيارة ثلاثين مقهي من مقاهي بورسعيد وقد تعود أصحاب هذه المقاهي علي السهر في شهر رمضان حتي مطلع الفجر كما طلب منه أن يرسل معه أخاً واحدا فقط ليعرفه بالمكان وقد تم ذلك بالفعل فيذهب بعد صلاة العشاء إلي مقهي ويجلس ومعه أخ والناس مشغولة باللهو واللعب منهم من يلعب النّرد ومنهم من يلعب الورق وغيره فيجلس بالقرب منهم ويتحدث مع هذا الأخ بصوت هادئ في البداية ثم يأخذ في رفع صوته رويداً رويداً ليسمع من حوله حتي يأخذهم الحال وليس الكلام فهؤلاء القوم لايدعون باللسان فقط بل يدعون بالحال والدعوة إلي الله بالحال فوق الدعوة بالمقال وفي ذلك يقول الامام أبو العزائم رضي الله عنه:

في كلامي يدار راح طهور يُسْكر الروح من قُبيل التجلى

في سكوتي يدار راح التجلى سدرة ووُجهت من المتجلى

فلهم حال مع الله يقول فيه الامام أبو العزائم رضي الله عنه وأرضاه:

وآل العزائم لهم حال مع الله يجذب النافر والكافر فما بالك بالمؤمن المطيع؟» فلا يجذبون الناس إلي الله باللسان والمقال فقط وإنما يجذبون الناس إلي الله عز وجل بأحوالهم وبأخلاقهم وبسمتهم وبهديهم وبحبهم وبإقبالهم بالكلية علي الله عز وجل ولايزال يرفع صوته حتي ينتبه إليه كل من حوله فيتركون ما بأيديهم ويلتفتوا إليه وأخيراً يقبل عليه رُوّاد المقهي بأكملهم فيستهوي ذلك المارة فيقبلون حتي يمتلأ الشارع وعندما يكتظ المكان بالحاضرين يصعد علي منضدة ليسمع الجميع ومن شدة أخذه لأفئدتهم عدم انتباههم إلي مرور الوقت فقد كانوا يقبلون عليه كأن علي رؤوسهم الطير حتي ينبههم إلي أن وقت السحور قد حان ويطلب منهم الانصراف لتناول السحور بعد أن يعاهدهم علي الذهاب علي أثره لصلاة الفجر في المسجد والمحافظة بعد ذلك علي الصلاة وهكذا يذهب في كل يوم إلي مقهي جديد ليأخذ

الموجودين في المقهي إلي بيت الله عز وجل لكن إذا كانت الدعوة في المساجد فقط فكيف يعرف الذين لم يذهبوا إلي المساجد دين الله عز وجل؟ وكيف يشعرون بحلاوة الايمان؟ وكيف يقبلون علي كتاب الله سبحانه وتعالي؟ فهؤلاء يحتاجون أن نذهب اليهم أولاً في أماكنهم وكي نذهب إليهم ويستجيبون لنا لا يكفي أن نتسلح بسلاح العلم فقط لأن معظمهم عندما يستمع إلي العلم يفر من أمام العالم وقد وصفهم الله عز وجل بذلك عند سماع الموعظة فقال عز شأنه: **«فمالهم عن التذكرة معرضين كأنهم حمر مستنفرة فرت من قسوره»** [الآيات (٤٩ : ٥١) المدثر] فبين أنهم عند فرارهم من الموعظة كالحُمر الوحشية عندما تفر مسرعة خوفاً من الأسد

الدعــوة إلــى اللــه بالحـــال

إذن ما السلاح الذي يجذب النفوس ويشدّها إلي الله عز وجل؟

الأحوال النبوية والأخلاق الالهية والاوصاف القرآنية والتي إذا تحلّي بها رجل ساق الناس إلي الله عز وجل بحاله بدون أن يتفّوه بكلمة واحدة الا النّذْر اليسير لأن الكلام كثير وخاصة في هذا الزمن حتي أننا نجد غير المسلمين وهم المستشرقون يتحدّثون في الدين أفصح من كثير من المسلمين فهذا الزمن الذي حذّرنا منه رسول الله صلي الله عليه وسلم وقال فيه **«كثير خطباؤه قليل فقهاؤه كثير سائلوه قليل معطوه»** ولذلك فانظر إلي أي بلد من بلاد الله في هذا الزمن وانظر إلي عدد المساجد التي فيها فالاسماعيلية مثلاً فيها مالا يقل عن خمسمائة مسجد وكلهم يخطب فيهم علماء أجلاء من ناحية الفصاحة والبيان والبلاغة والمنطق بل ونبرات الصوت لكن انظر إلي وجه الناس وهم يستمعون إلي الخطبة وتأثير هذا الكلام في الناس بعد الخطب والمواعظ تجد نسبة ضئيلة جداً جداً هي التي تتأثر بهذا الكلام لماذا تقل نسبة التأثير بين الناس؟

لأن الناس يريدون قدوة. قدوة حسنة يريدون رجلاً يقول ما يفعل ولا يقول

شيئا الا إذا عمل به في نفسه أولاً وهذا عندما يتحدث ينقاد الناس إلي حاله وليس لمقاله فإن الأحوال هي التي تفعل فعل السحر في قلوب الرجال وتجعلهم يتجهون من عالم البعد والغيّ والضلال والقبيح إلي الله عز وجل في أقل من لمح البصر وهذا كان حال سيدنا رسول الله صلي الله عليه وسلم وحال أصحابه.

الصديق وصدقه فى الدعوة

فسيدنا أبو بكر رضي الله عنه وأرضاه لم يكن خطيباً في البداية بالمعني المتعارف عليه في عصرنا فأول خطبة خطبها بعد انتقال سيدنا رسول الله صلي الله عليه وسلم إلي الرفيق الأعلي كانت سطراً واحداً من البيان قال فيها رضي الله عنه وأرضاه: «الحمد لله الذي لم يصل أحد الي معرفته الا بالعجز عن معرفته» وهذه هي الخطبة التي قالها ومن أدبه رضي الله عنه وأرضاه أن المنبر كان ثلاث درجات فاستحيا من سيدنا رسول الله صلي الله عليه وسلم أن يقف علي درجته فنزل درجة عن درجته صلي الله عليه وسلم فسيدنا رسول الله كان يقف علي الدرجة الثالثة من المنبر ووقف هو علي الدرجة الثانية ولم ير نفسه أهلاً لهذا المقام، لكن هذا الرجل كبار رجالات الاسلام دخلو علي يديه في دين الله فقد دخل علي يديه سيدنا عبد الرحمن بن عوف وسيدنا عثمان بن عفان وسيدنا طلحة الخير بن عبيد الله وسيدنا الزبير بن العوام وسيدنا سعد بن أبي وقاص وغيرهم فكل هؤلاء دخلوا علي يد سيدنا أبي بكر رضي الله عنه في مكة كيف تم له ذلك؟ كان تاجراً في السوق وكان حلو الشمائل وعَذْب الحديث رضي الله عنه وأرضاه فكانوا يذهبون إليه لكي يستمعون إلي حديثه وقد كان كُسي حلاوة وطلاوة من الله عز وجل فدعا هؤلاء القوم إلي الله فدخلوا في دين الله أفواجاً ليس بالفصاحة ولا باللسان ولا بالبيان أما الرجل الذي بعثه رسول الله صلي الله عليه وسلم بالبيان وهو سيدنا مصعب بن عمير فقد بعثه إلي أهل المدينة

ليفقههم في الدين ولذلك كانوا يسمونه بالفقيه وهؤلاء مطلبهم فقيه يفقههم في الدين لأنهم اهتدوا ومقصدهم زيادة في الهدي فبعث لهم رسول الله صلي الله عليه وسلم سيدنا مصعب بن عمير يصلي بهم ويخطب لهم الجمعة ويشرح لهم احكام دين الله ويوضح لهم كيفية العمل بشرع الله وكيفية التأسي بسيدنا رسول الله صلي الله عليه وسلم فالطريق الذي مشي فيه الصديق رضي الله عنه وأرضاه هو طريق رسول الله صلي الله عليه وسلم الأول والطريق الذي سار عليه مصعب هو سبيله صلي الله عليه وسلم اللاحق فكلاهما يكمل بعضه بعضاً.

الصوفية ودعوة غير المسلمين لله عز وجل

«هو الذي أرسل رسوله بالهدي ودين الحق ليظهره علي الدين كله وكفي بالله شهيداً» [الآية (٢٨) الفتح] كيف يظهر الاسلام علي الدين كله إذا كانت دعوة الاسلام قاصرة علي المساجد؟

فالنصاري لا يدخلونها وكذلك اليهود وغيرهم فكيف إذن يعرفون هذا الدين ليدخلوا في دين الله عز وجل مع قوله صلي الله عليه وسلم **« إذا كان آخر الزمان أفني الله عز وجل جميع الملل والنحل ولم يبق الا الاسلام»** انهم يتعرفون علي الاسلام من القراءة عنه أو من المسلمين الذين يذهبون إليهم والمسلمون الذين يذهبون اليهم إذا كانوا يقولون مالا يفعلون فلن يُحْدثوا تأثيراً فيهم. لكن هؤلاء يحتاجون إلي مسلمين من الطراز الأول الذي كان مع رسول الله صلي الله عليه وسلم والذين تربّت أنفسهم علي المُثل والمبادئ والقيم الاسلامية وكانوا صورة حية علي قدرهم من رسول الله صلي الله عليه وسلم بهديه وسمته وشمائله وأخلاقه صلوات الله وسلامه عليه فمن يراهم يذكر الله عز وجل عند رؤيتهم فهم الذين ينطبق عليهم قول رسول الله صلي الله عليه وسلم **« المؤمن من إذا رؤي ذكر الله عز وجل لرؤيته»** (١) وهذه أحوال الصالحين في كل زمان ومكان وهذا ما يجيب علي

(١) رواه مسلم والنسائي عن جابر

تساؤل الكثيرين من الناس في قولهم لماذا يحب الناس الصوفية؟ ولماذا يحبون مشايخ الصوفية؟ لأنهم ساروا علي هذا الهدي فقد كان سيدى أحمد البدوي رضي الله عنه وأرضاه لا يخطب الجمعة ولا يعطي درساً في المسجد مره أو مرتين في الأسبوع فلم يكن خطيباً ولا واعظاً بل لم يكن يصلي إماما أبداً وكان له إمامين يصلون به لأنه مشغول بالكلية بربه عز وجل والامامة تحتاج لرجل حاضر الذّهن حتي يحفظ أركان الصلاة من أجل الجماعة الذين يصلون خلفه لكنه رضي الله عنه كان غائبا بالكلية عشقاً واصطلاما في ذات الله العلية ومن شدة عشقه رضي الله عنه وأرضاه كان يأخذه الهيام فيقف أحياناً أربعين يوماً لا يأكل ولايشرب ولا ينام شغلا بالكلية بالملك العلام عز وجل ومَنْ الذي يقدر علي هذه الحالة؟ في الحالة البشرية العادية لا يوجد إذن كيف كان يدعو الناس إلي الله عز وجل مع أنه ليس له شرائط وليس له كتب ولا يخطب علي منابر ولا يلقي دروساً؟ كان يدعو الناس إلي الله عز وجل بحاله فهؤلاء القوم يدعون الناس إلي الله عز وجل بأنوارهم وأحوالهم قبل أقوالهم فكان يأتي إليه الرجل فينادي عليه تلميذه سيدي عبد العال رضي الله عنه وأرضاه وعندما ينادي عليه يلتفت فينظر إلي هذا الرجل نظره يملأه كله مدداً

التربيـة بالنظـرة والحـال

وهذه النظرة هي التي يقول فيها الامام أبو العزائم رضي الله عنه:

مِنْ نظرة يرتقي المطلوب مرتفعا ... قدس الجلالة في حال المناجاة

ويقول فيها أيضاً:

وإن نظرت بعيني للعبد قد صار مولى ... وإن فتحت كنوزي أغنيت قولاً وفعلاً

وهذه هي النظرة التي كانوا يطلبونها منْ رسول الله صلي الله عليه وسلم في رحلة الاسراء عندما كانوا يتعرضون له علي الطريق ويقولون: انظرنا يا محمد علي ما ورد في الروايات الصحيحة للبخاري ومسلم فيقول صلي الله

عليه وسلم مَنْ هذا؟ فيقول جبريل عليه السلام: هذا داعي اليهود ثم يتكرر النداء: انظرنا يامحمد فيكرر السؤال فيجيبه جبريل بقوله: هذا داعي النصاري ويتكرر النداء: انظرنا يامحمد فيكرر صلي الله عليه وسلم السؤال فيجيبه جبريل: هذه الدنيا وماذا تريد الدنيا من وراء هذه النظرة؟ تريد ألا يَسُبّها الناس ولا يلعنونها ولا يتسخّطون عليها ولا يجعلونها الشماعة التي يعلقون عليها أخطاءهم ويقولون الدنيا شغلتنا. والدنيا ألهتنا ٠٠ إلي آخره

حتي ابليس كان واقفا متعرضاً وقال له: انظرنا يامحمد

فقال صلي الله عليه وسلم: من هذا ياجبريل؟ فقال هذا ابليس، ولماذا يطلب ابليس النظره؟ يقول في ذلك الامام أبو العزائم رضي الله عنه:

لونظـرة منه لابليـس انمحـت عنـه الشقـاوة بالعطـا المدرار

وقد يكون حديثه هنا رمزيا يعني لو نظر صلي الله عليه وسلم إلي النفس الابليسية في أي مُريد لانمحت عنه الشقاوة بقرار من الحميد المجيد عز وجل لأن كل رجل منا فيه نفس ابليسية فكان ينظر سيدي أحمد البدوي إلي الرجل نظرة يملأه كله مدداً ثم يقول ياعبد العال أقمه في بلدة كذا يدعو إلي الله عز وجل «سبحان الله! مِنْ نظرة واحدة نعم فهذا يقول له يذهب إلي امبابة (سيدي يوسف الامبابى) والثاني يقول له يذهب إلي الجمالية (سيدي الجمال) وهكذا كل هذا من نظرة أخذوها من هذا القطب الرباني فيها الحال وفيها الامداد وفيها النور وفيها سبل الهداية وفيها العناية والرعاية وفيها الولاية وهذا سيدي أبو الحسن الشاذلي رضي الله عنه يقولون عنه: كان يأتيه البدوي يبول علي قدميه. يعني لا يعرف قواعد الطهارة والاستنجاء - فيمكث عنده ثلاثة أيام فيخرج عالماً بالله عز وجل وهل تكفي الثلاثة أيام للعلم والعمل؟ لا وإنما الأمر هنا كما قال الامام أبو العزائم رضي الله عنه في حكمته: بالحال تزكية النفوس لا بالفلوس ولا بالدروس. فايكم ان تظنوا أن هذه المواهب تأتي بالدروس أو بإنفاق الفلوس كلا وإنما تنال بالحال وكيف نُحَصّل الحال؟ قال رضي الله عنه:

فتجمّلوا بالحال من باب سما بالفضـل ناولكم رحيق مـدام

عنّى خذوا ما أستطيع أبثّـه وتجملـوا بالحـال لا بكــلام

وربنا أعطي لنا مؤشرا غريبا وميزانا عجيبا في كتاب الله عز وجل فهذا صاحب البيان والتبيان وهذا صاحب الحال الدولة كانت لمن منهما؟ لموسي أم للخضر؟ أو لصاحب البيان أم لصاحب الحال؟ كانت الدولة لصاحب الحال وسلّم له صاحب البيان في النهاية لماذا؟ لأن سلطان القلوب ومملكة القلوب لا تخضع إلا لسلطان الحال وفي الحكمة قالوا: إذا كان الكلام من اللسان فلا يتجاوز الأذان وإذا كان الكلام من القلوب وصل إلي القلوب.

تقريب الخلـــق إلـــى الله

فالدعوة إلي الله عز وجل التي يتحملها الصالحون والصوفية في كل زمان ومكان هي قيامهم بدعوة الغواة والضالين من عباد الله والبعيدين عن طريق الله إلي طريق الله عز وجل كيف يكون ذلك؟ لو صدق المريد لأ لان له الله عز وجل الحديد (حديد الطبع) وأذكر في هذا المجال أن اثنين من إخواننا آل العزائم أرسلهم الامام أبو العزائم رضي الله عنه وأرضاه إلي المعابدة في صعيد مصر وكانت المعابدة في ذلك الوقت مشهوره بكثرة الاقبال علي الذين يغنّون علي الربابة وكانوا من شدة إقبالهم علي هذه الطائفة يتركون اشغالهم ويلتفون حولهم لسماعهم إذا حضروا إلي البلدة - وفكر هذين الرجلين في الطريقة الحكيمة التي بها يصلون إلي قلوب أهل البلدة ويأتي بها الله عز وجل بالفتح علي أيديهم ويهدي أهل البلدة علي أيديهم لله عز وجل فجاءوا بالربابة وتدربوا عليها وحفظوا مجموعة من الأناشيد ومجموعة من القصائد بعد تلحينها ودخلو البلده وهم يغنون وجعلوا خط سيرهم تجاه المسجد فالتف الناس حولهم حتي حطّوا رحالهم بجوار المسجد وكان معهم رجل ثالث وكانوا قد اتفقوا معه مُسبقاً أن يدخل المسجد وقت الظهر ويؤذّن للصلاة وهم عندما يسمعون الأذان يضعون

الربابة بجانب الناس ويقولون لهم: مكانكم حتي نصلي الظهر ونرجع إليكم أو إن كان واحدا منكم ربنا يفتح عليه يدخل يصلي معنا ثم يخرج يستمع إلي الربابة مرة ثانية وهكذا فتح الله عز وجل هذه البلدة بهم بسر هذه الحكمة العاليه كيف؟ بالربابة فقد حفظوا أراجيز خفيفة تتحدث عن كيفية الوضوء وكيفية الطهارة وأحكام الصلاة وعلّموا الناس أحكام الطهارة والوضوء والصلاة بهذه الأراجيز علي الربابة وهؤلاء هم الحكماء الروحانيون الذين يأخذون الناس إلي الله عز وجل.

فالعلماء الذين لايريدون الدعوة إلا من فوق المنبر ويطالبون الناس بتعظيمهم وتفخيمهم والشيخ ذهب والشيخ حضر معظم الذين يستمعون إليهم ممن تغلبه نفسه فيظن كل واحد منهم في نفسه أنه شيخ ويبقي السؤال الذي طرحناه، الذين لايدخلون المسجد من الذي سيذهب اليهم؟ ومن الذي سيسمعهم؟ ومن الذي يحضرهم؟ هذه مسئولية الصالحين في كل زمان ومكان.

منهج الامام أبو العزائم في الدعوة إلي الله

وقد كان الامام أبو العزائم رضي الله عنه وأرضاه يذهب إلي قُطّاع الطريق في أوكارهم ويدعوهم إلي الله عز وجل ولصدقه وجمال حاله كان الله عز وجل يُخْضعهم له ويتوبون علي يديه ويسيرون بعد ذلك من كبار رجال الله الصالحين أهل الكشف والمشاهدات حتي قال في بعضهم:

قد أكرم الله أهل العجز علّمهم ... أسرار توحيده بالحال والقال

خَلِّ الملامة إن الله مقتدر ... يعطي الولاية للساري وللقالى (المبغض)

فهذا منهجه رضي الله عنه وأرضاه فقد دخل حانة الخمر يدعو إلي الله فتاب علي يديه رجل صار من كبار اخوانه في السودان واسمه «كامل افندى» أخذه من الخمارة فدخل الخمارة وجلس فيها ليدعوه إلي الله عز وجل ولم يشرب خمراً بل شرب مشروباً بارداً لأنه دخل لكي يدعو إلي الله

عز وجل فكان رضي الله عنه يذهب إلي أهل الغواية في أماكنهم فعندما ذهب إلي أم دُرْمان ووجد فيها الحانات منتشرة كان يذهب إليهم في الحانات ويأخذ الناس من الخمارة إلي المسجد ولما ذهب إلي وادي حلفا ووجدهم مُغرمين بالأغاني ويحبون الأغاني والأناشيد ألّف الاناشيد الدينية الخفيفة وكان يغنيها مع اخوانه لكي يحببهم في الله عز وجل فكان يدخل لكل جماعة بلونهم لماذا هذا كله؟ كي يقربهم إلي الله عز وجل فليست الدعوة إلي الله هي الوعظ والارشاد فقط ياخواني ولو كانت مقتصرة علي الوعظ والارشاد ما كنا نري أهل أندونيسيا وأهل افريقيا وأهل الهند مسلمين في دين الله عز وجل لأن كل هؤلاء لم يدخلوا في الاسلام عن طريق الوعظ والارشاد وانما دخلوا عن طريق الأخلاق وعن طريق المعاملات الدينية والأحوال الاسلامية التي رأوها في المسلمين في عصرهم وزمانهم وفي أوانهم وهذه هي دعوة الصوفية في كل زمان ومكان والتي نحن من أجلها نلتف حول الامام أبي العزائم رضي الله عنه وأرضاه في هذا الزمان وهي ما ذكرناه يا اخواني.

جمال الداعي إلى الله

فالرجل منا يُجمّل نفسه أولا بأحوال القرآن وبأخلاق النبي العدنان وبصفات حضرة الرحمن عز وجل سر قوله صلي الله عليه وسلم:

«**ادع نفسك فإن استجابت فادعو غيرك**»(١) ثم يمشي الانسان بعد ذلك في الشارع أو في البلد أو في العمل بغير حديث ولا كلام فإن هديه وسَمْته سيجذب الأنام إلي الملك العلام عز وجل من غير حديث ولا بيان وهذه هي الدعوة السديدة والطريقة الرشيدة في جذب الناس إلي الله عز وجل ولذلك يمكن لو تتبعنا الناس الذين يدخلون في دين الله من دول أوربا في عصرنا نجد معظمهم يدخل علي أيد الصوفية لماذا؟ لأنهم يجدون عندهم الزاد الروحي الذي لا يجدونه عند سواهم فقد ملّوا من الحياة الجافة والعلم

(١) رواه الطبراني عن عبادة بن الصامت والبيهقي عن عمر.

الجاف والذي يقول فيه الامام الغزالي رضي الله عنه وارضاه في كتاب الاحياء : «علم الفقه وهو اشرف العلوم لو لم يصحبه العمل لزاد صاحبه قساوة في قلبه»

العلـــم يهتـــف بالعمـــل فاعمـــل تنـــل كل الأمـــل

هذه هي الدعوة التي نحتاج اليها جميعاً خاصة بعدما نقل البعض خلافاتهم وصراعاتهم للمساجد مع أن هذه المساجد لله وربنا قال فيها « **وأن المساجد لله** » [الآية (١٨) الجن] فقد اتخذوها ساحة للصراعات وساحة للخلافات فهذا يتحدث وهذا لا يحق له أن يتحدث وهذا يصلي وهذا صلاته باطلة وهذا تصح إمامته وهذا إمامته لا تجوز، صراعات بالليل وبالنهار بين المسلمين وبين المؤمنين وأغلبها علي الزعامة مع أن المؤمن لايبتغي زعامة أبداً. فالمؤمن أمامه أصحاب رسول الله صلي الله عليه وسلم فتارة يُرسل صلي الله عليه وسلم عمر وأبو بكر في جيش ويؤمّر عليهم عمرو بن العاص ومرة أخري يبعثهم في جيش ويؤمّر عليهم أسامة بن زيد وهو صغير السن عنده سبعة عشر عاماً (١٧) سنة لماذا؟ ليعرّف المؤمنين أن المؤمن لا يطلب زعامة ولا سلطة ولا رئاسة وإنما يبغي أن ينشر دين الله بأي كيفية وبأي وسيلة وبأي حال ولا يطلب بعد ذلك الا قول الله عز وجل «**إنما نطعمكم لوجه الله لانريد منكم جزاء ولا شكوراً**» [الآية (٩) الانسان] هو قائد عسكري أو جندي عادي لا يهم فخالد بن الوليد كان قائداً للجيش فقيل له سلم الراية وحارب مع الجُنْد فقال: سمعنا وأطعنا وحارب كجندي لم يعمل مؤامرة بسبب عزله ولا عمل فريق حوله يتخذهم وسيلة ضغط للوصول إلي مأربه ولا أعلن التمرد ولا العصيان وإنما أعلن الطاعة الكاملة لأنه لا يبغي إلا رضا الله عز وجل وهذا هو منهجهم ومبدأهم الذي علمهم ورباهم عليه سيدنا ومولانا رسول الله صلي الله عليه وسلم وأرض الله واسعة وهي تحتاج لجهاد الجميع فالعالم يحتاجنا جميعاً كمسلمين لايحتاج لواحد أو لعشره... أو مليون ولكن يحتاج كل المسلمين لكي ينشروا هذا النور في ربوع المعمورة. جندي أو رئيس لن يكون هناك فرق لأن الرئاسة عندنا ليست في الدنيا ولكن الرئاسة عندنا يوم

لقاء الله عز وجل فالوجاهة عندنا نُريدها أن تكون من باب قول الله **«وكان عند الله وجيهاً»** [الآية (٦٩) الأحزاب] فالمرء منا يريد أن يكون وجيهاً عند الله ولايطلب أن يكون وجيهاً عند خلق الله لأن الخلق جميعاً ماذا يعملون له؟ فليس عندهم المقدرة لرفعه وليس لديهم المقدرة لضره وليس لهم المقدرة لنفعه فالنافع والضار والخافض والرافع هو رب العالمين فنحن نحتاج إلي جهود إخواننا المسلمين أجمعين في هذا الزمان. نضع أيدينا في أيدي بعض ونقول مثل ما قال الامام أبو العزائم رضي الله عنه وأرضاه:

هيّا لله يا رجال الله نسعى لرضاه بشريعته

لمحة يا اخوان	تحيي الايمان	بحقيقته
نظراً يا كرام	تعلي الاسلام	بهدايته
منحه يا أبدال	تَقْوي الاحوال	بعنايته
ألْفة بيقين	يا أهل التمكين	بمحبته
نهضة بعزم	هِمّة بحزم	لمودته
عمل لا قول	جِدُّوا الوصول	لمعيته
احيوا السنة	وامحوا المحْنَة	لمعونته
الدين يا قوم	حتّام النوم	عن حكمته
يقظة ياناس	وامحوا الوسواس	لصيانته
صافوا واصفوا	وافوا وأوفوا	في نصرته
لا تفترقوا	أو تحترقوا	في رفعته
صُفوا الأقدام	وأحيوا الاسلام	بصداقته
وعد الرحمن	نص القرآن	عن نصرته
لبّوا بيقين	سر التعيين	لشريعته

إن المخـتـــــار	يدعو الأخيار رُدّوا الكفار	عن سنته
لبيـــك مـــولاي	في ذاك مُناي قلبي	وعيناي في خدمته
مولاي اشرح صدري	وافتح قلبي	واسمح بشهادته
وانظـــر بصفـا	إخوان صفا	وأدم عطفاً بصداقته

وصلي الله علي سيدنا محمد وعلي آله وصحبه وسلم

الفصل السادس

حاجة الناس إلى الصوفية

- الصوفية والعلم
- طلب العلم فريضة
- الفتح الربانى
- الشرك الخفى
- علامات التوفيق
- الدخلاء على الصوفية
- حكم استحضار الشيخ
- حكم استخدام الادوات الموسيقية على الذكر

كان هذا الحوار بمنزل الحاج عبد الماجد أبو دوح بقريه الرزيقات قبلي مركز ارمنت محافظة قنا مساء الاربعاء ٣ من صفر ١٤١٧هـ الموافق ١٩٩٦/٦/١٩ بعد صلاة العشاء.

الصوفيــــة والعلـــــم

ســؤال : ما العلوم التي يجب علي الصوفية أن يتعلموها؟

الجواب : وضحنا في كتابنا طريق الصديقين إلي رضوان رب العالمين أن التصـوف روح الاسـلام لأن الاسلام علم وتطبيق هذا العلم هو التصـوف فالمتصوفة هم الذين يدرسون علوم الدين ونعني بعلوم الدين العلوم التي قال فيـها الرسول صلي الله عليه وسلم **«طلب العلم فريضة علي كل مسلم»** (١) والحديث ليس فيه مسلمة لأن المسلمة تندرج تحت المسلم فالعلم المفروض علينا جماعة المسلمين أن نتعلمه هو العلم المفروض علي الصوفية أن تتعلمه فهناك علم فرض عين وعلم فرض كفاية فالعلم الذي هو فرض عين يجب علي كل مسلم ومسلمة أن يتعلمه ولا يعفي من تعلمه أحد أما فرض الكفاية فهو الذي إذا قام به جماعة سقط عن الباقين فمثلا الجمعة فرض عين فلا يعفي منها أي مسلم الا إذا كان مسافراً لأمر شرعي كالحج أو العلاج وكذلك الصيام لايجب الفطر فيه الا لعذر شرعي أما إذا كنت مسافرا من أجل الفسحة أو المصيف أو لعب الكرة فلا يجب عليّ الفطر لكن صلاة الجنازة فرض كفاية إذا قام بها جماعة من المسلمين سقطت عن الباقين وأما إذا لم يقم بها كل الحاضرين فكلهم آثمون فالعلم المفروض علي كل مسلم أن يتعلمه هل هو الطب أو الهندسة أو الصيدلة أو التاريخ أو الجغرافيا؟ لا هذا ولا ذاك لأن تعلم البعض لهذه العلوم يكفي الجميع

طلـــب العلــــم فريضــــة

أما العلم الذي لا يستغني عنه كل مسلم فهو علم الفرائض الخمس علم الشـهادتين وعلم الصلاة وعلم الصيام وعلم الزكاة وعلم الحج هذه العلوم فرض علي كل مسلم أن يتعلمها وليس له عذر في الجهل بها لقول الله عز

---

(١) رواه البيهقي والخطيب وابن عبد البر والديلمي عن أنس.

وجل « **فاسئلوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون**» [الآية (٧) الانبياء] وقوله صلي الله عليه وسلم « **اطلبوا العلم ولو في الصين** »(١) فعلم الشهادتين ماذا أتعلم فيه؟

أتعلم من الآيات القرآنية الأدلة القرآنية التي تدل علي وجود الله عز وجل كي يطمئن قلبي بالايمان بأدلة القرآن وليس بالأدلة الفلسفية أو الكلامية لأن هذه الأدلة لم تكن موجودة أيام الرسول صلي الله عليه وسلم أو حتي أيام الخلفاء الراشدين فلماذا ندخل أنفسنا في متاهات الفلسفة والقرآن واضح وبه أدلة واضحة ومع الشهادتين نتعلم علم الاخلاص لأنه لايوجد عمل يُرفع أو ينفع إلا إذا كان أساس بنائه علي الاخلاص قال صليْ الله عليه وسلم «**اخلص يكفيك القليل من العمل**» هذه العلوم الخمسة يبدأ بها المسلم فيتعلمها أولاً ثم يعمل بها فإذا عمل بهذه العلوم رغبت نفسه في الزياده منها لأن حلاوة الطاعة تجعله يطلب المزيد والمزيد يكون من النوافل لأنها مرتبطة بهذه الفرائض فيزيد من الصلاة النافلة بالضحي أو التهجد أو التسابيح وغيرها وهذه الزياده لاتأتي الا بعد أداء الفرائض ويزيد من الصيام بصيام الاثنين والخميس والايام البيض والأيام الفاضله مثل عرفه أو عاشوراء أو ثلاثة أيام من كل شهر ويزيد من الانفاق بالصدقات ويزيد من زيارة بيت الله الحرام بتكرار الحج والعمرة اذن فكل نافلة مرتبطة بفريضة من نوعها فما نافلة الشهادتين؟ هي ذكر الله عز وجل لأن الله أمرنا في القرآن بأمرين «**فاعلم أنه لا اله إلا الله**» [الآية (١٩) محمد] هذا هو العلم الأول وهذا يكون بالأدلة القرآنية أو بالأدلة الكونية التي ارتبطت بالنظريات العلمية اليقينية لكن النظريات الظنية ليس لنا شأن بها حتي تثبت فإذا علمت أنه لا اله الا الله ماذا أفعل بعد ذلك؟

أعمل بقول الله عز وجل «**ياأيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكراً كثيراً**» [الآية (٤١) الاحزاب] وبم يكون الذكر؟

---

(٢) رواه أبو يعلي وابن عبد البر عن أنس.

بالتحميد أو التسبيح أو التكبير أو الاستغفار أو الحوقلة «لا حول ولا قوة إلا بالله» أو دراسة القرآن وهكذا فكل عمل من أعمال البر ذكر لله عز وجل

الفتـــــح الربـــــــانى

ولا يزال المؤمن يزيد من هذه النوافل حتي يتحقق بالحديث القدسي **«ما تقرب إليّ عبدي بأحب مما افترضته عليه ولايزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتي أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ولسانه الذي يتكلم به...** إلي آخره (رواه البخاري ومسلم عن أبي هريرة) فيعطيه الله ثمار العمل فمن زرع الزرع وسقاه ورواه وغذاه يأتي الله له بثمار الطاعة وهي الفتح وكل فتح له مدده والفتح من الله عز وجل يكون علي قدر اخلاص السالك وعلي قدر حسن تعامله وأدبه مع الله عز وجل فهناك من يفتح عليه بعلم الهامي غير موجود في الكتب ولا في المجلدات **«آتيناه رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علماً»** [الآية (٦٥) الكهف] ومنهم من يعطيه الله عز وجل قدراً من الشفافية في قلبه فيري بنور الله **«اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله»** ومنهم من يعطيه كشفاً نورانيا فيري أنوار الملكوت وما أعده الحي الذي لا يموت في الجنة للمؤمنين وفي النار للكافرين ومنهم من تقوي عين باصرته فيطّلع علي اللوح المحفوظ ويري ما فيه من علوم الكنوز الالهية والأسرار القدرية ومنهم ومنهم إلي مالا نهاية منهم من يصطفيه الله لنفسه ومنهم من يعمم الله به النفع للعباد فيوجه القلوب إليه لينتفع أهلها بما تفضل الله به عليه فيعلمهم الكيفية التي وصل بها إلي هذا الفتح لكي يكونوا من أهل الفتح هذا هو التصوف الحقيقي رجال عملوا بما علموا فظهرت عليهم نتائج الاخلاص وثمار هذا العمل فتوحات ربانية وتجليات قدسية ومنح محمدية وصفاء ووفاء وأنس ولطف وأنواع لايستطيع عدّها ولا حصرها من فتح الله عز وجل عليه لماذا؟

بشري لهم علي إخلاصهم في العمل لله عز وجل

فاذا ظهر بعض الصادقين من المريدين والسالكين ورأي الله فيهم الصدق وأراد أن يختصر لهم الطريق وأن يحفظهم من آفات الطريق يجمعهم علي رجل من أهل الفتح من أجل أن يمشوا في الطريق المأمون لله عز وجل ولذلك فالذين يقولون لماذا يذهب الناس لمشايخ الصوفية؟ نقول لهم كي يمشوا في الطريق المأمون ويدخلوا في دائرة يقول فيها الله **«الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون»** [الآية (٨٢) الأنعام] وهل المؤمن يلتبس إيمانه بظلم؟

نعم هناك من قال فيهم رب البرية **«وما يؤمن اكثرهم بالله الا وهم مشركون»** [الآية (١٠٦) يوسف] والاشارة هنا إلي الشرك الخفي الذي يحبط العمل وما الذي ينجي من هذه المزالق؟

الرجل الحاذق والخبير القرآني والطبيب الروحاني الذي أخذ التصريح من سيدنا رسول الله صلي الله عليه وسلم لأنه لن يتعبد أحد في البشر أجمعين مثلما كان يتعبد ابليس لقوله صلي الله عليه وسلم فيه **«ابليس عبد الله اثنتان وسبعون الف سنه ولايوجد موضع شبر في السماوات السبع الا ولابليس فيه سجده لله تعالي»** ولكنه لأنه لم يتخلص من الآفات الباطنية فآفة واحدة ضيّعتة وهى آفة العُجب وهي تؤدي إلي الغرور فعندما سمع نداء الأزل **« إني جاعل في الأرض خليفة»** [الاية (٣٠) البقرة] ظن الموضوع بالعمل لأنه لم يعمل أحد مثله وعندما وقع الاختيار علي غيره عصي أمر الله وامتنع عن السجود لآدم عليه السلام ومصيبته أنه عصي الله في مواجهة الله عز وجل لماذا غفر الله لآدم عليه السلام؟

لأنه عصي الله واعترف بذنبه وخطأه كما أنه لم يعصه جل شأنه متعمّداً أما ابليس فعندما أمره الله بالسجود لآدم قال أنا خير منه ولذلك قالوا من قال أنا فقد نأي أي بَعُدَ ومن هنا فقد كانت اشارات الصوفية بأن هناك أشياء لابد أن يتطهر منها المريد كي يسير في طريق الله عز وجل منها ألا

يقول لي أو عندي أو أنا فالذي قال أنا خرج منها مذموماً مدحوراً **«أنا خير منه»** [الآية (٧٦) ص] والذي قال لي **«أليس لي ملك مصر وهذه الأنهار تجري من تحتى»** [الآية (٥١) الزخرف] كان مصيره أيضاً الطرد والابعاد والذي قال عندى **«أوتيته علي علم عندى»** [الآية (٧٨) القصص] أي بشطارتي ومهارتي وتعبي قال الله عز وجل في شأنه **«فخسفنا به وبداره الأرض»** [الآية (٨١) القصص]

علامـــات التوفيـــق

اذن لابد أن تري أن الفضل من الله وبتوفيق الله وبمعونة الله عز وجل لا بنفسك ولا بجسمك ولا بحسك وإنما الفضل من وإلي الله عز وجل فهذه عقبات لا يصاب بها الانسان الا اذا كان بعيدا عن المرشدين مثلما نري الآن بعض اخواننا شباب الجماعات عندما يري رجلاً مسكينا يتقدم ليكون امام في الصلاة فيقول له أنت لاتنفع امام وربما يكون ذلك الرجل المسكين مقبولاً عند الله والعبرة بالقبول عند الله وليس بزلاقة اللسان ولا تطويل القرآن - اذن من الذي تصح امامته؟

هو يري أنه طالما قرأ وحفظ بعض آيات من القرآن وجوّدهم فليس هناك أفضل منه هذه ياإخواني نظرة ابليس لأن فيها إعجاب بالنفس وكبر وغروراً أما المؤمن فيقولون فيه كلما زاد علم المرء زاد تواضعاً كيف ذلك؟

انظروا إلي شجرة الفاكهة فالشجرة التي فروعها إلي اعلي اكثر ثماراً أم الشجرة التي فروعها إلي اسفل؟

بالطبع الشجرة التي فروعها إلي أعلي هي التي ثمارها قليلة وضعيفة لانها كل ما تحمل ثمار اكثر تنزل فروع الشجرة إلي أسفل وكذلك العلم فكلما كان محصول المرء من العلم قليلاً تجده يتعالي علي الناس بعلمه وكلما زاد علم المرء زاد علماً بنفسه فزاد تواضعاً لله عز وجل ولاخوانه ومثال ذلك هذا الرجل الذي جلس أصحاب رسول الله يتحدثون ويقولون فلان هذا ليس

هناك مثله في العبادة ولا في الجهاد فقال صلي الله عليه وسلم لا اعرفه أي أنه لايوجد عندي في الرادار الذي لا يسجّل إلا الأصفياء وبعد قليل وهم جالسون جاء الرجل فقالوا للرسول صلي الله عليه وسلم هذا هو الرجل الذي نتكلم عنه فنظر إليه صلي الله عليه وسلم وقال إني أري سفعة الشيطان في وجهه فألقي الرجل السلام فقال صلي الله عليه وسلم اصدقني بالله أما حدثت نفسك أنك خير من هؤلاء؟

فقال الرجل نعم ومن سوء أدبه ترك مجلس رسول الله صلي الله عليه وسلم وذهب إلي المسجد ليتعبد مع أنه كان هناك رجل آخر يصلي ونادي عليه صلي الله عليه وسلم فلم يستجب للنداء وأكمل صلاته فقال له صلي الله عليه وسلم ألم تسمع قول الله تعالي **«يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم»** [الآية (٢٤) الانفال] فإذا كان أبي وأمي ينادون عليّ وانا في نافلة وليس في فريضة استجيب لهم فوراً لأن نداء الأب فرض [وطبعاً أنا أصلي في البيت نافلة وليس فرضاً لأن الفرض يصلي في الجامع الا إذا كان هناك ضرورة مشروعة] أما رسول الله إذا نادي عليّ فلابد أن ألبي نداءه صلي الله عليه وسلم في الحال سواء كنت أصلي نافلة أم فرض أما الرجل الغافل الذي نتكلم عنه فترك مجلس رسول الله صلي الله عليه وسلم وذهب ليتعبد مثل الطائفة الموجودة الآن والتي تقول لك أنت أتممت حجك فلاتذهب إلي المدينة واذا ذهبت فمن أجل التعبد بالمسجد النبوي وليس من أجل النبي صلي الله عليه وسلم أليس هذا جهلاً بدين الله عز وجل؟

لقد قال الله عز وجل في قرآنه **«ومن يخرج من بيته مهاجراً إلي الله ورسوله»** [الآية (١٠٠) النساء] لماذا لم يدفن صلي الله عليه وسلم في البيت الحرام؟ لأنه بذلك سيكون صلي الله عليه وسلم تابعاً للبيت الحرام فمن يذهب للكعبة يذهب له بالتبعية ولا يفرده بالزيارة وأراد الله عز وجل أن

---

(١) رواه مسلم والنسائي عن جابر

تكون زيارة النبي صلي الله عليه وسلم عملا خاصاً يقصده المؤمن لذاته فجعل مستقره صلي الله عليه وسلم بالمدينة المنورة فلما ذهب الرجل الغافل الذي نتكلم عنه للمسجد ليصلي قال صلي الله عليه وسلم أيكم يذهب إلي الرجل فيقتله!

فقال سيدنا أبو بكر رضي الله عنه: أنا فقال صلي الله عليه وسلم: قم له ولست بصاحبه وسيدنا رسول الله كانت له نظرة روحانية ربما لايعرفونها فقد تصادف في عصره أن رجلاً سرق وحدّ السرقة هو قطع اليد فقال لهم سيدنا رسول الله صلي الله عليه وسلم اقتلوه قالوا كيف نقتله وقد سرق فقط سنقيم عليه حد السرقة وأقاموه ثم سرق مرة ثانية فأقاموا عليه الحد ثم سرق ثالثة فأقاموا عليه الحد (قطع الرجل) ثم رابعة فأقاموا عليه الحد ثم خامسة فقتلوه فقال سيدنا أبو بكر رضي الله عنه ليتنا أخذنا بكلام الرسول صلي الله عليه وسلم من البداية وقتلناه فذهب سيدنا أبو بكر للرجل الغافل فوجده راكعاً فقال سيدنا أبو بكر أأقتله وهو يصلي؟

لا فرجع ولم يقتله قال له النبي صلي الله عليه وسلم أقتلته؟ قال لا قال ولم؟ قال وجدته يصلي فاستحييت من الله عز وجل أن أقتله وهو يصلي فقال صلي الله عليه وسلم: أيكم يقوم للرجل فيقتله؟

فقال سيدنا عمر: أنا فقال له صلي الله عليه وسلم: قم له ولست بصاحبه فذهب سيدنا عمر فوجده ساجداً فقال أأقتله وهو يصلي وقد امتنع عن قتله مَنْ هو خير منّي فرجع فقال له صلي الله عليه وسلم: أقتلته؟ فقال عمر لا وجدته ساجداً فاستحييت من الله عز وجل أن أقتله وهو ساجد وقلت في نفسي قد امتنع عن قتله من هو خير مني فقال صلي الله عليه وسلم أيكم يقوم إلي الرجل فيقتله؟

فقال سيدنا علي أنا فقال صلي الله عليه وسلم: أنت صاحبه لو أدركته فذهب سيدنا علي فوجده قد خرج من المسجد فرجع عليّ فقال له النبي صلي الله عليه وسلم أقتلته؟

قال لا وجدته قد خرج فقال صلي الله عليه وسلم أما لو قُتل هذا الرجل ما اختلف اثنان من أمتي إلي يوم القيامة وهذا الرجل هو الذي قد خرج من ذريته وشيعته الخوارج التي فرقت الأمة وكانوا يطيلون الركوع والسجود وتلاوة القرآن ويرون في أنفسهم أنهم أفضل من صحابة رسول الله صلي الله عليه وسلم مع قوله صلي الله عليه وسلم « **إياكم وأصحابي فإن أحدكم لو أنفق مثل أحد ذهباً ما جاء بمُدّ أحدهم ولا نصيفه**»(١) - والمد والنصيف نوعان من مكاييل المدينة - فقد كان الخوارج يعيبون علي اصحاب رسول الله صلي الله عليه وسلم حتي أنهم ذهبوا إلي سيدنا أبي الدرداء رضي الله عنه وقالوا له كيف تكون صحابي من أصحاب رسول الله ولاتقوم بالليل للتهجد ولاتصوم الاثنين والخميس؟

فقال لهم عجبت للحمقي كيف يعيبون علي الأكياس نومهم وفطرهم ولذرة من تقوي من عمل القلوب أفضل من أمثال الجبال عبادة من المغترين فهذه الآفات مثل العُجب والرياء وغيرها من أعمال الشرك الخفي تجعل عمل الانسان هابطاً الا إذا رزقه الله بطبيب روحاني خلّصه من هذه الأمراض الباطنية حتي يكون عمله خالصاً لله وبعد ذلك نفس واحد يكفيني قال صلي الله عليه وسلم: «**إن من أمتي رجال التسبيحة من أحدهم كجبل أحد**» وقال سيدنا أبو اليزيد رضي الله عنه وأرضاه: لو قال العبد سبحان الله عن اخلاص قلب مرة واحدة في عمره كله لكفته همّ دنياه وآخراه فهذه ياإخواني حاجة الناس للصوفية كي يختصروا لهم الطريق ويحفظوهم من آفات وعثرات الطريق.

وقد قال فيهم ابن البنا السراقسطي رضي الله عنه:

إنما القوم مسافرون	لحضرة الحق وظاعنون
فافتقروا فيه إلي دليل	عالم بالسفر وبالمقيل
قد سلك الطريق ثم عاد	ليخبر القوم بما استفاد

---

(١) رواه أبو داود والترمذي عن أبي سعيد.

هذه باختصار أحوال الصوفية أما الجماعة المنتسبين للصوفية فالذين يمشون خلف الصوفية فإذا كانوا عن محبة قلبية مع حرصهم وقيامهم بالواجبات الشرعية والفرائض فسيكونون إن شاء الله من الناجين أما من ادعي أنه مع الصوفية وترك فرائض الله بدون عذر شرعي فهذا دعيّ وليس منهم في قليل أو كثير ولو حسبناه عليهم فنحن خاطئون ولهذا نلفت نظر الذين يهاجمون الصوفية إلي أنهم لا يهاجمون الصوفية وإنما يهاجمون المدّعين ولكن العيب أنهم يعمّمون الحكم فيدخلون معهم أهل الصفاء والاخلاص ويجعلونهم شركاء معهم مع أنهم برءاء من ذلك فنحن معشر الصوفية ليس لنا شأن بالذين خرجوا عن حدود الشريعة مثل الذين يشربون الحشيش والجوزة واجتماع الرجال والنساء عند ذكر الله في حلقة واحدة لأن هذا خروج عن الحدود الشرعية ومثل الناس الذين يتركون أعمالهم وبيوتهم ويهاجرون تحت شعار أنهم متوكلون علي الله بغير إذن من رسول الله لأن الذي في طريق القوم لا يخرج من حال إلي حال إلا بإذن من رسول الله صلي الله عليه وسلم والا ضاع فالذي يمشي في البلاد ولابس مرقعات ويطلب من كل رجل أن يعطيه قرشاً وإذا لم يعطه يهدده ما الذي جعله يعمل هذا؟

مع أنه لوخرج لله فسيتولاه الله فإذا اضطر للمبيت علي الطريق يجعل له هذا الطريق الذي سينام عليه فرن حراري واذا فقد الطعام والشراب وأسباب الحصول عليها ملّكه بعض أحوال الوراثة النبوية في قوله صلي الله عليه وسلم. **«أبيت عند ربي فيطعمني ويسقيني»** [متفق عليه] مثل الامام الجنيد رضي الله عنه لما كان في سياحته الروحية رضي الله عنه وكان يفطر كل أربعين يوم علي تمرة هل هذا الكلام يوافق عليه أهل الطب أو أهل العلم؟

لا، لأنه داخل في دائرة أبيت عند ربي فيطعمني ويسقيني إذن الذي يخرج نفسه بنفسه بدون إذن يستحق ما يجري عليه لأنه دعيّ في طريق

القوم وكذلك الجالسين حول أضرحة سادتنا الصالحين فهؤلاء منتفعين وليس لهم شأن بالصوفية لأن الصوفية صفاء ووفاء ويقين كامل بالله عز وجل الله عز وجل يرزقهم بما شاء وكيف يشاء لا يمدون يدهم لأحد الا في أحوال يقول لك فيها بعض أهل الكشف منهم هات يا فلان كذا ليرفع عنك بلوي أو مصيبة سوف تنزل عليك وهؤلاء أناس نحن نعرفهم والناس تسارع لتنفيذ أوامرهم لأن الناس تعلم أنهم لايطلبون لأنفسهم شيئاً فخطأ هؤلاء المعترضين أنهم عمموا هذه الأحوال علي الصالحين وقالوا الكل زي البعض لكن الصوفية أحوالهم نبوية وصفاتهم قرآنية وأعمالهم وعبادتهم كلها من مشكاه النبوة بل إن الناس إذا كانوا يعبدون الله علي السماع من العلماء فهم يعبدون الله علي المشاهدة لفعل سيد الأنبياء صلي الله عليه وسلم أي يصلي أمام ناظرية قوله صلي الله عليه وسلم في الحديث **«صلوا كما رأيتموني أصلي»** [متفق عليه] وما يكرمه الله به من فتوحات وكرامات لايشغله من قريب أو بعيد ولا طرفة عين، قد تشغل هذه الأشياء مَنْ حوله ولكن هذا ليس شأنه لأن القوم شغلهم بالله عز وجل يقول الرجل منهم

والله ما طلعت شمس ولا غربت ... إلا وحبك مقرون بأنفاسي

ولا جلست مع قوم أحدثهم ... الا وأنت حديثي بين جلاسي

ولا شربت الماء من ظمأ ... الا رأيت خيالاً منك في الكأس

فهم مشغولون بالكلية بالله عز وجل فإذا أيدهم الله بالكرامات فهذه علامة للصادقين والمخلصين من أجل أن يقولوا أن هذه الجماعة علي الحق فكونوا معهم **« اتقوا الله وكونوا مع الصادقين»** [الآية (١١٩) التوبة]

وصلي الله علي سيدنا محمد وعلي آله وصحبه وسلم.

استحضـــــار الشيـــــخ

ســـؤال: هـل لابد مـن الالتـــزام بدوام الجلوس مع الشـــيخ أم يكفي استحضار صورته؟

الجواب: حقيقة الالتزام أن تلزم قلبك محبة شيخك واجعل جسمك في أي مـوضع شـئت فـالمهم أن يكون بداخل القلب صـورة المرشـد وذلك لأنك لاتستطيع أن تستحضر غيره فإذا ترقيت وأشرقت عليك صورة سيدنا رسول الله صلي الله عليه وسلم فإنك في هذا الحال تستحضر صورته صلي الله عليه وسلم علي الدوام وعلي هذا فأنا أستحضر صورة الشيخ حتي يوصلني إلي رسول الله صلي الله عليه وسلم وكذلك سيدنا رسول الله صلي الله عليه وسلم لايزال يواجهني ويوجّهني حتي أصل إلي مقام يقول لي فيه هاأنت وربك فالمهم لابد في البداية من صورة المرشد في القلب لأنه يأتيني منها المدد من رسول الله صلي الله عليه وسلم فالمرشد بالنسبة لي هو المحول الذي يأخذ من الضغط العالي لأني لاأستطيع أن آخذ من الضغط العالي مباشرة وإلا فكل الفيوزات التي فيّ سوف تحرق وكذلك كل الحقائق التي فيّ سـوف تصـعق لو تعـرضّت للنور الاعظم صلي الله عليـه وسلم مـباشرة فـأكون مـثل الذين يمشـون في الشـوارع حـفـاة أو عـراة لأن كل الفيوزات التي فيهم قد أحرقت ولذلك لابد من وجود محول يأخذ من الضغط العالي ويعطيني علي قدري وهذه هي مهمة الشيخ لابد أن استحضره في روحي دائمـاً وبذلك يكون المدد يأتيني من سـيدنا رسـول الله علي طول أستحضره مثلاً عندما أريد أن آكل لأري كيف يأكل وأستحضر هيئته في الأكل وكذلك عندما أريد أن أصلي أري كيف يصلي واستحضر هيئته في الصلاة وكذلك في الشرب .... فأنا أستحضر شيخي وشيخي يستحضر في هيئاته رسول الله فلا نستحضر الشيخ لنجعله صنماً في القلب وإنما نستحضره لنتمثل أحواله وأفعاله عند قيامنا بهذه الأفعال والأحوال لأنه اقرب الناس شبهاً في أحواله وأفعاله بالرسول صلي الله عليه وسلم وكذلك عندما أتكلم أو أجلس استحضره في كلامه ولفتاته وجلوسه لأنه لايفعل

شيئاً كبيراً ولا صغيراً إلا عن أسوة حسنة بسيدنا رسول الله صلي الله عليه وسلم.

حكم استخدام الأدوات الموسيقية

سؤال: ما حكم استخدام الادوات الموسيقية علي ذكر الله؟

الاجابة: إذا كانت حلقة الذكر في بيت من بيوت الله فيحرم حُرْمة تامة دخول هذه الأدوات وإذا كانت حلقة الذكر في مكان كالذي نحن فيه الآن فيكره ذلك وهناك فرق بين الحرمة والكراهة لأن بعض الصالحين كسيدي ابن عطاء الله السكندري رضي الله عنه قال حفزاً لهمم المريدين: اذكر الله ولو علي ضرب الدفوف فهناك أوقات لاتأتي الناس إلي الله عز وجل إلا بهذه الكيفية وبعد أن يدخل نؤدبه ونهذبه بالآداب الصحيحة للاسلام واذكر في هذا المجال أن اثنين من تلاميذ الامام أبي العزائم وجههم لفتح بلدة من بلاد اسيوط تسمي المعابدة وقد فتحوها بالربابة وهذا هو الذي جعل بعض الصالحين في البداية يستخدمون هذه الأدوات لكن الذين أتوا بعد ذلك لم يأخذوا بالهم من الحكمة والسّر فظنوّا أن هذا أساس من أسس الذكر فاستمروا علي ذلك المنوال لكن هذه كانت بداية لجذب أهل الغواية إلي الله عز وجل.

الفصل السابع

فائدة الذكر الصحية والنفسية

- المناعة الايمانية
- أثر المناعة الايمانية
- الغرب والعلاج بالقرآن
- أثر القرآن الكريم على النفس البشرية
- أثر الصلاة النفسي
- الايمان والحياة

الحمد لله الذي أنزل علينا القرآن هدي وشفاء لجميع بني الانسان والصلاة والسلام علي سيدنا ومولانا محمد بن عبد الله طب القلوب ودواءها وعافية الأبدان وشفاءها ونور الأبصار وضياءها وعلي آله وصحبه وسلم وبعد:

فائدة الذكر الصحية والنفسية

قد يتساءل بعض الناس ما فائدة حلقات الذكر وتلاوة القرآن وغيرها من أنواع العبادات التي يرددها الانسان بلسانه علي الانسان في جسمه وبدنه؟

فالفائدة المؤجلة من الثواب والحسنات لايشك فيها أحد لكن لأننا في عصر تغلغلت فيه المادية في كل نواحي الحياة أصبح الناس يقيسون حتي أمور الدين بالمكاسب المادية التي تعود عليهم في حياتهم الدنيوية وإلي هؤلاء نقول: ثبت في العصر الحديث الذي نحن فيه الأن أن أكثر من ٩٠٪ من امراض الاجسام التي ظهرت في عصرنا سواء امراض الجهاز الهضمي أو التي تصيب الجلد أو التي تصيب الشعر أو التي تصيب القلب وحتي بعض حالات العين اكثر من ٩٠٪ من هذه الأمراض يردّها الاطباء إلي الحالة النفسية ويقولون أن هذا المرض سببه نفسي وذلك بعد أن يعجزوا بالادوية الطبية والعلاجات الجراحية في مداواة هذه الأمراض فيردّونها إلي الحالة النفسية التي جاءت بهذا المرض إذن ولله سبحانه وتعالي الحكمة البالغة كما أنه في زماننا قلت المناعة المكتسبة في أجسام الناس نتيجة أصناف المأكولات التي تَدّخل فيها الانسان بالمبيدات والهرمونات ونتيجة الارهاق المتواصل من أجل الحصول علي لقمة العيش فأصبحت المناعة الجسمانية قليلة في أجسامنا البشرية مما عرّضها وجعلها سهلة التعرض للاصابة بالأمراض الجسمانية كذلك الحال يا اخواني بالنسبة للمناعة النفسية الايمانية .

كان هذا الدرس بمنزل السيد اللواء حسام الدين مرعي بالجميزة غربية عقب صلاة العشاء يوم الاثنين ١٢ من ربيع الآخر ١٤١٧هـ الموافق ٢٦ من اغسطس ١٩٩٦م.

المناعـــة الايمانيـــة

فإن المناعة الايمانية التي يكتسبها الانسان عن طريق المداومة علي ذكر الله وكثرة الاستغفار لله والاكثار من الصلاة والتسليم علي رسول الله والمحافظة علي الصلاة وغيرها من ألوان العبادات هذه العبادات تزيد المناعة الايمانية في قلب الانسان فتجعله لا يتقلب ولايتأثر بسرعة مما يعتري الانسان في عالم الناس من كوارث أو مصاعب أو متاعب أو مصائب أو اهتزازات نفسية نتيجة لأي أمر يعرض له في مسيرته الكونية فالقلب إذا كان عامراً بالايمان كان جهاز المناعة الايمانية في الانسان قوياً فلا يتأثر بما يعتري الانسان من حوادث ومصائب وكوارث وبالتالي لاتؤثر هذه الأحداث علي أعضائه الجسمانية في صورة أمراض بشرية يعجز عنها الأطباء والحكماء في أي مكان أو في أي بلد من البلدان فالأذكار والعبادات تقوي المناعة الايمانية في قلب الانسان فتجعل الانسان مهما يتعرض له في الأكوان تجده كالجبل الأشم هل تستطيع الرياح أن تزحزح هذا الجبل عن مكانه؟ أو هل تستطيع الأعاصير الشديدة أن تقتلع هذا الجبل من جذوره؟

أثـــر المناعـــة الايمانيـــة

فكذلك هنا الانسان الذي حدث له في قلبه المناعة الايمانية لو جاءته عواصف التيارات الالحادية التي يصدرها لنا عالم الغرب أو انتابته رياح الشدائد والابتلاءات الدنيوية أو تفجرت في نفسه براكين الكوارث التي تنشأ علي غير سابق استعداد تجده ثابتاً كالجبل لا تزلزله هذه الرياح ولا تحركه تلك العواصف لأن الايمان بالله عز وجل الذي في قلبه يقوم بمقام جهاز المناعة في جسم الانسان إذا تعرض للجراثيم أو الفطريات فإذا كان جهاز المناعة قوياً يردّها علي أدبارها فلا يمرض الانسان وكذلك لو كان جهاز المناعة الايماني قوياً لاتؤثر الكوارث والمصائب والأوقات العصيبة علي ايمان الانسان وبالتالي لاتؤثر علي البنيان لأن ثبات الايمان يمنع زلزلة هذا البنيان ويكون هذا المرء من عباد الرحمن الذين ليس للشيطان عليهم سلطان.

الغرب والعلاج بالقرآن

ومن عجب أنه في عالم الغرب الآن بدأوا يعودون في المصحات النفسية إلي العلاجات والأشفية الاسلامية والقرآنية فقد حكي لي صديق جاء من أمريكا حديثاً أنه تصادف عند ركوبه للتاكسي في نيويورك كلما ركب تاكسيا وجد شريطاً للقرآن الكريم فلما وجد انتشار هذه الظاهرة سأل أحد السائقين هل تفهم هذه اللغة؟

قال: لا أعرف العربية فقال له هل أنت مسلم؟

قال: لا قال اذن لم تدير هذا الشريط في سيارتك؟

قال: إني أحس براحة نفسية عند سماع هذا الشريط لا أعلم كنهها ولا أدري لها سبباً فيستمعون إلي القرآن وإن كانوا لا يفهمون لغته ولا معانيه لأنهم يجدون راحة نفسية عند سماع القرآن وصدق الله عز وجل إذ يقول **«وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين»** [الآية (٨٢) الاسراء] وصدق الله العظيم إذ يقول **«قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور وهدي ورحمة للمؤمنين»** [الآية (٥٧) يونس]

اثر القرآن الكريم علي النفس البشرية

وقد اجري الدكتور أحمد القاضي بحثاً علي المرضي من مختلف الأجناس لبيان أثر القرآن الكريم عليهم وقدم هذا البحث في المؤتمرالعالمي الثالث للطب الاسلامي المنعقد في استنبول بتركيا في سبتمبر ١٩٨٤ وسوف أنقل للقارئ فقرات موجزة من هذا البحث « هناك اهتمام متزايد بالقوة الشفائية للقرآن والتي وردت الاشارة إليها في القرآن نفسه وفي تعاليم الرسول صلي الله عليه وسلم وحتي وقت قريب لم يكن من المعروف كيف يحدث القرآن تأثيره وهل هذا التأثير عضوياً أم روحياً أم خليطاً من الاثنين معاً ولمحاولة الاجابة علي هذا السؤال بدأنا في العام الاخير اجراء

البحوث القرآنية في عيادات اكبر» في مدينة «بنماسيتي» بولاية فلوريدا وكان هدف المرحلة الاولي من البحث هو اثبات ما إذا كان للقرآن أي أثر علي وظائف أعضاء الجسد وقياس هذا الأثر إن وجد واستعملت أجهزة المراقبة الالكترونية المزودة بالكمبيوتر لقياس أي تغيرات فسيولوجية عند عدد من المتطوعين الأصحاء أثناء استماعهم لتلاوات قرآنية وقدتم تسجيل وقياس أثر القرآن عند عدد من المسلمين المتحدثين العربية وغير العربية وكذلك عند عدد من غير المسلمين وبالنسبة لغير المتحدثين بالعربية مسلمين كانوا أو غير مسلمين فقد تليت عليهم مقاطع من القرآن باللغة العربية ثم تليت عليهم ترجمة هذه المقاطع باللغة الانجليزية وفي كل هذه المجموعات أثبتت التجارب المبدئية وجود أثر مهدئ مؤكد للقرآن فى ٩٧٪ من التجارب المجراة وهذا الأثر ظهر في شكل تغيرات فسيولوجية تدل علي تخفيف درجة توتر الجهاز العصبي التلقائى» وإني أعجب لأن أهل الغرب الذين ركبتهم المادة وسيطرت علي كل حركاتهم وسكناتهم يستمعون إلي كتاب الله علي الرغم من عدم فهمهم له ونحن أهل القرآن نحرم أنفسنا حتي من سماعه ولو في خمس دقائق كل يوم نحرم أنفسنا من قراءة صفحة منه كل يوم ثم بعد ذلك نشتكي من الأمراض والهموم والغم والقلق والتوتر النفسي وعندنا الشفاء نازل من السماء ولكننا نبخل علي |أنفسنا بالشفاء الذي لايكلفنا ولو مليماً واحداً بل إنه ينفعنا في الدنيا في صحة أجسامنا ونفوسنا وينفعنا في الآخرة بالحسنات والقربات التي يدخرها الله عز وجل لنا فذكر الله عز وجل هو السبيل الوحيد لعلاج أمراض النفوس وعلاج حالات القلق والأمراض النفسية التي انتشرت في عصرنا والتي ترتب عليها كثيراً من الأمراض الجسمانية ولذلك يقول الله عز وجل لنا مظهراً هذه الحقيقة **«إن الانسان خلق هلوعاً إذا مسه الشر جزوعاً وإذا مسه الخير منوعاً الا المصلين»** [الآيات من (١٩:٢٢) المعارج] لماذا استثني الله عز وجل المصلين؟

كشف لنا العلم الحديث عن هذه الحقيقة وقد أشار إلي ذلك الدكتور طاهر توفيق في كتابه (القرآن والاعجاز في خلق الانسان) صـ٩٨ فقال: «إن الانسان إذا سمع خبر سيئ أو جزع من أي خبر أو هلع من أي حادث فإن المخ يرسل شحنة كهربائية جبارة ضاربة تخترق الجز ءالأسفل منه وهو قناة (الهيبوثالامس) لتنزل إلي أي مركز من المراكز اللإرادية فإن أصابت هذه الشحنة مكان التمثيل الغذائي فقد تضر هذا المركز ويصاب الانسان بالسكر مثلاً أو بارتفاع الكولسترول وإن نزلت هذه الشحنة إلي مكان تنظيم ضغط الدم قد يصاب الانسان بمرض ارتفاع ضغط الدم وإذا أصابت أحد الغدد الصماء أصيب الانسان بخلل في وظائف هذه الغدد وإذا نزلت هذه الشحنة في مراكز إفراز حامض الهيدروكلوريك مثلاً بالمعدة فقد يصاب بفقد الشهية لنقص إفراز هذا الحامض أو بعسر الهضم وقرحة المعدة نتيجة إفراز هذا الحامض في المعدة وهكذا كثيراً من الوظائف اللا إراديةتتأثر بالشحنة الكهربائية التي تنزل من المخ وتخترق (الهيبوثالاماس) وتتوجه إلي مركز لا إرادي فتتسبب في إصابته بإصابات تختلف من شخص إلي آخر» ثم يوضح تأثير الدعاء والذكر فيقول صـ١٨٩ من نفس الكتاب:

«وهذه الاشارات الضارة المفاجئة تمر عند نزولها بقناة عصبية تسمي (هيبوثالاماس) ووظيفتها امتصاص هذه الاشارات الضارة والحد من وصولها للجسم ووظيفة هذه القناة تقوي بالصلاة والايمان والرضي بقضاء الله وقدره وتضعف هذه القناة وتفشل في أداء وظيفتها الهامة بالبعد عن الله وترك الصلاة وعدم الصبر والرضي عند الشدائد فإذا قويت هذه القناة منعت جميع الاشارات الضارة من الوصول إلي أعضاء الجسم مسببة ضررها وإذا ضعفت اختلت وظيفتها مما يؤدي لوصول هذه الاشارات إلي أجزاء الجسم المختلفة محدثة ما ذكرناه سلفاً وقد تكون هذه الاشارات الواردة للجسم شديدة نتيجة حزن شديد أو صدمه عنيفة وهنا تصبح قناة (الهيبوثالاماس) غير قادره علي منع كل هذه الاشارات من الوصول لاجزاء

الجسم وهنا يحول المخ الباقي من هذه الاشارات ويوجهها إلي أجهزة واعضاء بالجسم يكون زيادة نشاطها وعملها غير مضر مثل الغدة الدمعية فيزرف الدمع وهو كما نعلم مفيد جداً في غسيل العين أو مثل عضلات القفص الصدري والتي تتحرك سواء في الضحك أو البكاء فيزيد وينشط ذلك من عمل الرئتين مما يفيد في تنقية الدم من ثاني اكسيد الكربون وقد تفيد الاشارات في تحريك بعض عضلات الوجه وهذا مطلوب بين آن وآخر ولذلك كله فإن البكاء أو الضحك يفيد في صرف مثل تلك الاشارات الضارة الزائدة عن قدرة قناة (الهيبوثالاماس) عن الاعضاء الحيوية بالجسم ويحولها إلي اعضاء أخري يكون زيادة عملها مفيد للجسم فسبحان الخالق العظيم القائل **«وأنه هو أضحك وأبكى»** [الآية (٤٣) النجم] وصدق الله عز وجل إذ يقول **«هو الذي أنزل السكينة في قلوب المؤمنين ليزدادوا إيماناً مع ايمانهم»** [الآية (٤) الفتح] فكأن السكينة التي تنزل للذاكرين هي التي تمنع الانسان من الأمراض العصبية والنفسية أو الامراض الجسمانية الناتجة عن الاحوال النفسية التي يتعرض لها الانسان ولقد استغل وللاسف الهنود الذين يمارسون رياضة اليوجا وهي رياضة روحية بكلمات علي الديانة البوذية لا تصل إلي بعض ذرة من الحقائق القرآنية ذلك في برامج تليفزيونية يبينون فيها تأثير الكلمات التي يرددونها حتي يلجئون ألاوربيين إلي ترديد الكلمات التي يرددونها حتي ترتفع روحهم المعنوية وتقوي حالتهم النفسية ولا يصابون بهذه الأمراض العصبية ونحن جماعة المؤمنين عندنا الزاد الذي أنزله رب العباد ولكننا كما قال الله **«وكانوا فيه من الزاهدين»** [الآية (٢٠) يوسف] زهدنا في شفاء الله وزهدنا فيما أتي به إلينا رسول الله فكانت هذه الأحوال التي نعاني منها إن الله عز وجل ضرب لنا مثلاً غريبا حينما أمرنا أن نستمد المناعة النفسية والايمانية في خمس وجبات روحانية في اليوم هي الصلاة وأوصانا نبينا صلي الله عليه وسلم أن نأخذ حاجاتنا الجسمانية من وجبتين في اليوم فأعلمنا بذلك أن الانسان يحتاج من الطاقات الروحانية إلي أضعاف ما يحتاجه من الطاقات الجسمانية لكي يعيش في حياة إيمانية

ولايكون من الذين قال فيهم الله **«ومن يعيش عن نكر الرحمن نقيض له شيطاناً فهو له قرين»** [الآية (٣٦) الزخرف] فالمؤمن محتاج أن يستمد زاد التقي والهدي باستمرار علي الأقل خمس مرات في اليوم لا ينقرها نقر الديك ولكن ليجعلها كالغذاء يتجهز له ويطمئن له ويهضمه جيداً ويأتي بالمهضمات فإذا أتي إلي الوجبة الروحانية لا يهني نفسه ولا قلبه حتى على هضم كلام الله أو فهم ما يقوله ويناجي به الله بل ربما يردد هذه الكلمات ولا يدري ماذا قال وربما يقرأ الفاتحة مكان التشهد والتشهد مكان الفاتحة ولايدري ثم بعد ذلك يشكو من الأمراض والأعراض وهو الذي قصر في أوامر رب العباد عز وجل فالانسان المؤمن هو الوحيد في هذا الكون الذي يحفظه الله عز وجل من هذه الأعراض والأمراض التي ذكرناها مادام يواظب علي ما قلناه ولذلك لايحتاج المؤمن إلي مصحة نفسية ولا إلي الذهاب إلي طبيب في الأمراض العصبية والنفسية لأن معه كلام الله وهدي سيدنا ومولانا رسول الله صلي الله عليه وسلم ومن المشاكل التي ظهرت في زماننا أن كثيراً من أبنائنا الطلاب وخاصة في أوقات الذروة من المذاكرة يحدث لهم حالة صدود كلّي عن الاستذكار ويحتار الأهل في تفسير ذلك بعضهم يقول إنه من الحسد والبعض يقول إنه من السحر والبعض يقول إنه من التعب ولكن حكمة الله عز وجل أنه جعل الانسان روحاً وجسداً فلو انشغل الانسان بالجسد وترك الروح لابد أن تظهر عليه هذه الأعراض فعلاج أولادنا في مثل هذه الحالات أن يجعل له وقتاً ويخصص له برنامجاً في تلك الآونة يقرأ فيه بعض آيات كتاب الله أو يستغفر الله أو يصلي ويسلم علي سيدنا رسول الله تزول عنه هذه الأعراض في الحال ببركة كلام الله عز وجل لأن كلام الله وذكر الله يحدث عنده التوازن فيصير عنده توازن روحي يؤثر علي حالته الجسمانية ويرده إلي حالته الطبيعية ولا يستطيع الانسان أن يكون متزناً في الكون إلا إذا أعطي للروح حقها كما يعطي للجسم حقه أما الذي يحرص علي مطالب الجسم وينسي مطالب الروح فلابد أن يكون متعباً، ففي حياته نكد وفي منامه يركبه الهم والغم ولايجد له تفريجاً لأنه أقبل علي جسمه وشهواته ونسي روحه وحكمة الله عز وجل أن الانسان من الروح والجسد ولابد أن

يكون هناك توازن بينهما فلابد أن يعطي الروح حقها كما يعطي الجسد حقه ويكون في توازن روحي يقول فيه الله عز وجل **«من عمل صالحاً من ذكر أو أنثي وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة»** [الآية (٩٧) النحل] وكلمة حياة طيبة ليس معناها حياة رغيدة مع المال والمأكل والمشارب واللهو واللعب وغيرها ولكن الحياة الطيبة تكون بسكينة النفس وطهارة القلب واطمئنان الفؤاد ولا يكون ذلك إلا بحدوث التوازن بين الروح والجسد فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون فلابد للمؤمن أن يجعل له في كل يوم وقتاً مع الله وببركة هذا الوقت يصحح الله نفسه ويصلح الله جسده ويصلح الله جميع أحواله فيكون إنساناً يقول كما قال الامام الجنيد رضي الله عنه وأرضاه «نحن في سعادة لويعلم الملوك ما نحن فيه لحاربونا عليه بالسيوف» وهذا ما ارتضاه الصوفية لأنفسهم وجعلوه منهج حياتهم وأسسوا عليه أورادهم فوهبهم الله الاستقامة في الدنيا والفوز والفلاح في الآخرة.

الايمـــــان والحيــــــاة

ولقد اقترب العالم النفسي كارل جوستاف يونج من هذه المنطقة بعد دراسة طولية وعرضية عميقة للتاريخ الانساني وللأديان قال: «استشارني في خلال الأعوام الثلاثين الماضية أشخاص من مختلف شعوب العالم المتحضرة وعالجت مئات كثيرة من المرضي فلم أجد مريضاً واحداً من مرضاى الذين كانوا في المنتصف الثاني من عمرهم أي جاوزوا سن الخامسة والثلاثين من لم تكن مشكلته في أساسها هي افتقاره إلي وجهة نظر دينية في الحياة وأستطيع أن أقول أن كل واحد منهم قد وقع فريسة المرض لأنه فقد ذلك الشئ الذي تمنحه الأديان القائمة في كل عصر لاتباعها وأنه لم يتم شفاء أحد منهم حقيقة الا بعد أن استعاد نظرته الدينية في الحياة» ويقول أ.أ. بريل (A.A. BRILL) المحلل النفسي «المرء المتدين حقاً لايعاني قط مرضاً نفسياً» وفضلاً عن علماء النفس والمحللين النفسيين فقد

أثار كثير من المفكرين الغربيين في العصر الحديث إلي أن أزمة الانسان المعاصر إنما ترجع أساساً إلي افتقار الانسان إلي الدين والقيم الروحية فقد أشار المؤرخ أرنولد توينبى (A. TOYNBEE) إلي أن الأزمة التي يعاني منها الأوربيون في العصر الحديث إنما ترجع في اساسها إلي الفقر الروحي وأن العلاج الوحيد لهذا التمزق الذي يعانون منه هو الرجوع إلي الدين ويضيف الدكتور محمد عثمان نجاتي «وقد بدأت كذلك تظهر حديثاً إتجاهات بين بعض علماء النفس تنادي بأهمية الدين في الصحة النفسية وفي علاج الأمراض النفسية وتري أن في الايمان بالله قوة خارقة تمد الانسان المتدين بطاقة روحية معينة تعينه علي تحمل مشاق الحياة وتجنبه القلق الذي يتعرض له كثير من الناس الذين يعيشون في هذا العصر الحديث الذي يسيطر عليه الاهتمام الكبير بالحياة المادية ويسوده التنافس الشديد من أجل الكسب المادي والذي يفتقر في الوقت نفسه إلي الغذاء الروحي مما سبب كثيراً من الضغط والتوتر لدي الانسان المعاصر وجعله نهباً للقلق وعرضة للاصابة بالأمراض النفسية ومن بين من نادي بذلك من علماء النفس المحدثين وليم چيمس WILLIAM JAMES الفيلسوف وعالم النفس الامريكي فقد قال: «إن أعظم علاج للقلق ولاشك هو الإيمان وقال أيضاً والايمان من القوى التي لابد من توافرها لمعاونة المرء علي العيش وفقده نذير بالعجز عن معاناة الحياة» وقال «إن بيننا وبين الله رابطة لا تنفصم فإذا نحن أخضعنا أنفسنا لاشرافه تعالي تحققت كل أمنياتنا وآمالنا وقال «إن أمواج المحيط المصطخبة المتقلبة لا تعكر قط هدوء القاع العميق ولا تقلق أمنه وكذلك المرء الذي عمق إيمانه بالله خليق بألا تعكر طمأنينته التقلبات السطحية المؤقتة فالرجل المتدين حقاً عصي علي القلق محتفظ أبداً بإتزانه مستعد دائماً لمواجهة ما عسي أن تأتي به الأيام من صروف» وصلي الله علي سيدنا محمد وعلي آله وصحبه وسلم.

وإلي اللقاء في الكتاب القادم من رسائل الصفاء وعنوانه :

الصفــــاء والأصفيـــــاء



المـــــراجع

١- القرآن الكريم
٢- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم - فؤاد عبد الباقى دار الشعب - القاهرة
٣- كـتـب السنـة
٤- د. ابراهيم بسيونى نشـأة التصـوف
٥- د. أحـمـد أمين فـيض الخـاطر
٦- أحمد عبد الجواد الدومي الدين والحـيـاة
٧- أمين النقـشـبندى مـا هو التـصـوف؟ الدار العـربيـة - بغـداد ١٩٨٨م
٨- السـراج الطوسى اللـمـع دار الكتب الحديثة - مصر ١٩٦٠م
٩- السـهـروردي عـوارف المعـارف دار الكتاب العربي - بيروت ١٩٨٣م
١٠- الغـزالي المنقـذ من الضـلال مكتـبـة الجندي - القـاهرة
١١- الكـلابـاذي التعرف علي مذهب أهل التصوف الحلبى - القـاهرة ١٩٦٠
١٢- ابن الصـبـاغ درة الأسـرار طبعة السعادة - القاهرة
١٣- ابـن عـطـاء الـلـه لـطـائـف المـنن مكتـبـة القـاهرة - ١٩٧٩ م
١٤- أرنـولـد الدعـوة إلي الاسـلام النهـضـة المصـرية ١٩٧٠م
١٥- د. حسن الأشـمـوني التعبئة الروحية في بناء المجتمع التعبئة الروحية في بناء المجتمع
١٦- د. حـسن الشـرقـاوي المسلمـون علمـاء وحكمـاء مؤسسة مختار-القاهرة ١٩٨٧م
١٧- د. حـسن الشـرقـاوي نحـو علم نفس اسـلامي شباب الجامعة ١٩٨٤م الاسكندرية
١٨- د. حسين سيد عبدالله مراد المتصوفة في المغرب الأقصى الاسلامية الحديثة ١٩٩٤م القاهرة
١٩- د. رمضان محمد القذافي علم النفس الاسـلامي الدعوة الاسلامية ١٩٩٠ ليبيا
٢٠- د. سعد الدين السيد صالح مشكلات التصوف المعاصر دار المعـارف ١٩٩٣م القـاهرة
٢١- سـعـيـد حـوّي تربيـتنا الروحـيـة دار عـمـار - بيـروت ١٩٨٩م
٢٢- طنطاوي جـوهري تفـسـيـر الجـواهـرأعـلام مصطفي الحلبي - القاهرةمكتبة

المؤلف	الكتاب	الناشر
٢٣- طه عبد الباقي سرور	التصوف الاسلامي	الخانجي - القاهرة
٢٤- طه عبد الباقي سرور	الشعراني والتصوف الاسلامي	مكتبة الخانجي - القاهرة
٢٥- عبد الحفيظ فرغلي علي القرنى	التصوف والحياة المعاصرة	مجمع البحوث الاسلامية ١٩٨٤ - القاهرة
٢٦- د. عبد الحليم محمود	أبو الحسن الشاذلي	دار الكاتب العربي ١٩٦٧م - القاهرة
٢٧- د. عبدالحليم محمود	الاسلام والعقل	دار المعارف ١٩٨٨م - القاهرة
٢٨- عبد الوهاب الشعراني	الكوكب الشاهق	دار المعارف ١٩٩١م - الاسكندرية
٢٩- علاء الدين النقشبندي	رسالة طب القلوب	الشئون الثقافية العامة - بغداد ١٩٨٩م
٣٠- فوزي محمد ابو زيد	الامام أبو العزائم	دار الايمان والحياة - القاهرة ١٩٩٢م
٣١- محمد أبو زهرة	الدعوة إلي الاسلام	دار الفكر العربي ١٩٩٢م
٣٢- د. محمد عبد الفتاح المهدي	العلاج النفسي في ضوء الاسلام	دار الوفاء - المنصورة ١٩٩٠م
٣٣- محمد فتح الله الزيادي	انتشار الاسلام وموقف المستشرقين منه	دار قتيبة - بيروت ١٩٩٠م
٣٤- محمود أبو الفيض المنوفي	المدخل إلي التصوف	

الفهـــرس

الفصل السابع

دار الايمان والحياة تقدم

كتـــب للمـــؤلف

أ – من أعلام الصوفية المعاصرين:

١– الامام أبو العزائم المجدد الصوفي.

٢– الشيخ محمد علي سلامة سيرة وسريرة.

ب– الايمـــان والحيـــاة.

٣– زاد الحـــاج والمعتمـــر.

٤– نفحات من نور القرآن (الجزء الاول)

٥– مائدة المسلم بين الدين والعلم. (ترجم إلى الانجليزية والاندونيسية)

٦– طريق الصديقين إلي رضوان رب العالمين (ترجم إلى الأندونيسية)

٧– حديث الحقائق عن قدر سيد الخلائق

٨– مفاتـــح الفـــرج. (ترجم إلى الأندونيسية)

٩– تربية القرآن لجيل الايمان. (ترجم إلى الانجليزية والأندونيسية)

ج– رسائـــل الصفـــاء.

١٠ الصوفية والحياة المعاصرة.

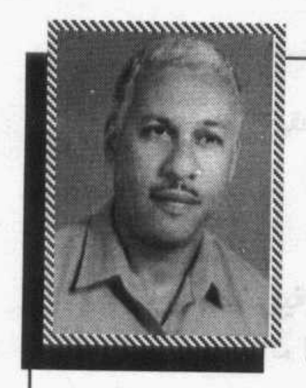
تحـــت الطبـــع للمؤلـــف

١– نفحات من نور القرآن (الجزء الثاني)

٢– الصفاء والأصفياء

٣– أبواب القرب ومنازل التقريب

٤– أهل العناية في منازل الولاية.



المؤلـــف فى سطـــور

فوزى محمد أبو زيد

تاريخ ومحل الميلاد : ١٨/١٠/١٩٤٨ الجميزة مركز السنطة محافظة الغربية.

المؤهـــــل : ليسانس كلية دار العلوم ١٩٧٠م

العمـــــل : مدير اعدادى بالتربية والتعليم.

مقـــر الاقامـــة : الجميـــزة - غربيـــة

النشـــاط :

- يعمل رئيساً للجمعية العامة للدعوة إلى الله بجمهورية مصر العربية والمشهرة برقم ٢٢٤ ومقرها الرئيسى ٧٤ ش ١٠٥ حدائق المعادى بالقاهرة ولها فروع فى جميع أنحاء الجمهورية.
- يتجول فى جميع انحاء الجمهورية لنشر الدعوة الاسلامية وإحياء المثل والاخلاق الايمانية بالحكمة والموعظة الحسنة بالاضافة إلى الكتابات الهادفه إلى إعادة المجد الاسلامى.

دعــوتـه:

- يدعو إلى نبذ التعصب والخلافات بين المسلمين والعمل على جمع الصف الاسلامى واحياء روح الاخوة الاسلامية والتخلص من الاحقاد والاحساد والأثره والانانية وغيرها من أمراض النفس.
- يحرص على تربية أحبابه على التربية الروحية الصافية بعد تهذيب نفوسهم وتصفية قلوبهم.
- يعمل على تنقية التصوف مما شابه من مظاهر بعيدة عن روح الدين وإحياء التصوف السلوكى المبنى على القرآن وعمل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه الكرام.

رقم الإيداع : ١٠٦٠٨ / ١٩٩٦
طبع بدار نوبار للطباعة